جامعة مؤتة

كلية الدراسات العليا

صورة السياسي في الرواية الأردنية

إعداد الطالب

صخر علي يوسف المحيسن

إشراف

الدكتورة ريم خليف المرايات

أطروحة مقدمة إلى كلية الدراسات العليا استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في الدراسات الأدبية/ قسم اللغة العربية وآدابها

جامعة مؤتة، 2020م

الآراء الواردة في الرسالة الجامعية لا تعبر

بالضرورة عن وجهة نظر جامعة مؤتة

MUTAH UNIVERSITY

College of Graduate Studies

جامعة مؤتـــة

كلية الدراسات العليا

قرار إجازة رسالة جامعية

تقرر إجازة الرسالة المقدمة من الطالب صخر علي يوسف المحيسن

والموسومة بـــ: صورة السياسي في الرواية الاردنية

استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراة في الدراسات الأدبية

القســـم: الدراسات الأدبية في تاريخ ٢٠٢٠/٠٨/١٨

من الساعة ١٢ إلى الساعة ١٥ قرار رقم ١٢/٢٠٢٠

أعضاء اللجنـــة:	التوقيـــع	
د. ريم خليف عبدالله المرايات		مشرفا ومقررا
أ.د زهير احمد محمد المنصور		عضوا
أ.د حسين طه ابراهيم المحادين		عضوا
د. إبراهيم عبدالرحيم السعافين		عضو خارجي

عميد كلية الدراسات العلي

أ.د عمر المعايطة

الإهداء

إلى **روح والدي، ووالدتي،** في عالمها الغيبي؛ كي تستريح.

إلى **زوجتي الغالية؛** تعبيرا عن شكر لا تفيه الكلمات.

إلى **إخوتي الكرام** مع كل المحبة والتقدير.

إلى بناتي الغاليات، **سارة، همس، ميس، سلمى،** مع خالص المحبة والمودة.

صخر المحيسن

الشكر والتقدير

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين وبعد فلا يسعني، وفي هذا المقام إلا أن أتقدم بجزيل الشكر، ووافر العرفان إلى الدكتورة ريم المرايات التي كانت لي نعم المعلم والموجه على امتداد مسيرة هذا البحث إذ لم تتوان يوما ما عن تقديم النصح والإرشاد لي، وقد تقبلت عثراتي في هذا البحث بالتقويم والتوجيه، حيث كان لتوجيهاتها الكريمة الأثر الطيب في إثراء هذا البحث، فجزاها الله عني خير الجزاء.

كما أتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى أعضاء لجنة المناقشة الكرام؛ على قبولهم قراءة هذه الأطروحة وتقويمها، حيث ستكون ملاحظاتهم وتوجيهاتهم محط اهتمامي؛ للنهوض بهذه الدراسة وتطويرها.

صخر علي المحيسن

فهرس المحتويات

	الصفحة
الإهداء	أ
الشكر والتقدير	ب
فهرس المحتويات	ج
ملخص الدراسة باللغة العربية	هـ
ملخص الدراسة باللغة الإنجليزية	و
المقدمة	1
الفصل الأول: الاتجاه السياسي في الرواية الأردنية	4
1.1 علاقة الرواية بالسياسة	4
2.1 الاتجاه السياسي في الرواية العربية	11
3.1 الاتجاه السياسي في الرواية الأردنية	12
الفصل الثاني: المضامين والتشكيل	16
1.2 موقف السياسي من الحرية	16
2.2 موقف السياسي من السلطة	23
3.2 موقف السياسي من المرأة	32
4.2 موقف السياسي من الإعلام	48
5.2 الصراع	51
1.5.2 الصراع والمكان	54
2.5.2 الصراع والزمن	62
3.5.2 الصراع والحوار	65
4.5.2 الصراع والشخصيات	74
5.5.2 الصراع الداخلي	78
6.2 لغة العنوان	89

الفصل الثالث: صور السياسي في الرواية الأردنية 103
1.3 السياسي الواقعي 103
2.3 السياسي الملتزم 109
3.3 السياسي الانتهازي 116
4.3 السياسي المتحول 122
5.3 السياسي الحالم 129
الخاتمة 136
المراجع 139

الملخص

صورة السياسي في الرواية الأردنية

صخر علي المحيسن

جامعة مؤتة/2020

هدفت هذه الدراسة إلى الوقوف على صورة السياسي في الرواية الأردنية ومضامين الرواية السياسية وتقنيات تشكيلها من خلال نماذج روائية محددة تنتمي لفترات زمنية مختلفة من امتداد تاريخ الرواية السياسية في الأردن.

وجاءت هذه الدراسة في ثلاثة فصول وخاتمة:

تناول الفصل الأول علاقة الأدب بالسياسة، والرواية السياسية العربية، والرواية السياسية الأردنية، وتناول الفصل الثاني مضامين الرواية السياسية الأردنية وتقنيات تشكيلها

وتناول الفصل الثالث الصور التي ظهر عليها السياسيون، فقد برز السياسي الواقعي، والسياسي الملتزم، والسياسي الانتهازي، والسياسي المتحول، والسياسي الحالم وقد خلصت الدراسة إلى تعدد صور السياسي في الرواية الأردنية.

Abstract

The image of the politician in the Jordanian novel

Sakher Ali Al-Muhaisen

Mutah University / 2020

This study aimed to examine the image of the politician in the Jordanian novel and the contents of the political novel and the techniques that form it through specific narrative samples belonging to different periods of time periods of the history of the political novel in Jordan.

This study comes in three chapters and a conclusion:

The first chapter deals with the relationship of literature with politics, the Arab political narration, and the Jordanian political narration.

The second chapter dealt with the contents of the Jordanian political narration and the techniques of shaping it.

The third chapter dealt with the images that the politicians were person fied by it . The realist politician, the committed politician, the opportunist politician, the transformed politician, and the dreaming politician have emerged. The study concluded that the politician has many images in the Jordanian novel and the multiplicity of its contents and the techniques that represent it, and distinguish it in discussing and dealing with,.

المقدمة:

اتخذت الرواية العربية مسارات مختلفة، فقد عالجت العديد من الموضوعات التي لامست حياة الإنسان العربي على مختلف المستويات السياسية، والاجتماعية، والثقافية، ويبدو ذلك جليا في الرواية الأردنية التي تعد امتدادا لمسيرة الرواية العربية في كونها من الفنون الأدبية التي شخَّصت مشكلات الواقع الاجتماعي وسعت إلى اقتراح حلول لها وجسَّدت أدب المقاومة، ولامست الهم القومي، فجاءت وفق مسارها السياسي؛ تجسيدا لما عاناه الإنسان العربي من تحولات سياسية، وآيدولوجية متنوعة جراء ما حلَّ بالمنطقة العربية من أزمات وكوارث، أثرت في الفكر العربي، فأصبحت الرواية الأردنية ميدانا خصبا، ينقل من خلاله الروائي الأردني ما تعانيه الأمة من تحولات، وانكسارات وما حمله أبناؤها من أحلام ورؤى.

وقد سعت هذه الدراسة للوقوف على صورة السياسي وفق المتخيل السردي الأردني، وما يحمله من هموم وتطلعات اتجاه قضاياه الوطنية والقومية، واختارت نماذج من الروايات الأردنية جسدت هذه الجوانب، وهي: رواية(أنت منذ اليوم)، لتيسير السبول1968م، ورواية (السؤال) لغالب هلسا1979م، ورواية(اعترافات كاتم صوت) لمؤنس الرزاز1986م، ورواية (الشهبندر) لهاشم غرايبه2003م، ورواية(زمن الخيول البيضاء) لإبراهيم نصر الله 2007م، ورواية (أرض اليمبوس) لإلياس فركوح2007م، ورواية (عندما تشيخ الذئاب) لجمال ناجي2008م، ورواية (الطريق إلى سحماتا) لإبراهيم السعافين2017م، ولعلَّ في هذه النماذج الروائية المختارة، ما يظهر موضوع الدراسة بشكل جلي؛ انطلاقا من الفترات الزمنية المختلفة التي أنتجت فيها هذه الروايات.

وقد عملت هذه الدراسة على رصد وتحليل الروايات المختارة، ودراستها من زاويتي الرؤية والتشكيل. واعتمدت على المناهج السياقية وغيرها مما تقتضيه طبيعة البحث دون الركون إلى منهج بعينه، فقد أسهم المنهج النفسي في إضاءة الطبيعة النفسية للسياسيين داخل الاعمال الروائية المختلفة، وكذلك الدوافع النفسية التي تقودهم لتبني مواقفهم السياسية.

وأفاد المنهج التاريخي في الوقوف على علاقة الشخصيات بالأحداث التاريخية وأثرها، وكذلك المنهج الوصفي والمنهج التحليلي، والمنهج البنيوي التي أسهمت في توضيح البنى السردية التي تجسدت في الأعمال الروائية، وإبراز دورها في تشكيل الصراع؛ وفق تقنيات المكان، والزمان، وبناء الشخصيات.

ويعد موضوع الدراسة من الموضوعات الجديدة التي تتم دراستها في حدود علمي، وقد تناولت دراسات عدة موضوعات مقاربة لها استفادت منها هذه الدراسة ومنها:

1. (أثر السياسة في الرواية الأردنية)، لعوني الفاعوري، وقد تناولت هذه الدراسة أثر السياسة في روايات تيسير السبول وجمال ناجي ومؤنس الرزاز في الفترة ما بين 1967م_1992م، وأشار الباحث فيها إلى مستوى الرواية الأردنية قبل عام 1967م إضافة للحديث عن العوامل السياسية المؤثرة في الرواية، وأبرزت الدراسة المضامين الروائية المدروسة وما تحمله من طروحات ورؤى فكرية عن الواقع الراهن.
2. (الروائي سياسيا، مؤنس الرزاز نموذجا) لقتيبة الحباشنة وهي رسالة دكتوراه نوقشت في الجامعة الأردنية 2006م، تناولت العلاقة الماثلة في اشتباك الروائي بالسياسي في الإنتاج الروائي لمؤنس الرزاز، كما أظهرت الدراسة استحضار مؤنس الرزاز لأشكال جديدة في الأعمال الروائية لديه شملت بناء الشخصية والزمان والمكان.
3. (مفهوم الأدب السياسي في ضوء العلاقة المتبادلة بين الأدب والسياسة) للباحثة رؤى المومني وهو بحث منشور في مجلة دراسات سلسلة العلوم الإنسانية، المجلد(46)،العدد(2) لعام (2019م)، وقد ناقش هذا البحث وجهتي النظر اللتين تعبر إحداهما أن الأدب والسياسة عالمان منفصلان لا علاقة بينهما، ووجهة النظر الأخرى التي تؤكد وجود علاقة وثيقة بين الأدب والسياسة، كما تحدثت الدراسة عن مفهوم الأدب السياسي من خلال محورين هما: تأديب السياسة، وتسييس الأدب.

وقد جاءت هذه الدراسة في ثلاثة فصول:

تناول الفصل الأول الاتجاه السياسي في الرواية الأردنية، وقد رصدت الدراسة فيه علاقة الأدب بالسياسة وتطور الرواية السياسية العربية، التي أسهمت بتطورها حرب حزيران وحالة الصراع العربي الإسرائيلي، وكذلك حرب تشرين، واجتياح لبنان والدعوات المستمرة التي تنادي بالحرية والديمقراطية، وهذه العوامل مجتمعة كان لها الأثر البارز على الرواية السياسية الأردنية؛ بوصفها جزءا من نسيج الرواية العربية يعتريها ما يعتري الرواية العربية من تغيرات وتطورات.

وتناول الفصل الثاني الرواية الأردنية من زاويتي المضمون والتشكيل ورصدت الدراسة فيه العديد من القضايا الإنسانية، والاجتماعية وموقف السياسي منها، وهذه القضايا هي: الحرية باعتبارها المحرك الأساسي في نهضة الشعوب، والتي يسعى السياسي على الدوام لتحقيقها، والسلطة، والإعلام والموقف من المرأة ، وفي القسم الثاني من هذا الفصل، تمَّ الحديث عن قضية الصراع وأثرها في الشخصيات الروائية، ومنها الشخصية السياسية – على وجه الخصوص – اعتمادا على تقنيات السرد المختلفة، والمتمثلة بالمكان، والزمان، والحوار، كما تمت الإشارة إلى اللغة باعتبارها مكونا أساسيا يكشف عن توجهات السياسي وأفكاره ومواقفه من القضايا التي يتناولها.

وتناول الفصل الثالث صور السياسي في الرواية الأردنية وتمّ فيه رصد العديد من الصور المختلفة للسياسي في الروايات الأردنية المدروسة، فقد ظهرت صورة السياسي الواقعي، وصورة السياسي الانتهازي، وصورة السياسي الملتزم، وصورة السياسي المتحول، وصورة السياسي الحالم.

وفي الختام أتمنى التوفيق فيما قدمت، فعلى الله توكلت وإليه أنيب.

الفصل الأول:
الاتجاه السياسي في الرواية الأردنية

1.1 علاقة الرواية بالسياسة

تعد السياسة من أهم العناصر التي اعتمد عليها الأدب . ولا سيما الرواية . على وجه الخصوص . في معالجة العديد من القضايا الفكرية، وبهذا كانت الرواية صاحبة الدور الأكبر في كشف بذور التحولات السياسية، وتقديم الشخصيات الإيجابية التي تحمل بذور التبشير والتغيير، وفي هذا الصدد يقول الروائي يوسف القعيد حول العلاقة التي تربط بين الأدب والسياسة: " في كل أمرٍ من أمور الدنيا سياسة، ومن الصعب تجزئة حياة الإنسان إلى سياسة ولا سياسة، فالشاب الذي لا يمكن أن يتزوج بسبب أزمة السكن يعاني من مشكلة سياسيّة، والرجل العاجز جنسياً بسبب القهر الواقع عليه، يدفع ثمن مشكلة سببها الأساسي سياسي، ففي عصرنا نحن نتنفس السياسة ليل نهار " [1].

تشكل السياسة الجانب الأهم الذي يستأثر باهتمام الأديب، انطلاقاً من كونها الأداة الأساسية التي تعتمد عليها عملية التغيير، فالإنسان " يقوم بعملية التغيير السياسي لتشمل كافة الأمور، والظواهر الاجتماعية، والاقتصادية، باعتبارها الجذر الكامن في معادلة التطور الحضاري للمجتمع " [2].

والسياسة بوصفها ظاهرة من الظواهر التي يمارسها الفرد والجماعات داخل إطار المجتمع الإنساني، من أبرز القضايا التي شغلت الإنسان على مر العصور، فكل تغيير يسعى إلى تحقيقه يحتاج إلى سياسة، وانطلاقاً من أن الأدب صورة من صور تطور المجتمع الإنساني، فقد كان لزاماً عليه أن يلامس السياسة، ويتأثر بها [3].

---

(1) عبد العظيم، صالح سليمان، سوسيولوجيا الرواية السياسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1998م، ص192-193.

(2) الخليلي، حمزة مصطفى، البطل السياسي في الرواية العراقية، مجلة الأقلام، العدد، 4 -6، شباط، آذار،1976م، ص 86.

(3) عطية، أحمد محمد، الرواية السياسية، دراسة نقدية في الرواية السياسية العربية، مكتبة مدبولي، القاهرة، (د. ت) ص 11.

إنَّ الأدب مجال متميز يمتلك استقلاله الذاتي، ولا يمكن أن يحدث تواصلاً في المجتمع أو مع الآخرين إلا بواسطة أدوات خاصة يمتلكها وكذلك السياسة، فهي حقل مستقل له خصوصيته، والأدوات التي يمتلكها الأديب غير الأدوات التي يمتلكها السياسي، فالسياسي يمتلك الاستراتيجية والمناورة، وميزان القوى، والمبادرة السياسية، وعليه فيذهب العديد من المفكرين أمثال (إيغلتون) وغيره إلى أن السياسة مظلة واسعة تشكل الآيديولوجيا أحد فروعها، فثمة فرق بين علم السياسة، والفلسفة السياسية، بيد أن ما يهمنا هو " مجال السياسة التي تتمثل في أسلوب الحكم، وطريقة الإدارة السياسية، وكيفية صنع القرار السياسي، وتنفيذه من خلال المؤسسات السياسية الحاكمة والمعارضة" [1].

ولقد تعددت المفاهيم المتعلقة بالسياسة، فذهب البعض إلى أنها علاقات القوة بين الناس، كما وصفها آخرون بأنها "التكالب على المصالح " [2].

إن السياسة بكل ما تحمله من مفاهيم ومعتقدات تتصل بكافة مناحي الحياة، وانطلاقاً من ذلك يرى (جورج لوكاتش) أن " عواطف الإنسان ترتبط ارتباطاً لا ينفصم بالحياة، وبصراعات المجتمع أي بالسياسة، وسواء أكان البشر أنفسهم واعيين ذلك أم غير واعيين أم يحاولون الهروب منه، فإنَّ أفعالهم، وأقوالهم، وعواطفهم، تتبع موضوعياً من السياسة، وتنصب فيها "[3].

ويشير (إيغلتون) إلى أن الأدب والآيديولوجيا شيئان منفصلان في نظر البعض، ومتصلان في نظر البعض الآخر، وأكد ما ذهبت إليه الفئة الثانية بقوله: إنَّ الأدب آيديولوجيا وتربطه أمتن العلاقات [4] وقد أشار إلى تعاظم الدراسات حول الأدب في أواخر القرن التاسع عشر بسبب سيادة العلوم الوضعية على العلوم الدينية فكرا

---

(1) وادي، طه، الرواية السياسية، دار النشر للجامعات المصرية، القاهرة، ط1،1996م، ص37.

(2) انظر، اسعيد، محمد فايز، قضايا علم السياسة العام، دار الطليعة، بيروت، ط 1، 1983م، ص9-11.

(3) لوكاتش، جورج، دراسات في الواقعية الأوروبية، ترجمة أمير إسكندر، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، 1973م، ص30-31.

(4) إيغلتون، تيري، نظرية الأدب، ترجمة ثائر ديب، وزارة الثقافة، سوريا ،1995م، ص44

وممارسة، فقد تراجع الدين الذي يعد شكلاً من أشكال الآيديولوجيا، أصبح مهدداً بالتلاشي بسبب الاكتشافات العلمية، والتحولات الاجتماعية، فظهر الأدب كخطاب آيديولوجي بديل [1].

لم تعد السياسة – في وقتنا الحاضر – تشغل السياسي وحده على وجه الخصوص، فكل إنسان في المجتمع معني بالسياسة؛ لأنها ترتبط بكافة مناحي حياته الاقتصادية والاجتماعية، والثقافية، بل ترتبط حتى بمفردات سلوكه اليومي، من فرح وسعادة وبؤس وشقاء، فهي بمثابة الخيط الخفي الذي يجمع كل هذه المفردات انطلاقاً من أن "السياسة هي بوابة أي تغيير، وفاتحة كل عهد جديد، ولأنها مفتاح كل شيء: الرزق، والأمن والحرية، والعدالة، والعمل في السياسة هو مواجهة مستديمة متصاعدة معلنة مع السلطة السائدة، وأجهزتها ومواليها "[2].

وقد تميزت الأزمنة الحديثة بظاهرة طغيان السياسة فوق كل شيء، وارتبطت بالمنظومة القيمية إلى درجة أن الناس بدأوا يربطون كل عمل لا أخلاقي بالسياسة، فهي عندهم ذلك الميدان الذي يمكن صاحبه من خلط المفاهيم، والإتيان بأشياء لا يصدقها العقل إلى درجة تزييف الحقائق وتزيين الباطل. [3].

ولهذا اضطربت علاقة السياسي بالمثقف أو الأديب؛ لأن الدوافع التي تحرك المثقف (الأديب) هي نقيض الدوافع التي تحرك السياسي (السلطة)، مما يقود إلى الافتراق والمصادمة [4].

إنَّ جوانب الصراع تظل جلية بين السياسي والمثقف (الأديب)، فالكاتب يحاول أن يخلق استقلالية لنصه الأدبي المنتج، في حين يحاول السياسي تطويع كل أشكال

---

(1) حسن، عمار علي، سلطة الأدب وأدب السلطة، جريدة الاتحاد، 2014/10/3.

(2) الرياحي، نجوى، الأبطال وملحمة الانهيار، دراسة في روايات عبد الرحمن منيف، مركز النشر الجامعي، تونس،1999 م، ص85.

(3) انظر، المنصوري، علي، البطل السجين السياسي في الرواية العربية المعاصرة رسالة دكتوراه، جامعة الحاج الخضر، الجزائر،2008/2007، ص37.

(4) انظر المنصوري، البطل السجين السياسي في الرواية العربية المعاصرة، ص31.

الكتابة الإبداعية إلى آيديولوجيا يبرر من خلالها ما يقوم به من أعمال وتوجهات، وهذا يقود في كثير من الأحيان إلى التصادم [1].

إنَّ العمل السياسي الذي لا يستند إلى ثقافة، غير قادر على مواجهة المشاكل التي تعاني منها الجماهير، وفي المقابل يظهر نمط ثقافي آخر يمثل المنضوين تحت لواء السلطة، ويمثلون أجهزة آيدولوجية تستخدمها السلطة، للدفاع عن نفسها، فهم وفق وصف أحد الدارسين يزينون للسلطة أفعالها، ويدافعون عن سلوكياتها [2].

والعلاقة بين الأدب والسياسة علاقة شائكة متداخلة، رغم محاولة العديد من الكُتاب والأدباء تقريب وجهات النظر المتباينة حول هذه العلاقة، فهي: " علاقة جدلية ومتواصلة طالما وجد الأديب نفسه داخل مجتمع معين، يعبر من خلاله عن دوره، وحقوقه، ومكانته، ويبحث بشكل دائم عن حريته وإنسانيته " [3].

ومن منطلق ذلك تتحدد علاقة الأدب بالسياسة من خلال وجود نوعين من الأدب السياسي: الأول أدب تبريري، والثاني أدب تنويري. أي أدب سلطوي وآخر ثوري يسعى الأول إلى معانقة السلطة الحاكمة والالتصاق بتوجهاتها، أما الثاني فيهدف إلى نضج العلاقات والقوى الاجتماعية المهيمنة[4] وفي ضوء ذلك، تظل العلاقة بين الرواية والسياسة علاقة مواربة، تعمل على الكشف عن المسكوت عنه في مادة الواقع السياسي، فهي تتغلغل في أعماق النسيج والحراك الاجتماعيين؛ لتكشف بذور التحول السياسي [5].

وتتفاوت الآراء بشأن وجود علاقة بين الأدب والسياسة، فثمة من يرى أنهما عاملان منفصلان، ويستند أصحاب هذا الرأي إلى أن عالم الأدب عالم شفاف يزخر بالمشاعر الإنسانية في حين أن عالم السياسة عالم جاف يقوم على المصالح، ولا

---

(1) انظر، المنصوري، البطل السجين السياسي في الرواية العربية المعاصرة، ص31.

(2) ناصيف، عبد الكريم، الأدب والسياسة، مجلة الموقف الأدبي، سوريا، اتحاد الكتاب العرب، المجلد33 العدد: 388، آب، 2003م، ص 52.

(3) انظر، عبد العظيم، سوسيولوجيا الرواية السياسية، ص30-31.

(4) انظر، عبد العظيم، سوسيولوجيا الرواية السياسية، ص30-31.

(5) انظر، وادي، الرواية السياسية، ص52.

مكان فيه للعواطف، وهناك من يرى أن الأدب والسياسة مرتبطان يتأثر كل منهما بالآخر، ويؤثر فيه، وعند النظر لهذا الأمر نظرة عميقة، نجد أن الإنسان أو المواطن هو المحور الرئيس الذي يدور حوله كل من الأدب والسياسة، فالأدب يمتلك القدرة على تشكيل فكر المتلقي برغبة وإرادة كاملتين منه، في حين أن السياسة تفرض ما تريده حكراً على الفرد [1].

ويمكن للأدب أن يكون مزعجاً للسياسة، فهو إحدى وسائل التعبير عن إرادة الحرية والتغيير، فقد أدت (جملة أدبية) من كلمتين تلفظ بها رجل الدين وزعيم الحقوق المدنية والسياسية الشهير (مارتن لوثر كينغ) وهي: (لدي حلم) إلى تغيير تاريخ السود في أمريكا، كما استطاع فولتير (1779م) ومونتيسيكو (1689م) تمرير أفكارهما المنتقدة لسياسة السلطة عبر المسرح والشعر، وهناك من شغل نفسه من الكُتاب بتحدي السياسة، أمثال (تشارلز ديكنز) في روايته الشهيرة (قصة مدينتين) التي جاءت تعبيراً عن التحدي بين باريس ولندن إبان الثورة الفرنسية، وهكذا فإنَّ الكاتب الجاد الملتزم البعيد عن المصالح الذاتية الضيقة يمكن أن يكون بذرة لتغيير طال انتظاره[2].

ويمكن القول أن هناك فرقا جليا بين شخصية رجل السياسة الذي يمتلك ثقافة أدبية عميقة، وبين شخصية رجل السياسة الذي لا دراية له بالأدب، فعندما يكون رجل السياسة رجل أدب، فإنَّه قد يصبح من عظماء رجال السياسة، وتدخل مقولاته التاريخ من أوسع أبوابه، وفي هذا الصدد يقول (إليانور روزفلت): " أحياناً أتساءل عما إذا كنا سننضج في سياساتنا، فنقول أشياء محددة تحمل معنى حقيقياً، أم أننا نستخدم دائماً عموميات يرضى بها الجميع، وهي في الواقع لا تعني إلا القليل "[3].

إذ كثيرا ما أنتجت السياسة شخصيات تثير الخوف والقلق؛ لأنها لا تكترث إلا لمصالحها الخاصة وتتقلص عادة مساحة السياسة أمام امتداد إنسانية الأدب فتتحول

---

(1) المومني، رؤى، مفهوم الأدب السياسي في ضوء العلاقة المتبادلة بين الأدب والسياسة، مجلة دراسات، سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجامعة الأردنية، المجلد46، العدد2،2019م، ص362.

(2) أبو شرار، سناء، علاقة الأدب بالسياسة، مجلة القدس العربي، 2013/6/12م.

(3) انظر، المومني، مفهوم الأدب السياسي، ص362.

إلـى موضـوع مـن موضـوعاته فالأوطـان تنسـب لكتابهـا تمامـاً، كمـا تنسـب لقادتهـا وأبطالهـا، ففرنسـا بلـد فيكتـور هيجـو، وبريطانيـا مـوطن شكسـبير، وروسـيا مـوطن بوشكين[1].

وفـي ضـوء جدليَّـة العلاقـة بـين الأدب والسياسـة، يمكـن القـول إنَّ الأدب سـلاح ذو حـدين، قـد تشـهره الجمـاهير فـي وجـه السياسـة والسياسـيين، وقـد يسـتخدمه السياسـيون مـدخلاً للولـوج إلـى ضـمائر الشـعوب أو يسـتغلونه؛ لخدمـة مصـالحهم وترسـيخ بقـائهم، وتكمن المفارقة في العلاقة بين الأدب والسياسة في النتيجة التي قد يفضي إليها صراع السياسـة والأدب، فإمـا أن ينتصـر أصـحاب القلم علـى السلطة، الأمـر الـذي يؤدي إلـى تهذيبها وإخضاعها بفعل ثبات الكتاب علـى مواقفهم، وإمَّا أن يخضـع الأدبـاء للسياسـة، فيـتم تجييـر أقلامهـم لخدمـة أصـحاب السـلطة السياسـية الـذين يمارسـون علـى الكُتَّـاب مختلف صنوف الترغيب والترهيب، وهو ما يسمى تأديب السياسة وتسييس الأدب [2].

وغالبا ما يستمد الأدب سلطته ونفوذه من صعوبة السيطرة عليه وانطلاقاً من ذلك، فقد ظل الأدب المعارض هاجساً مروعاً في نظر السلطة السياسية، وحول ذلك يقول الأديـب الألمـاني برخـت: " لا يمكـن للسـلطة السياسـية أن تسـتولي علـى الأعمـال الإبداعيـة كمـا تسـتولي علـى المصـانع، ولا يمكـن لهـا الاسـتيلاء علـى أشـكال التعبيـر الأدبي مثلما يتم الاستيلاء على الرخص والتصاريح" [3].

ويبـدو ممَّـا تقـدم أنَّ علاقـة الأدب بالسياسـة، لا تقـف عنـد الجوانـب الإيجابيـة المتمثلة بخلق أدب ينافح عن مصالح الأمـة، وحقوق المضطهدين، وطبقات العمال إذ فـي المقابـل يمكـن أن يظهـر جانـب سـلبي لعلاقـة الأدب بالسياسـة، فتحـاول الطبقـات الحاكمـة إيجـاد مـا يسـمى بـالأدب الرسـمي التـابع للسـلطة، والمـدافع عـن توجهاتهـا ورغباتها، وهو ما عبَّر عنه أحمد عطية بمسمى أدب الثورة المضادة [4].

---

(1) إيغلتون، تيري، نظرية الأدب، ص42.

(2) انظر، عبد العظيم، سوسيولوجيا الرواية السياسية، ص 47.

(3) انظر، عبد العظيم، سوسيولوجيا الرواية السياسية، ص 33.

(4) انظر، عطية، الرواية السياسية، ص170.

وتظهر أهمية الرواية بوصفها " أداة فنية للوعي يمكن بواسطتها رصد وضع الأمة، وتجسيد أزماتها العامة من خلال شخصياتها الروائية الفردية، ومن هُنا تصبح الرواية طاقة سياسية هامة في التعبير عن روح الأمة، وأزماتها وطموحاتها "[1].

فقد شكلت التحولات والأزمات السياسية، واقعاً مليئاً بأحداث مثيرة، جعلت الأديب ينهل منها مواضيع حاملة لمواقف وآراء يطرحها في أعماله الأدبية التي يقدمها، " فقد صارت عين الأديب عدسة لاقطة لكل شاردة وواردة، وأصبح قلمه إزميل نحت ينحت كل فاجعة.. " [2] .

اتخذت الرواية العربية ولا سيما الرواية الأردنية . على وجه الخصوص . في مرحلة ما بعد النكسة من الهم السياسي قضية محورية لها، ولعلَّ مرد ذلك أن أغلب الروائيين العرب كانوا سياسيين قبل أن يكونوا روائيين، ويبدو أن ما أحدثته النكسة بكل تداعياتها على النتاج الروائي جليا، فقد أدى هذا بالضرورة إلى ظهور مصطلح الإدانة السياسية سواء أكان ذلك إدانة نظام سياسي عام، أو إدانة مؤسسة حزبية، وقد ظهر في الأردن هذا النمط من الروايات الذي يعزز هذا الاتجاه من خلال رواية: (أنت منذ اليوم)، لتيسير السبول التي أدانت الفكر السياسي العربي، وحملته نتيجة الهزيمة في عام 1967م، فقد جاءت هذه الرواية مشبعة بالسياسة بما يتلاءم مع نقطة تفجرها، وهي الهزيمة الكبرى أو النكسة التي انعكست في الرواية العربية، فأحدثت بذلك خلخلة توازي حجم الخلخلة في البناء الاقتصادي والاجتماعي من جهة، وفي الفكر العربي من جهة أخرى [3] ولعلَّ صور الإدانة تتجسد في هذه الرواية من خلال:

1. إدانة الحزب السياسي القومي الذي انتمى إليه عربي ثم خرج منه
2. إدانة سلب الحريات العامة

---

(1) حسن، عمار علي، النص والسلطة والمجتمع: القيم السياسية في الرواية العربية (د. ط) 2002م، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة، ص109-116.

(2) بايوش، جعفر، الأدب الجزائري الجديد – التجربة والمثال – المركز الوطني للبحث في الانثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، الجزائر، (د. ط)، ص222.

(3) الماضي، شكري، انعكاس هزيمة حزيران على الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، ص 178.

3. إدانة الإعلام العربي، وتحميله دوراً في النكبة [1].

2.1 الاتجاه السياسي في الرواية العربية

إنَّ المتتبع لمسيرة الرواية العربية، وعلاقتها بالسياسة . على وجه الخصوص . يرى أن دخول السياسة إلى الميدان الروائي جاء متدرجاً إلى أن ظهر كسمة بارزة في الرواية العربية؛ نتيجة حالة من المخاض التي عاشها الوطن العربي، بفعل ما تعاقب عليه من الحركات الاستعمارية، وهذا أدى بالضرورة إلى نضوج الوعي الفكري عند المثقفين خاصة مبدعي الرواية، والذين جاء نتاجهم الأدبي انعكاسا للواقع الذي يعيشه الناس يوميا.

يشير عبد المحسن طه إلى أن البذور الأولى للرواية السياسية العربية، انطلقت من الروايات الرومانسية، والتي تعد مدرسة التعبير عن الذات، فالمتأمل لرواية (عودة الروح) 1933م لتوفيق الحكيم، يرصد محاولة جادة من الكاتب التأكيد على تحرير الفرد المصري وإبراز وجوده المتميز واستقلاله الذاتي، ويظهر ذلك في الحوار شبه المسرحي الطويل الذي يدور بين مسيو (فوكيه) عالم الآثار الفرنسي، ومستر (بلاك) مستشار الري الإنجليزي حول عظمة مصر وحدودها، وأن مصر في انتظار الزعيم الموحد؛ كي تعود الروح إليها من جديد، فالأمة التي أتت بمعجزة الأهرام لن تعجز عن الإتيان بمعجزة أخرى أو معجزات [2] .

لقد أسهم في التيار التاريخي كثير من الأدباء، أمثال علي الجارم، وطه حسين، و أحمد علي باكثير، ونجيب محفوظ، وعبد الحميد جودة السحار، وفي مخيلتهم آيدولوجية قومية تقوم على الدفاع عن الوطن ومقدساته، وتجسيد شخصية البطل التاريخي المدافع عن دينه إزاء الغازي المحتل [3].

---

(1) رضوان، عبد الله، أسئلة الرواية الأردنية، دراسة في أدب مؤنس الرزاز الروائي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، عمان، 2002 ص 24-25.

(2) انظر، بدر ،عبد المحسن طه، تطور الرواية العربية في مصر (1870_1938)، ط3، دار المعارف، القاهرة،1963م، ص283.

(3) انظر، وادي، الرواية السياسية، ص40.

إنَّ المتغيرات التي ألمَّت بالوطن العربي بعد أحداث الحرب العالمية الثانية، سواء من جانب الاحتلال الأجنبي أو بعض القوى الوطنية المتحالفة معه، أدى إلى ظهور مذهب أدبي جديد يواكب حركة العصر، هو المذهب الواقعي، والذي يقوم على رؤية شاملة في جميع عناصر تجربته، فجاء الأدب الواقعي الذي تعدى مرحلة السخط والاحتجاج إلى مناصرة القيم الصاعدة، والفئات المكافحة من أجل الإصلاح والتغيير[1]

ولقد أتاحت الواقعية للرواية فرصة الازدهار على المستويين القومي، والعالمي، فقد أسهم الجيل الروائي الذي ظهر بعد الحرب العالمية الثانية في تأصيل ملامح هذا الفن، وإعطائه الطابع القومي، فانتقلت الرواية العربية من مجال العواطف إلى ميدان القضايا الحقيقية ومن إطار خصوصية الفرد المأزوم إلى مجال حياة الإنسان المناضل، فأصبحت تحمل دوراً تثقيفياً توجيهياً [2].

3.1 الاتجاه السياسي في الرواية الأردنية

لقد شهد الأردن خلال النصف الثاني من القرن العشرين العديد من التحولات الجذرية في كافة المجالات السياسية والاجتماعية والثقافية؛ بفعل الهجرة بعد نكبة عام 1948م التي دفعت معظم أفراد الطبقة الوسطى في فلسطين من تجار وصناع ومعلمين إلى الانتقال للمجتمع الأردني، وقد أحدثت هذه الهجرة السكانية تنوعا في القضايا التي تناولها الأدباء، ومنهم الروائيون على وجه الخصوص فلم تقف نكبة عام1948م وحدها في تحديد توجهاتهم، بل أسهمت هزيمة حزيران 1967م في إبراز وعي عميق نحو القضايا الوطنية والقومية على حد سواء.

وشكلت العوامل السياسية ومن أهمها هزيمة حزيران التي مرت بها المنطقة العربية والأردن على وجه الخصوص تأثيرا واضحا في الرواية الأردنية فقد أحدثت خلخلة في الشكل الروائي الذي تأرجح بين الشكل التقليدي للرواية وفن القصة، في

---

(1) انظر، وادي، الرواية السياسية، ص 41.

(2) انظر، وادي، الرواية السياسية، ص 45.

محاولة لإيجاد محتوى روائي جديد يعبر عن أثر الخلخلة في البناء الاقتصادي والاجتماعي من جهة، وما أصاب الفكر العربي من إحباط من جهة أخرى [1] .

والرواية الأردنية جزء من مسيرة الرواية العربية الحديثة تخضع لما تخضع له هذه الرواية من مؤثرات وتتأثر بما تتأثر به من تيارات واتجاهات. [2] .

فقد تناولت الرواية الأردنية منذ نشأتها أبعاد الفكر الوطني، الذي يدعو إلى حب الأرض في ضوء الهجمة الاستعمارية، خاصة الهجمة الصهيونية، كما ركزت على فكرة الانتماء الوطني والقومي عقيدة وسلوكا، فانخرط الشباب في التنظيمات السياسية التي رأوا فيها طريقا للخلاص سواء أكانت يسارية أم قومية أم وطنية أم دينية.[3].

وهنا لم يقف الروائيون الأردنيون على استبطان الهم المحلي الأردني، بل خرجوا برؤيتهم الروائية إلى الأفق العربي، فكانت رواياتهم عربية قومية أكثر منها روايات ذات موضوعات محلية [4].

لقد استجابت الرواية الأردنية لهزيمة حزيران نتيجة الزخم الروائي الذي نشط في الوسط اليساري، والقومي الأردني، فقد وجد الروائيون في العمل الروائي مساحة تعبيرية سهلت لهم فرصة إنجاز نصوص روائية تناولت في خطابها علاقات المثقف المقاوم، والشاب المناضل، وانكسار الأمة العربية، ويبدو جلياً من خلال ما قدمه تيسر السبول، وعودة القسوس، وغالب هلسا، ومؤنس الرزاز، وناصيف شنار من أعمال روائية [5] .

---

(1) انظر، الماضي، انعكاس هزيمة حزيران على الرواية العربية، ص178.

(2) انظر، السعافين، إبراهيم، الرواية في الأردن، منشورات لجنة تاريخ الأردن، عمان،1995م، ص11.

(3) الفاعوري، عوني، أثر السياسة في الرواية الأردنية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1999،1م، ص29.

(4) انظر، النابلسي، الرواية الأردنية وموقعها من الرواية العربية، ص153

(5) قبيلات، نزار، رواية ما بعد الحداثة في الأردن، ومأزق التحقيب، مجلة أفكار، منشورات وزارة الثقافة، العدد359، كانون الأول2018م، ص11 –3.

ولا يقف تأثر الرواية الأردنية عند هزيمة حزيران، بل أسهمت العديد من العوامل الداخلية في النهوض بها، ومنحها الأرض الخصبة للتطور والنضوج، من مثل ظهور العديد من المؤسسات الثقافية التي رافقت تأسيس الجامعة الأردنية إلى جانب حضور الإذاعة والتلفزيون في ترسيخ الأنشطة الثقافية، ودعمها [1].

وكان لحرب الخليج لاحقا (1991م)، وما رافقها من تغييرات وانقلاب في موازين القوى على كافة الصُعد، خاصة انهيار الاتحاد السوفيتي عام 1989م، الأثر البارز في تشكل مناخ خصب لكتاب الرواية في الأردن [2]. من أجل التعبير عن واقع الأمة السياسي، والاجتماعي، والاقتصادي، والثقافي، انطلاقاً من أن الرواية تعد من " أليق الأشكال؛ لحمل رسالة الآيديولوجيا وأيسرها تناولاً من هذه الناحية، بل أكثرها تأثيراً وأوضحها أثراً [3].

لقد بذل العديد من الروائيين في الأردن جهداً واضحاً، في تصوير حرب الخليج للكشف عن أسبابها وتفسيرها، وتجسيد فهم واعٍ للهموم والمشكلات الاجتماعية، والسياسية، وخرجوا برؤيتهم الروائية إلى أفق واسع ويظهر ذلك من خلال الأعمال الروائية المتمثلة برواية (الشظايا والفسيفساء) لمؤنس الرزاز (1994م)، ورواية (حوض الموت) لسليمان القوابعه (1994م)، ورواية (أبناء القلعة) 1990م، و(رباعية الزوبعة) 1994-1997م لزياد القاسم [4].

---

(1) السعافين، إبراهيم، الثقافة ودورها في تحديد مدينة عمان كمدينة معاصرة في مؤتمر عمان واقع وطموح، عمان، 28حزيران،1995م ص 9.

(2) انظر الشيخ، خليل، عن الرواية في الأردن وموقعها في مسيرة الرواية العربية، مجلة أفكار، الأردن، العدد4، المجلد1،1996، ص9 .

(3) انظر، الماضي، انعكاس هزيمة حزيران على الرواية العربية ص22-23.

(4) الحراحشة، منتهى طه، الرؤية والبنية في روايات زياد قاسم، رسالة ماجستير، جامعة آل البيت،1999م/2000م، ص 16.

كما ساعدت ثقافة الروائيين واطلاعهم على ثقافات الغرب، ومناهجه الأدبية المختلفة والتأثر بآيدولوجيات العالم المعاصر، والتطور الهائل في وسائل الاتصال الثقافي، وظهور الترجمة على التأقلم، والتكيف مع هذه التطورات واستيعابها، والخروج منها بنتاج روائي متميز. ينسجم مع وظيفة الرواية بأنها:" تعبير عن مجتمع متغير ولا تلبث أن تصبح تعبيراً عن مجتمع يعي أن يتغير" [1].

(1) بوتور، ميشال، بحوث في الرواية الجديدة، ترجمة فريد أنطوانيوس، منشورات عويدات، بيروت، ط1974،1 م، ص85.

الفصل الثاني:
المضامين والتشكيل

انشغل الروائيون الأردنيون بقضايا الفرد والمجتمع، وحملوا رؤى إصلاحية في كتاباتهم عبَّروا من خلالها عن مشكلات الواقع وتصورهم لحلولها، ووقفوا عند قضايا معينة دون غيرها ذات صلة بالواقع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي، ومشاريع النهضة المتعثرة، وقد برز في أعمالهم مواقف السياسيين من هذه القضايا وممَّا يدور حولهم، إذ استطاعوا من خلال رصد هذه المواقف تقديم رؤاهم النقدية والفكرية والثقافية وقد برزت في الأعمال المدروسة مواقف السياسيين من الحرية، والسلطة، والمرأة والإعلام، وذلك على النحو التالي:

1.2 موقف السياسي من الحرية

يحمل مصطلح الحرية عند الفلاسفة العديد من المفاهيم المتقاربة، فقد جاء عند اليونان بمفهوم الانفلات من قبضة الآلهة التي تتآمر على مصائر البشر وأقدارهم، وسعي الإنسان المستمر لمجابهة القدر، والتحرر منه، الأمر الذي أدى إلى المناداة بالحرية المطلقة للإنسان، فقد صارت تلبية رغبات الإنسان الفرد غاية في حد ذاتها، ومنتهى سعادته "[1]. ولا يشمل مصطلح الحرية الفرد بل يتناول الجماعة، فهو مطلب جمعي يهدف إلى "انعتاق الإنسان من عبودية أخيه الإنسان، وانعتاق الشعوب من عبودية الشعوب الأخرى" [2].

تُعد الحرية القيمة الأساسية الأكثر ارتباطاً بالأدب، فقد أشار النُّقاد إلى أن الأدب والحرية مترادفان [3] انطلاقاً من أن رسالة الأديب تقوم على توطيد أركان الحرية،

---

(1) شوقا، إبراهيم، منهج القرآن في تقرير حرية الرأي دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1،2002م ص71.

(2) الخياط، عبد العزيز، الحرية السياسية في الإسلام بين الحقوقية والعالمية، مؤسسة آل البيت، 1997م، ص109.

(3) المدني، عزالدين، الأدب والحرية مترادفان، مجلة الموقف الأدبي، السنة الثانية، ص184.

فالعمل الإبداعي عمل حر وبالتالي يقود إلى سلوك إبداعي، بفعل المتغيرات الاجتماعية ودخول التكنولوجيا وأثرها على حجم وشكل الحريات بما فيها حرية وتحرر النصوص الإبداعية من سطوة الضغط الجمعي، ومن هنا نجد أن سارتر رغم مناداته بالالتزام لم يتجاهل الطبيعة لذلك لم يغفل الالتزام بالحرية معتبراً أن الكتابة طريقة من طرق التعبير عن الحرية، انطلاقاً من قوله: " حرية الاختيار قسمة مشتركة بين الكتُاب جميعاً ملتزمين وغير ملتزمين، وهي أساس المطالبة بالالتزام " [1].

تتخذ أزمة الحرية صوراً كثيرة في دوائر متداخلة متقاطعة، تشي بتعقيد دلالاتها، وتراكم تراكيبها، لعلَّ من أبرز مظاهرها الرئيسية، وصورها المحسوسة: غياب الديموقراطية، وممارسة العنف السياسي، وإشكالية المثقف والسلطة، والاغتراب والاستلاب النفسي، والرقابة والمطاردة، وغيرها مما يذكي نمو هذه الظاهرة المرضية، وتطورها بوصفها حالة مركبة ممتدة الأثر والتأثير [2].

لقد استطاعت الرواية الأردنية تصوير أزمة الحرية في وطننا العربي، ومناقشة العديد من صور القمع، والتعذيب، والمطاردة، والمحاصرة، والوقوف في وجه صنوف القمع السياسي الذي يصادر حرية القرار لدى الفرد والجماعات على حد سواء، ومن الشواهد الدالة على ذلك ما يظهر عليه السياسي من حالة ارتباك وتحديد للمواقف بشكل جلي، وهنا يتجسد الإحساس بالحرية، وفق حالة من الضبابية وغياب الرؤية، فيتصرف (عربي) الذي جسده السبول في رواية (أنت منذ اليوم) إنساناً يحاول البحث عن الحرية، وإنتاج واقع جديد، فهو يطلق العنان لاختياره خلال انضمامه للحزب، والموافقة على أهدافه، لاعتقاده أن الأحزاب تملك علاجا للأزمة التي أصابت الأمة، وهذا الإيمان المطلق يقوده بالضرورة إلى الوفاء بما آمن به من أفكار أثناء تأدية القسم، الأمر الذي أدى به إلى شعور غير واضح لكنه كان شعوراً رائعاً وفق ما يرى،

---

(1) سارتر، جان بول، ما الأدب، ترجمة محمد غنيمي هلال، دار العودة، بيروت،1984م، ص56.

(2) الشوابكة، سمية سليمان، الرؤية السياسية والتشكيل الفني في رواية السجين السياسي "الإسوار نموذجاً "، مجلة دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 39، العدد1،2012م، ص38.

ولعلَّ في هذا الشعور محاولة جادة للخروج على نمط رتابة الحياة بعد سلسلة الهزائم التي لحقت بالإنسان العربي. ولم يقتصر مبدأ الإيمان بالحرية الفردية لدى (عربي) وحده بل نراه يسعى جاهدا لترسيخ مبدأ الحرية الجماعية والحث عليه بين المحيطين به فنجده يسأل أمه باستمرار عن سبب قبولها لسطوة أبيه وتحملها لضربه وإهانته لها.

إنَّ الحرية التي ينشدها السياسي لخلق واقع جديد غالباً ما تقوم على الشعارات ولا تحمل في ذاتها خطة عملية تسعى للتغيير الجذري، سواء أكان ذلك على مستوى سلوك الفرد أم سلوك الجماعات، فالأحزاب الواعية التي تهدف إلى خلق التنوير داخل المجتمع تقوم على إعداد الخطط والخطب التي تثير الحماسة، وإذا اعتمد الأمر على التنفيذ الفعلي، تقف عاجزة أمام ذلك، ووفق أحد الدارسين "فقد أدان عربي فلسفة الحزب التي تدعو إلى صنع منافض للسجائر من جماجم المعارضة في الوقت الذي ينادي فيه الحزب بالديموقراطية والحرية ورمي المعارضين بالشعوبية والعمالة" [1].

يظل البحث عن الحرية الحقيقية بعيدا عن الشعارات الجوفاء حلما مستحيلا بالنسبة لعربي بفعل انزياح العديد من مؤسسات المجتمع المدني عن دورها الحقيقي في النهوض بالأمة، والشواهد الدالة على هذا التحول كثيرة من خلال تصوير هشاشة بناء المجتمع، فالمؤسسات المجتمع المدني وجهت جهدها إلى تناول القضايا السطحية في المجتمع متناسية قضية الانهزام التي تعيشها الأمة، وضياع وقت الشباب في المقهى يلعبون النرد وقيام الانقلابين بالصراخ في المذياع عن انتصاراتهم[2].

ولكن يظل (عربي) أمام الحرية المنشودة ومشروع الإصلاح الذي يبحث عنه حائرا، ويظهر ذلك بما يقدمه الراوي من تحليل لنفسيته من خلال توظيف ضمير الغائب، وقد أحب أن يحمل وشم دولة قوية "**غير أن الكراسات الحزبية تضجره. لقد عرف بأنها متشابهة ولا معنى لتوزيعها كل أسبوع. يسقط الاستعمار. نعم لكن كيف، لم تكن الكراسات مفصلة ولم تحمل له الاكتفاء** " [3].

---

(1) الفاعوري، أثر السياسة في الرواية الأردنية، ص56.

(2) الفاعوري، أثر السياسة في الرواية الأردنية، ص56.

(3) السبول، تيسير، أنت منذ اليوم، دار أزمنه، عمان، ط2،2017م، ص36.

يصطدم (عربي) في طريق تحقيق الحرية، بعدم امتلاك منهج واضح للتغيير، فحتى تحقق الأمة الانتصار عليها معالجة مشاكل الفرد ذاته، ثم الانتقال إلى المجتمع بكل أنظمته، وقوانينه التي تكبت الفرد، وتصادر حريته. في الوقت الذي ترى فيه الدولة كل محاولة جادة لخلق واقع أفضل هي بمثابة حركة مضادة تمس أمن المجتمع وكيانه وفق ما تعلن للجماهير، غير أن الحقيقة لديها هو الخوف من فقدان السلطة ويظهر ذلك جليا في قول الأديب:

" **أخي ... الأزمة أزمة ديمقراطية، إسرائيل والاستعمار قضية ثانوية. الأزمة هُنا ... في الداخل، الديمقراطية** " [1] .

يقدم الأديب نقدا واضحا للداخل العربي من خلال غياب الحريات العامة المتعلقة بتنظيم الأحزاب، وكذلك غياب الحريات الفردية حيث استلاب الإنسان الفرد، ومصادرة حرية الاختيار لديه، وكذلك حرية التعبير وحرية ممارسة العمل الحزبي أو السياسي، وهذه المنجزات إن تمَّ تحقيقها ستصبح قضية مواجهة الاستعمار من القضايا الثانوية التي يسهل التغلب عليها، لكن غيابها أدى بالضرورة إلى حدوث الهزيمة.

ومن الشواهد الدَّالة على الثمن الذي يدفعه السياسي مقابل المطالبة بالحرية، ما يقدمه(الدكتور مراد) في رواية (اعترافات كاتم صوت)، بقوله:

" **فتحت درج مكتبي وجدت المسدس يرقد على حاله، لماذا لم يصادروه، حين فتشوا البيت ونبشوه؟ لماذا صادروا الكتب وصوري، ولم يصادروا المسدس؟ أعرف الجواب وأعرف أنهم لن يطلقوا سراح زوجتي وابنتي إلا إذا مت، والمسدس أمام عيني. نهايتي تعني حرية زوجتي وابنتي** ..." [2].

يقدم النص السابق نمطا من إخضاع السياسي لتجربة اختبار حقيقي في تحديد مصير حياة أسرته، فهو إما أن يظل تحت وطأة الإقامة الجبرية مع أسرته، وبذلك يصادر حق الجميع في تحقيق الحرية العامة، أو يلجأ للانتحار من خلال المسدس الذي تم وضعه في درج مكتبه، وهنا يحقق الموت رغم سلبيته الحرية العامة للأسرة

---

(1) السبول، أنت منذ اليوم، ص 49.

(2) الرزاز، مؤنس، اعترافات كاتم صوت، منشورات وزارة الثقافة، (د.ط)، ص 14.

وكذلك الخلاص من الإقامة الجبرية، وممارسة الحياة الاعتيادية بعيدا عن السياسة وعواقبها.

ومن النماذج التي ترصد غياب الحرية في ظل الاستعمار ما تقدمه رواية (زمن الخيول البيضاء) من تأكيد على أنَّ الاستعمار نظام سيطرة لا يؤمن بالحرية، ويظهر ذلك في ممارسات الضابط الإنجليزي (بترسون) والذي وصفه الراوي قائلا:

" **فتشها بيتاً بيتاً، لم يعثر على شيء، نظر فوجد سبعة رجال أمام حائط، أمر جنوده بإطلاق النار عليهم، وحين انتهى قال لجنوده: ولكن لماذا اصطفوا كلهم أمام هذا الحائط، وصمت لحظة ثم قال: لم يخطر ببالي أن أقتلهم، ولكنهم وقفوا أمام الحائط ... ثم صرخ إن لم تتعاونوا معنا فكلكم متهمون في هذه القضية** " [1].

يعكس النص السابق حالة من غياب الوعي وقسوة المستعمر فقد اعتاد الناس على استلاب حرياتهم حتى أصبحت واقعا معاشا يمارسونه دون وعي، وهذا الاستسلام المفرط دفعه إلى قتلهم رغم عدم تفكيره بذلك مسبقا، ولا يقف المحتل عند مصادرة الحرية الفردية لأشخاص بعينهم لإجبارهم على التعاون معه بل يتوسع في سياسة القمع لتشمل المدن والقرى، وهذا ما يقدمه الراوي في حديثه عن قرية الهادية قائلا:

" **لم تعش الهادية من قبل ليلة مثل تلك، تمنى الناس أن تنتهي أو يموتوا لا فرق تمنوا أن يخرجوا من جحيم تلك اللحظات إلى الأبد**" [2].

يظل الإنسان المقاوم، والمتمسك بأرضه والباحث عن الحرية يشكل في نظر المستعمر حالة من القلق اللامتناهي رغم تغييب الموت له، وحالة القلق هذه تبدو جلية في ما كتبه (بترسون) في رواية (زمن الخيول البيضاء) بعد مقتل (حمدان) صانع القهوة في بلدة الهادية، فقد دوَّن كاتباً:

" **وجهك الأزرق كالبحر/ ليس فيه سوى أسماك القرش/ ذراعاك المفتوحتان كفضاء/ وحديثك المنهمر كشلال/ هل باح لي بغير الصمت** "[3].

---

(1) نصر الله، إبراهيم، زمن الخيول البيضاء، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط17، 2018م، ص363.

(2) نصر الله، زمن الخيول البيضاء، ص 364.

(3) نصر الله، زمن الخيول البيضاء، ص370.

يظل مشهد قمع الحرية يمثل نمطاً مستمراً في سياسة المحتل الأجنبي، وهذه الحالة من القمع تسهم بشكل جلي في بقائه، فلا صوت يعلو فوق صوته، فهو صانع الأمن، وملهم الحياة للناس الذين ينضوون تحت لوائه بقوة الحديد والنار، حتى أنه يوظف السلطة الدينية؛ لمنحه الشرعية في كل الأعمال التي يقوم بها، وليس أدلَّ على ذلك مما قاله الشيخ (سالم) في رواية (زمن الخيول البيضاء) مخاطباً رجل الكنيسة:

" **الخدمة الوحيدة التي تقدمها بريطانيا العظمى للناس ليست سوى سعيها لتحويلهم إلى عبيد يعملون في أراضيهم؛ ليواصلوا دفع الضرائب التي تؤمن ثمن الرصاص الذي يقتلهم، وحبال المشانق التي تلتف على أعناقهم، والهراوات التي تلتهم لحمهم بلا رحمة ...**" [1].

وأمام مشهد القمع الذي يمارسه المحتل تظل صورة الحرية وفق ما يراها المناضل العربي، صورة تستند للفعل على أرض الواقع، لا مجرد أقوال وخطب رنانة تهدف إلى إثارة الجماهير عاطفياً، وسرعان ما تنتهي، وفق رؤية إيليا راضي في رواية (زمن الخيول البيضاء) إذ يقول:

" **كل الذين دافعوا عن الوطن ماتوا إما على المشانق، أو برصاص اليهود والإنجليز، أما هؤلاء الزعماء فلا يموتون سبحان الله إلا موتة ربهم** "[2].

وفي قول (إيليا راضي) نقد لاذع للزعامات التي هي صنيعة المحتل، وهو يقصد أن صنع الحرية للأوطان المحتلة يكون بالقتال، فسياسة التفاوض التي تمارسها السلطات لا تصنع واقعا على الأرض، فالحرية تتطلب وفق قوله ثمنا غاليا هو الدماء؛ ولذا بات لزاما على السلطات المصطنعة عدم الإيمان بحرية الشعوب التي تحكمها، وهنا تبقى الحرية هاجساً في نفوس المتنورين الباحثين عن واقع جديد، بيد أن تراكمات الواقع من أنظمة سياسية، وكبت للحريات تظل حجر العثرة في طريق رسم المستقبل، فلا تعدو الحرية أن تكون مجرد شعارات زائفة تتغنى بها السلطة أمام دول العالم المتحضر، ولعل مردَّ ذلك كما جاء على لسان عربي في رواية(أنت منذ اليوم) بقوله:

---

(1) نصر الله، زمن الخيول البيضاء، ص 395.

(2) نصر الله، زمن الخيول البيضاء، ص 397.

" **ماضينا يلمع، وهذا الأهم لا لشيء إلا لأننا جمعنا المتخلف والفاسد إلى جانب المضيء والفاعل سواء بسواء، وأوهمنا أنفسنا بأننا في حاضرنا وراهننا، سنقيم دولة عظيمة نحمل وشمها! هل كنا بلغنا حد أن نخدع حتى أنفسنا؟**" [1].

وهُنا تظل الديموقراطية حلماً قد يطول انتظاره، فعندما سئل عربي عن الديموقراطية، جاء الرد بقوله: " **كل الفستق كان معفنا** " [2].

يدفع البحث عن الحرية السياسي إلى البحث عن المنفى؛ بعيداً عن وطنه الذي يلاحقه، ويصادر إرادته، ولعلَّ في هذا الهروب تحقيق للثوابت التي آمن بها السياسي على الدوام، لكنها تؤدي في النهاية إلى القلق الدائم لمن حوله ويظهر ذلك على لسان أم أحمد زوجة الدكتور مراد في رواية (اعترافات كاتم صوت) التي تقدم العديد من التساؤلات حول مصير ابنها قائلة:

" **ولكن أين هو الآن يا ربي، قال: إنه لا يريد أن يبقى هُنا، قال: إنه يريد أن يدرس في بيروت، ماذا لو انضم إلى المقاومة، كم بكيت يوم ذاك ...ولكن حظه في السماء الله يحبه ويحبنا، نجاه لنا، نفذ بجلده من هذا المصير المفجع** "[3].

لا يقف السعي في البحث عن الحرية على الفرد وحده، بل يتجاوزه ليمثل هماً جمعياً، فالحرية مطلب الشعوب كما هي مطلب الأفراد، ولعل في ذلك حالة من مراجعة الذات، وإعادة ترتيب الحاجات والأولويات، وفي هذا الجانب يأتي صوت معاوية العمر في رواية (الطريق إلى سحماتا) قائلاً:

" **إننا للارتحال، إننا للغربة، إن جرثومة الاغتراب استقرت فينا، ولا تبرحنا بعد حادثة الرحيل، هذه الجرثومة لن تبرحنا أبداً، حتى لو عدنا إلى نبع الذكريات، حياتنا كلها أصبحت ذكريات** "[4].

---

(1) فركوح، إلياس، من الهامش إلى المتن، رواية أنت منذ اليوم، ص 91.

(2) فركوح، من الهامش إلى المتن، ص92.

(3) الرزاز، اعترافات كاتم صوت، ص 26.

(4) السعافين، إبراهيم، الطريق إلى سحماتا، الأهلية للتوزيع والنشر، عمان، ط1،2017 م، ص32.

يبدو مصطلح الحرية مصطلحاً متجانساً في فكر السياسي، فالحرية يبحث عنها الإنسان أينما وجد لا تعيقها الحدود والحواجز، يناضل الجميع في الحصول عليها مهما بلغ ثمنها، فهي قضية غير قابلة للمتاجرة، أو البحث عن الأضواء إذا آمن بها السياسي إيماناً عميقاً وهذا ما أكده (أحمد مراد) في (رواية اعترافات كاتم صوت) في حديثه مع (يوسف) الذي عرض عليه استضافة صحفية له، كي يعبر عن حالة القمع والنفي التي لحقت به وأسرته، فكان رده أن الحرية:

" **قضية ولا تقاس بمقياسين مختلفين ولا بمكيالين مختلفين** " [1].

والسياسي في سعيه إلى الخلاص بالموت لا يحقق حريته وخلاصه، بل يترك خلفه قضايا أمته معلقة متأزمة لمن بعده، ويظهر ذلك في حديث (الدكتور مراد) في رواية (اعترافات كاتم صوت) بعد وفاة ابنه في الخارج، والذي مثل للأسرة دائماً خيط حرية لهم، وأملاً في التحرر والخلاص قائلا:

" **نحن أيضاً نشعر بالحرية المفجعة الآن، وأن آخر خيط من خيوط آمالنا قد انقطع. لكن حريتنا ليست حرية الانتحار إنها حرية الاختيار والحسم** "[2].

2.2 موقف السياسي من السلطة

يعد الأدب شكلا من أشكال مقاومة الكبت والقهر الذي قد تفرضه السلطة الغاشمة على الجماهير، فالأدب يعد متنفساً يتيح للأديب التعبير عما يجول في ضميره اتجاه السلطة، وهو ميدان خصب للبوح بأحاسيسه مباشرة هروباً من سلطة الرقيب التي قد تعرضه للمساءلة والملاحقة، وبهذا التوجه يستطيع الأديب إيصال صوته للجماهير؛ بهدف خلق التنوير، ومحاولة بناء وعي جديد.

إن علاقة السياسي(المعارض) بالسلطة علاقة قائمة على التنافر والقطيعة، وقد استطاعت الرواية العربية، تجسيد هذه العلاقة في العديد من الصور والأشكال، والرواية الأردنية شأنها شأن الرواية العربية، قد حفلت بالعديد من النماذج التي تعبر عن هذه العلاقة، فالسياسي العربي المعارض في نظر السلطة، يعمل على زعزعة أمن

---

(1) الرزاز، اعترافات كاتم صوت، ص157.

(2) الرزاز، اعترافات كاتم صوت، ص 178.

المجتمع واستقراره، وهو في توجهاته خطر على الأمن، وضرب لثوابت المجتمع القائمة على الثبات، والاصطدام مع السلطة يفضي بالسياسي المعارض إما إلى الموت أو النفي، وكذلك التضييق المادي في كل سبل العيش. ويبدو ذلك في قول (وائل البري) في رواية (الطريق إلى سحماتا):

" **لقد طردوا في بلدي مائتي أستاذ من كبار أساتذة الجامعة بجرة قلم، لأنهم يختلفون في أفكارهم ورؤاهم هؤلاء من خيرة العقول في مختلف التخصصات، لم نحمل في وجه النظام السلاح، ولم نتآمر عليه، كنا نخدم الوطن في أهم مفاصله. ماذا فعلنا؟** " [1].

ولا تقف السلطة عند حدود النفي للسياسي المعارض، بل تستخدم شتى الأساليب لتشويه صورته حتى في بلد المنفى الذي يتوجه إليه في محاولة لطمس حضوره، والقضاء على رأيه من خلال أذرع إعلامية توظفها السلطة للنيل منه، فقد تم وصف (وائل البري) بأنه جاسوس جندته وكالة الاستخبارات؛ ليعمل لصالحها ضد النظام وخدمة للصهيونية وفق ما أشار إليه (رياض) في حديثه [2].

إنَّ علاقة السياسي بالسلطة لا تقف عند القطيعة والنفي، فهي علاقة مد وجزر، يتجاذب طرفيها صراع المصالح وردود الأفعال، فقد عاش (الدكتور مراد) في رواية (اعترافات كاتم صوت) المنفي داخل منزله هذا الشعور، واصفاً السلطة بقوله:

" **جد ... إنهم يعاملوننا كما يعامل فئران المختبرات، لا، وضعنا أشبه ما يكون بكلب بافلوف والجرس** "[3].

فعلاقة السلطة مع السياسي هُنا علاقة (المثير والاستجابة) تمارسها السلطة في أبسط متطلبات الحياة؛ أملاً في خلق انكسار وهزيمة داخل نفسية السياسي، وأمام ما تمارسه السلطة من سياسة الاحتواء يوطن السياسي نفسه على التأقلم مع واقعه مؤقتاً؛ حتى يصل إلى ما يصبو إليه من طموحات، وهذا ما يعكسه (الشهبندر) في الرواية

---

(1) السعافين، الطريق إلى سحماتا، ص 13.

(2) انظر، السعافين، الطريق إلى سحماتا، ص 13.

(3) الرزاز، اعترافات كاتم صوت، ص 23.

التي تحمل نفس العنوان، وقد حاول توظيف الواقع بكل ظروفه؛ لإحداث التغيير الذي يسعى لتحقيقه بقوله:

" **ما العمل إذاً لا مناص من استخدام الأساليب الممكنة كافة، لنفهم ما يمكن إدراكه من حركة قوى الكون، والاستفادة منها قدر الممكن، بدلاً من السير عكس الاتجاه** "[1].

وفي هذا التوجه دعوة من (الشهبندر) للسياسي لممارسة سياسة الاحتواء المعاكسة حتى يمضي في تحقيق مشروعه السياسي، وقد لا تعبأ السلطة السياسية في كثير من الأحيان بما يقدمه السياسي لها من مقترحات وتوجهات حتى وإن كانت هذه التوجيهات صائبة؛ عناداً منها ورفضاً للاعتراف بنواحي التقصير التي قد تقع فيها، موظفة بذلك أجهزة الإعلام الرسمية التي اعتادت أن لا تظهر الحقيقة كاملة، وهذا ما يفسر حرص معاوية العمر في رواية (الطريق إلى سحماتا) في كثير من الأحيان على سماع الأخبار من محطات مختلفة، فقد كانت " **هزيمة حزيران درساً له في سماع الأخبار حين احتلت إسرائيل بقية فلسطين ، أصبحت كل فلسطين محتلة، كان أحمد سعيد يقول: إن طائراتهم تتساقط كالذباب، وإذ نحن بلا طائرات ... دمرها العدو وهي جاثمة في قواعدها . قال بحدة: لن أعيد حكاية الطائرات والذباب** " [2] .

وفي ظل هذه القطيعة القائمة بين السياسي الذي يحمل هماً وطنياً وواقعاً معاشاً يسعى إلى إصلاحه، والسلطة المتمسكة بتوجهاتها حفاظا على كرسي الحكم. يبقى السياسيون في نظر معاوية العمر "**لا فائدة منهم؛ لأنهم ليسوا أصحاب قرار، يريدون أن يداروا وأن يماشوا، أما الفعل الحقيقي، فهو عند أصحاب العمل ...إن الفدائيين هم الذين يحررون فلسطين من البحر الى النهر** " [3]. فالسياسة الحقيقية كما يراها معاوية العمر تختلط في كل الأدوار، وتمارس في كل الظروف، فقد بات لزاماً " **أن يكون المقاتل سياسياً والسياسي مقاتلاً، فمن المستحيل رؤية سياسي في التاريخ**

---

(1) غرايبه، هاشم، الشهبندر، دار الآداب للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2003م، ص 336.

(2) السعافين، الطريق إلى سحماتا، ص118.

(3) السعافين، الطريق إلى سحماتا، ص156.

تـرك خيـار القتـال "[1]. وهنـا يؤكـد (معاويـة العمـر) علـى أن العمـل السياسـي مـنهج متكامل يقوم على التفاوض المدعوم بقوة المقاومة على الأرض.

ويؤكد السياسي ضعف السلطة، وانهيار دورها اتجاه المجتمع الذي تمثله، وهذا عائد إلى السعي وراء المصالح الفردية من قبل الزعامات الشعبية التي لا تحمل في نفسها هماً وطنياً قومياً بل همها الوصول إلى السلطة، وتحقيق الرغبات الذاتية، والثراء على حساب الفرد والمجتمع، ويبدو ذلك جلياً من خلال التناقض بين الآراء السياسية، فما يدور في الخفاء، يختلف تماما عما يدور على الأرض من معارك وحروب، ويظهر هذا التشخيص للحالة جلياً في قول (معاوية العمر) أثناء حواره مع الرائد (ناصر أبو النمر):

" **قضيتنا سلسلة من الخيانات، نعم هي مسلسل من الإحباطات، لا يا ولدي الحق لم نحبط بذلنا الدماء.. بذلناها، ولكن في أغلب الأحيان بلا طائل، دماء الشهداء يا بني مسيجة بالذمم الخاربة، والزعامات الفاسدة** " [2].

ولعل في تحليل (معاوية العمر) لضياع تضحيات المقاومين على الأرض نقد جلي للسلطة التي تلجأ إلى التفاوض في سبيل تحقيق مصالح أفرادها، بصرف النظر عن التضحيات التي بذلها المقاومون في ساحات القتال؛ انطلاقا من أن هذه الزعامات لم تأت بخيار الديموقراطية والانتخاب، ويبدو في هذا التباين الجلي بين خيار المقاومة والتفاوض، انعكاس لحالة الاغتراب ما بين السلطة وكتائب المقاومة، إذ يظل مصير السياسي معلقاً فهو وإن آثر الرحيل والاغتراب عن وطنه، فإنه يظل ملاحقا؛ لأن السلطة تملك العديد من الأذرع التي تطال معارضيها. وتظهر مطاردة السلطة للمعارضين من خلال توصية الأم لأحمد بترك السياسة؛ حفاظاً على حياته في رواية (اعترافات كاتم صوت) وقد جاء رده لها، بقوله: " **إن الناس في الخارج لم ينسونا**"[3].

---

(1) السعافين، الطريق إلى سحماتا، ص156.

(2) السعافين، الطريق إلى سحماتا، ص 235.

(3) الرزاز، اعترافات كاتم صوت، ص35.

فالسياسة تشكل هاجساً مقلقاً، خاصة إذا كانت تعارض السلطة القائمة وتنتقد أدوارها فهي في نظر الأم:" **طاحونة لا دين لها تطحن الأخضر واليابس** "[1].

وتلجأ السلطة في أغلب الأحيان لمبدأ كسر التوقعات، فيأتي التوجه العام لها مخالفاً لما يتوقعه السياسي المنضوي في صفوف المعارضة، فيظهر قرار السلطة في ظاهره حاملا المصلحة العليا للوطن، إلا أنه في حقيقة الأمر مبني على ما ينتاب الأمة من حالة ضعف وانكسار. حتى ظاهر الحروب التي اتخذتها السلطة لحماية الأرض، والمجتمع تحمل في خفاياها ما يصدم التوقعات، انطلاقاً من أن السياسة هي لعبة مصالح ومكاسب، وفق ما يراه (معاوية العمر) في رواية (الطريق إلى سحماتا) بقوله:

" **والله إنها كانت حرب تحريك، ولم تكن حرب تحرير، كلام متفق عليه بين العرب وأمريكا** " **العرب لا يقطعون خيطاً من دون مشورة أمريكا، لن تضحي أمريكا بمصالحها ومصلحتها مع إسرائيل لسواد عيون العرب، قلت للرائد ناصر أبو النمر: العرب نفسهم طويل، مع أول غارة يحسبون للكراسي ألف حساب، الكراسي دائماً مهتزة، لأن أصحابها لم يجلسوا عليها بإرادة الشعب**" [2].

ويلجأ السياسي أحيانا في تعامله مع السلطة السياسية إلى أخذ مبدأ المصالحة الآنية، حتى تتم عملية تحقيق المصالح الذاتية على مستوى الفرد، أو على مستوى الحزب، ولعلَّ مرد هذا إلى الشعور باليأس من الإصلاح الذي ينشده السياسي أو التغييرات التي قد تطرأ على الأنظمة، وهذا ما أشار إليه صراحة رفاق جبران السياسيين في رواية (عندما تشيخ الذئاب) وقد سجنوا معه بداية السبعينات في سجن الجفر بقولهم : " **أساليب العمل السياسي تغيرت، التغيير لم يعد ممكناً إلا إذا شاركنا في صنع القرار، أشكال النضال القديمة انتهت منذ إلغاء الأحكام العرفية، وإقرار قانوني الانتخاب والأحزاب، لا فائدة من مواجهة الحكومات، يجب أن نعمل من داخلها لإجراء التغيير الذي كنا نطالب به ونحن في السجون وخارجها، نريد وزيراً في الحكومة هذا حقنا...** "[3] .

---

(1) الرزاز، اعترافات كاتم صوت، ص25.

(2) السعافين، الطريق إلى سحماتا، ص 154.

(3) ناجي، جمال، عندما تشيخ الذئاب، منشورات وزارة الثقافة، عمان، ط1،2008 م، ص287.

يحيل النص السابق إلى ديناميكية السياسي الأردني المعارض الذي خبر السجون والتهميش، وقد أقدمت الدولة على تغييرات للصالح العام تمثلت بقوانين الأحزاب والانتخاب وإلغاء الأحكام العرفية، فتقدمت بذلك على المعارضة لصالح الناس ففهم المعارضون ذلك، فتخلوا عن فكرة مواجهة الحكومة ورأوا أن الانضواء تحت راية الإصلاح أنفع لهم، فبدأوا بالسعي نحو المشاركة السياسية وخدمة المجتمع وتطويره وتغييره من خلال ذلك، غير أن السلطة بدأت تقرب من تراه يخدم مصالحها، وتستبعد غيره أي عملت على تفكيك المعارضة من الداخل، وهذا ما تمَّ الحديث عنه صراحة مع جبران أبو بصير الذي يمثل اليساريين من أجل إشراكه في الحكومة بعد " **ازدياد نفوذ الإسلاميين في مجلس النواب وفي الشارع** "[1] .

إنَّ حالة الصراع التي يتناولها (جمال ناجي) في رواية (عندما تشيخ الذئاب) ترصد فترة تاريخية مهمة في المشهد السياسي الأردني من خلال الصراع الحزبي في ظل حالة من التحولات السياسية التي شهدتها المنطقة العربية، ممثلة بالحرب العراقية الإيرانية، وحرب الخليج وما نتج عنها من تعدد في المعسكرات، والأحلاف السياسية في المنطقة، وهذا بالضرورة دفع السلطة إلى التوجه لخلق حالة من التوازن في المشهد السياسي، وبما يضمن تحقيق سياستها دون عوائق وعقبات.

ويظل صراع السياسي مع السلطة قائما أملاً في تغيير الواقعً في نظر الكثير من السياسيين الذين يحملون الهم الجمعي لمعاناة المجتمع الذي ينتمون إليه وهذا أمر طبيعي في الوقت الذي تسعى فيه نخبة منهم لتحقيق مصالحهم الفردية، ونجد في تغير النمط السياسي الذي انتهجه (جبران) ورفاقه نموذجا دالا على هذا التوجه، والذي شكل صدمة للكثيرين من الرفاق في الحزب حتى أن أحد الرفاق ممن عانى ويلات السجن عبَّر عن ذلك بقوله:

" **ما تقولونه يعني أننا كنا نناضل من أجل استلام السلطة، أو حتى هامش من السلطة** "[2].

---

(1) ناجي، عندما تشيخ الذئاب، ص:288.

(2) ناجي، عندما تشيخ الذئاب، ص: 288.

وتكشف الرواية الأردنية عن نمط من السياسيين الانتهازيين، الذي يسيرون بخط متواز مع تيار السلطة تلبية لمصالحهم، وتحقيقاً لرغباتهم، وفي لحظة الخروج عن خط السلطة يبدأ الجفاء، وتضارب المصالح، فيتم تقديم السياسي من هؤلاء فداءً للحفاظ على هيبة السلطة، وإظهاراً لصورتها الناصعة في نظر المجتمع الذي تحكمه، ويأتي وصف الحال على لسان (عبد الحميد الجنزير) في رواية (عندما تشيخ الذئاب) بقوله : " **طالما أن صاحب المنصب واقف على قدميه، فلا أحد يسأله عما يفعل، أما إذا وقع، فإنَّ الجميع يتنكرون له، خوفاً على مصالحهم، ومسموعاتهم، الحكومات مستعدة لجزر واحد من المسؤولين إذا انكشف أمره، كي تبدو أمام الناس نزيهة حريصة على المصلحة العامة ...** "[1].

كما أن تعدد الأحزاب والتنافس بينها يخلق للسلطة حالة من الاستقرار والتوازن، والتحكم بمسار الحياة السياسية للدولة التي تحكمها، ويظل التنازع قائماً بين الأحزاب، فوفق ما يشير إليه (جبران أبو بصير) في صراعه الآيديولوجي مع (الجنزير)، تظل الأحزاب في حالة صراع مستمر ودائم وفي النص التالي ما يرصد التغير الاجتماعي والوعي السياسي لدى الناس مقارنا بين مرحلتين، إذ يقول جبران:

" في **ستينيات وسبعينيات القرن العشرين، كانت الحياة أيسر من أيامنا هذه، الناس كانوا أكثر انفتاحاً رغم التضييق السياسي، المفاهيم كانت أكثر تطوراً، وتطبيقاتها تدعو إلى الطمأنينة، السياسيون أكثر نضجاً وترفعاً عن الدسائس والصغائر** ..."[2].

ونجد في حديث (جبران) نقدا لآيدولوجية الأحزاب في الوقت الحاضر، فقد أصبح محركها الأساسي مصلحة الفرد المتزعم للحزب ومن حوله، في حين كانت الأحزاب في الماضي تؤمن بالهم الجمعي، وتسعى لنصرة قضايا الناس المصيرية برغم كل ما يطارد هذه الأحزاب من قمع، وتعذيب وسجن، الأمر الذي دفعها في كثير من الأحيان إلى أن تنفذ برامجها من تحت الأرض، أما اليوم فالأحزاب ذات برامج مكشوفة، يمكن التأثير عليها، واختراقها من قبل أجهزة السلطة.

---

(1) ناجي، عندما تشيخ الذئاب، ص200.

(2) ناجي، عندما تشيخ الذئاب، ص 241

والسلطة كما ظهرت في الرواية الأردنية لا تقوم في سبيل فرض سيطرتها على أنظمة المجتمع بتوظيف سلاح القمع القائم على الالتزام المفرط للقوة، بل تعمد إلى تنويع الأساليب، فتلجأ إلى شراء ولاء السياسي وتدجينه، محاولة ضمه إلى صفوفها، وعادة ما تنجح سياسة الاحتواء في كثير من الأدوار، وهذا النجاح مرهون بطبيعة شخصية السياسي الذي تتعامل معه السلطة، هل هو في حالة احتجاجه يحمل هماً وطنياً؟ أو يتظاهر بذلك من أجل الوصول إلى تحقيق رغباته، ومنافعه الشخصية، وقد ظهر هذا التحول جلياً في شخصية (جبران أبو بصير) في رواية (عندما تشيخ الذئاب) بقوله:

" **كان مفهوم السلطة غائماً في ذهني، قبل تسلمي تلك الحقيبة، لكنه صار يتضح بمجرد مرور الأيام وتراكم المعلومات، فالصورة ليست وردية مثلما كنا نشيع للمواطنين بثقة مبالغ فيها، فثمة أخطاء وتجاوزات كثيرة من بينها توظيف الأقارب والمعارف، والمحاباة، وتمرير بعض العطاءات الحكومية والإعفاءات، لكن لا أستطيع تعميم الفساد على كل من هم في السلطة، أنا شخصياً لم أمارس أيا من تلك التجاوزات باستثناء تعيين شقيق زوجتي رابعة في دائرة شبه حكومية بوظيفة رئيس ديوان** "[1].

فالسياسي (جبران) وإن ظهر أمام الجماهير حاملاً لقضايا الأمة، ومدافعاً عنها، إلا أنه انضوى في صفوف السلطة، ولحقه من خلالها العديد من قضايا الفساد والمتمثل بتعيين أقاربه في الوظائف الحكومية، بعد أن كان همه تحقيق مبادئ العدالة والمساواة بين أفراد الشعب التي نادى بها عبر مسيرته الحزبية الطويلة، ومن الفوائد التي يكشفها النص السابق فهم المعارضين من السياسيين في مرحلة معينة للسياسة بصورة مثالية وإطلاق التعميم والأحكام الجائرة بفعل الإقصاء عن العمل السياسي، ولذا فإنَّ إشراك المعارضين في العمل السياسي أدى إلى تقوية تجاربهم وتعميق وعيهم وجعلهم أكثر واقعية، وهو ما يفسر تعيين (جبران) لشقيق زوجته لاحقا، فالسياسي إنسان قد يتأثر

(1) ناجي، عندما تشيخ الذئاب، ص 300.

بمن حوله ويستجيب للضغوطات الممارسة عليه ولقد ظل هم (جبران) الشخصي هو المهيمن على شخصيته، وهو ما عبر عنه صراحة بقوله:

" **بالنسبة لي كانت الوزارة طموحاً مشروعاً، سعيت بصمت من أجل تحقيقه** " [1].

ويظهر في الرواية الأردنية لجوء السلطة في أحيان كثيرة إلى التسامح مع السياسي المعارض، إذا شعرت باستمالته إلى صفوفها، محاولة بذلك تغيير الصورة النمطية التي يحملها اتجاه السلطة، أملاً في صنع علاقة جديدة، وتجاوز الماضي بكل ما يحمله من تقاطعات وخلافات، فكل تحول في تفكير السياسي المعارض واستمالته لدعم نظام التفكير الحاكم هو كسب للسلطة وتأييد لها، ويظهر ذلك بقول (جبران أبو بصير) الذي تم استدعاؤه إلى أحد المكاتب الرسمية، وتمت مقابلته من قبل رجال الدولة لمعرفة طريقته في التفكير، وقد تحدث عن مضمون هذه المقابلة التي مثلت له نقطة افتراق في حياته بقوله:

" **عاملوني بلطف واحترام، قالوا لي إنني ورفاقي السابقين نعد جزءاً من التاريخ السياسي للبلاد، على الرغم من ماضينا الخلافي تحدثوا عن حاضري الذي يعولون عليه، باعتباري إصلاحياً متنوراً، لا أدري من أين جاؤوا بهذا الوصف الذي لا أحبه ذلك لأن أسوأ ما يمكن للمرء فعله، هو أن يتحول إلى مصلح؛ لأنه يهدر وقته وجهده في أمور لا نفع فيها، عدا العداوات التي تتكاثر من حوله، ثم ترحموا على أيام اليساريين الذين شكلوا فيما مضى حالة قابلة للحوار** ..."[2].

وتظل السلطة في حوارها مع النخب السياسية تسعى للوصول إلى حالة من توازن القوى بين الأحزاب، فهي شديدة الحرص على أن لا يطغى حزب على بقية الأحزاب، وبالتالي تشكل قوة الحزب خطراً على السلطة نفسها، فقد تمنت السلطة " **لو أن اليسار يشحذ همته، ويعيد لملمة صفوفه؛ كي يخلق تياراً وطنياً عريضاً، يحقق توازناً سياسياً في البلاد** " [3].

---

(1) ناجي، عندما تشيخ الذئاب، ص298.

(2) ناجي، عندما تشيخ الذئاب، ص 253.

(3) ناجي، عندما تشيخ الذئاب، ص 254.

إنَّ سياسة التوازن التي تحاول السلطة خلقها في الداخل، تسعى جاهدة لتحقيقها في الخارج انطلاقاً من أن محركات السياسة ومرجعيتها تحقيق المصالح، وخلق حالة من الاستقرار، كما أنَّ توازن القوى يحدد خط سير الدولة وشكل موقفها، ويظهر ذلك في رواية (عندما تشيخ الذئاب) في قول (أبي رامي) الذي التقاه جبران أبو بصير:

" **من الأفضل لنا أن ننأى بأنفسنا عن موضوع اعتقال صدام حسين ...لا مصلحة لنا في افتعال الخلافات مع أمريكا وحلفائها، مصلحتنا في الإبقاء على هذا التوازن الذي يضمن لنا الاستقرار والتأثير، ليس من الحكمة أن نضحي بمصالحنا الحيوية، من أجل معركة خاسرة مائة بالمائة ...**"[1].

ورغم سوداوية الصورة التي يظهر بها السياسي الساعي وراء مصالحه، في المقابل يظل الثائر والمدافع عن وطنه يحمل همه الوطني، ويمضي مدافعاً عن قضاياه في ظل تساقط أقنعة السياسيين، فقد ظل (أبو الفدا) في رواية (أرض اليمبوس) يردد قائلاً:

"**طريقنا طويلة، ستكون ثورتنا حتى النصر والتحرير، شهداؤنا في الجنة، العرب تاجروا بنا، نزحنا من عقبة جبر لكن الأصل من جهة العباسية** "[2]

3.2 موقف السياسي من المرأة

حظيت المرأة باهتمام الرواية الأردنية، فصورها الروائيون زوجة وأماً وأختاً وحبيبة، ورصدوا علاقة الرجل بها، وموقفه منها سواء أكان سياسياً أو غير ذلك، وقد كانت الشخصيات السياسية التي تم رصدها في الروايات الأردنية المدروسة تحمل مواقف متباينة من المرأة؛ نظراً لتباين آيدولوجيات هذه الشخصيات السياسية وانتماءاتها الطبقية، وكذلك الحزبية، فهناك من نظر إلى المرأة من خلال شهواته، ورغباته فهي مجرد جسد يفيض لذة وشهوة، وهناك من نظر إليها، بوصفها عنصرا مكملا للرجل في بناء الحياة، واستمرارها، وما تحمله من مواقف اتجاه كافة القضايا السياسية، والاجتماعية، والثقافية، في المجتمع.

---

(1) ناجي، عندما تشيخ الذئاب، ص 257.

(2) فركوح، إلياس، أرض اليمبوس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، دار أزمنة، ط1، 2007م، ص112.

ومن الصور التي رصدتها الروايات الأردنية لموقف السياسي من المرأة تعامله مع صورة المرأة الجسد التي تبدو جلية في شخصية عائشة في رواية (أنت منذ اليوم)، فقد بدت نموذجاً للمتعة وتحقيق الرغبات لدى (عربي)، وقد ظهر ذلك جلياً من خلال سؤال صابر له عن علاقته مع عائشة، فكان رد عربي:

" **إنها ممتازة تعرف الوقت الملح لتصعد إلى غرفته**" [1].

إنَّ في الصورة التي يقدمها (عربي) لعائشة شاهد حي على انكسار منظومة العادات والقيم الاجتماعية، التي تعد مكانة المرأة جزءا منها ودليل جلي على تحطم قيم المجتمع الداخلية التي تضافرت مع غيرها من العوامل، وكانت سببا في حدوث الهزيمة أمام العدو الصهيوني فيما بعد.

تبدو عائشة في نظر (عربي) مجرد جسد يحقق له الرغبات المكبوتة في داخله، وهذا الموقف من المرأة يشكل سدا في وجه الانهزام الذي أحاط بحياته، نتيجة الواقع الذي يسيطر على المجتمع بعد هزيمة حزيران، وتقود حالة الانكسار المجتمع للانتقام من كل ما هو سبب للهزيمة خاصة الجند على جبهات القتال، فقد نصح (صابر) أخته المتزوجة من عسكري يضربها ولا تريد الطلاق منه خوفاً على الأطفال أن تبحث عن عشيق لها[2]، وفي هذا الموقف تبدو آثار الهزيمة النفسية جلية على القيم والثوابت الإنسانية بكل أشكالها، فأصابت المرأة التي هي عنوان الشرف والكرامة للإنسان العربي . وغالباً لا يقدم موقف الهروب من الهزيمة نسياناً وخلاصاً لشخصية (عربي) المأزوم داخلياً، " **فقد حنق على نفسه؛ لأنه بعد أن يضجر من جسد البنت العاري لا يعود راغباً في أن يلمسه** "[3].

ومن النماذج على صورة المرأة الجسد ما تقدمه رواية (الشهبندر) من خلال شخصية (لوليتا) الفتاة الأجنبية التي ظهرت بوصفها وسيلة متعة (للشهبندر)، فقد وصفها قائلاً:

---

(1) السبول، أنت منذ اليوم، ص29.

(2) انظر، السبول، أنت منذ اليوم، ص29.

(3) السبول، أنت منذ اليوم، ص29.

" **لوليتا عيد متنقل، تحاول أن تجعل الأيام كلها أعياد، لم تكتف بقائمة الأعياد التي ورثتها من جنوه، وتلك التي عاشتها في بيروت، بل أضافت إليها أعياد أهل عمان على اختلاف مللهم ونحلهم ...**" [1].

ظلت (لوليتا) تمثل (للشهبندر) عنصر إقبال على الحياة، وتخلق له حالة من الصراع مع نفسه، ومع المجتمع المحيط به، فقد ظل يبرر حالة التناقض التي يحياها مقنعاً نفسه بما يقوم به من أفعال، ويمكن القول أن علاقة (لوليتا) بالشهبندر وإن ظهرت في نظر المجتمع علاقة غرام وعشق في ظاهرها، إلا أنها تحمل في خفاياها علاقة من تبادل المصالح المشتركة، ويؤكد ذلك قول لوليتا صراحة:

" **لا أريد أن أغرر بكم فتتصوروا أن علاقتنا كانت نقية خالصة لوجه الحب والإيناس، فقد استفدتُ من حمايته محلياً، وتوسطتُ له عند بعض زبائني لفك تعقيدات عمله، وسخرتُ معرفته باللغة الإنجليزية والتركية؛ لخدمة مشاريعي ... وفي الفراش كنا نتناغى بكل هذه اللغات، ننتقي أعذبها ونستأثر بأجملها وقعا، وأرقها جرساً وأكثرها إثارة** " [2].

وفي ظل ما ظهر يمكن القول إنَّ (لوليتا) و(الشهبندر) نماذج جلية على علاقة السياسي بالمرأة القائمة على المنفعة، وتبادل المصالح وإن حملت في ظاهرها الحب والعشق، فكل من (لوليتا) و(الشهبندر) يسعى إلى تحقيق رغباته وذاته، لا سيما وأن (الشهبندر) يمارس صراعاً مع العديد من خصومه من التجار أمثال (سليم الدقر)، وغيره وهو يسعى بكل الطرق؛ لإثبات ذاته، وتحقيق المكانة بين أفراد طبقته من التجار، ولو أدى ذلك بالضرورة إلى إقامة علاقة مع المرأة بقطع النظر عن مكانتها وسمعتها داخل مجتمعه، فقد امتلكت (لوليتا) شبكة مهمة من العلاقات الاجتماعية التي استطاع (الشهبندر) استثمارها؛ لتيسير مصالحه وصفقاته التجارية، ونحن هنا أمام سياسي يقدم مصالحه الذاتية متناسياً كل القيم والعادات التي تقف سداً منيعاً في وجه كل شيء غير مألوف وطارئ على توجهات المجتمع الإنساني الذي هو فرد من أفراده .

---

(1) غرايبه، الشهبندر، ص 44.

(2) غرايبه، الشهبندر، ص122_123.

ومن النماذج النسوية التي تحاول تحقيق رغباتها الجنسية، تظهر شخصية (سندس) في رواية (عندما تشيخ الذئاب)، فقد تعرضت هذه المرأة للعديد من الانتكاسات في حياتها، ولعلَّ مرد ذلك واقعها الاجتماعي، والاقتصادي القاسي الذي فرض عليها علاقات زوجية لم تكن بمحض إرادتها، فقد كان القبول بالزواج نابعا من فكرة الخلاص من الواقع الاقتصادي المتردي وحياة الكفاف التي كانت تحياها في أفقر بقعة داخل مدينة عمّان، وقد ظل ما تتمتع به من جمال جذاب عنصراً جاذباً للرجال الذين جمعتهم بها الحياة والظروف، فقد شكلت هاجساً مستمراً للشيخ (عبد الحميد الجنزير) السياسي المتستر بثوب الدين، وقد كشف اتصالها به عن رغبات جنسية مكبوتة لديه، كان يسعى بشتى الوسائل لتحقيقها، فقد خاطب (عزمي الوجيه) قائلا:

" **ترملت سندس أريدها بالقرب مني أريدها زوجةً لي قبل أن يأخذ الله وديعته من بدني** " [1].

ويلجأ (عبد الحميد الجنزير) لتقديم المبررات التي تعزز محاولاته الاتصال بسندس مقدماً الحجج والبراهين الشرعية على ما يقوم به قائلا:

" **لكنني مخلوق من لحم ودم، ولي نفس محبة جسور، وسندس كانت تمر في خاطري فيتسرب إلى روحي شذى ينعشني، ويشحذ همتي ... سندس تختلف عن غيرها، فالشيطان يلازمها، ووطئي لها يمنحني متعة إغاظته، وصفعه، وطرده، إن في حلال وطئها لعبادة** " [2].

فسندس التي حاول (الجنزير) الوصول إليها، تمثل نقطة ضعف لديه بل تظهر نقطة صراع بينه، وبين غيره من السياسيين، فقد عبر صراحة عن علاقتها بغيره خاصة عزمي الوجيه بقوله:

" **سندس التي جعلتها روحي كلما خلدت إلى نفسي، جارت علي، واقتادها عزمي الوجيه وليّن حجارة قلبها؛ ليجعلني رهينة إفراجه عن روحها** "[3].

---

(1) ناجي، عندما تشيخ الذئاب، ص 231.

(2) ناجي، عندما تشيخ الذئاب، ص275.

(3) ناجي، عندما تشيخ الذئاب، ص275.

وقد يتسامح السياسيون فيما بينهم، ويقدمون التنازلات إلا المرأة، فهي في نظرهم تمثل كسباً رابحاً ومنجزاً لا يمكن التنازل عنه، فالجنزير يرى أن (عزمي) في تعامله مع (سندس) يمثل حالة من الرفض المطلق في بداية الرواية، ولو لحين، ومرد هذا الرفض نابع من عاملين، حالة التدين التي صُبغت بها حياته؛ نتيجة اتصاله بالشيخ (الجنزير) وحضور حلقات الدرس عنده، وخوفه المبدئي من خيانة والده، وقد ظلت حالة التحفظ بادية على (عزمي) في كثير من مواقفه اتجاه (سندس)، فقد كان يخاطبها بالفاجرة بعد أن وجدها عند (الشيخ الجنزير)، ثم سرعان ما تنفك عقدة التمنع لدى (عزمي) الذي يمارس الجنس مع (سندس) مرات عديدة، من خلال وصولها إليه بعد رحيله عن بيت أبيه، فتتطور العلاقة بينهما بعد حالة من العزلة، غير أن (سندس) سرعان ما تتحرر من أوهامها بعد اللقاء الأخير مع (عزمي)، بقولها:

" **أحسست بقوة غير مألوفة تسري في عروقي، وتحررني من أوهام أو أحلام عبثت بي طويلاً** "[1].

وفي هذه اللحظة الفارقة تشعر (سندس) بقرب نهاية رحلتها في البحث عن ذاتها، وحديثها بعودتها إلى بيت أمها منكسرة، فتبكي كطفلة صغيرة، وتدخل في حالة من اليأس والعزلة والجفاف الروحي، وبهذا فقد ظل (عزمي) يمثل لسندس وغيرها لغزاً محيراً، يفقد الآخرين الثقة في قدرتهم على إدراك مراميه وأهدافه .

لقد ظلت (سندس) تمثل حالة الضياع والبحث عن الذات والتمرد على واقعها، والسير وراء كل ما هو مشروع وغير مشروع؛ لتحقيق رغباتها التي حلمت بها، والتي وقف الزمن حاجزاً دون تحقيقها، وهذا التمرد خلق حالة من القطيعة لسندس مع أمها، وهي أقرب الناس إليها، فقد أكدت (فاطمة) على حياة الاغتراب بفعل قطع الأبناء لها خاصة (سندس) التي وصفتها بقولها:

" **سندس دشرت لم تعد تعرفني بسبب انشغالها بجمع النقود، ولا أريد رؤيتها إلا في الكفن، هذا إذا تمكن الكفن من لملمة وستر بدن داشرة مثلها**"[2].

---

(1) ناجي، عندما تشيخ الذئاب، ص310.

(2) ناجي، عندما تشيخ الذئاب، ص 330.

يبدو موقف المرأة لافتاً ليس في غلبة صوتها فقط، بل في صنع الأحداث وتوجيهها فقد مثلت (سندس) "محركاً فاعلاً في صنع الأحداث، وفي كشف دواخل النفوس وهشاشتها في مواجهة واقعها" [1] وقد حملت موقفاً متناقضاً من (عزمي الوجيه) الذي ظل يمثل نقطة الضعف في حياتها، فقد حمل سعيها الدائم وراءه شعورا بالذل والمهانة لعدم اكتراثه بمشاعرها مرات عديدة [2]، وهنا شكل (عزمي الوجيه) تحولاً كبيراً في حياتها، ولعل سلطته عليها نابعة من رغبة ذاتية تشعر بها بعد سيطرة الغرور عليها، ونظرتها الدونية لعالم الرجال بعد الانتكاسات التي مرت بها، وقد ظهر ذلك جلياً في قولها:

" **ربما كنت بحاجة إلى من يكسرني، ويمرغ غروري، ألا يمكن أن تكون رغبتي في الخضوع كامنة تحت قشرة هذا الغرور، عزمي هو الذي تمكن من مداهمة معاقلي، وتحطيمها إلى حد أنني امتثلت لأوامره جميعها، دون النظر إلى النتائج التي لم أتوقع حدوثها أبداً** "[3].

وقد حملت (سندس) في علاقتها مع (عزمي الوجيه) العديد من المبررات، فقد وجدت في هذه العلاقة الجنسية تعويضاً لما فاتها في مرحلة الشباب، فهي لم تر في (عزمي) رؤية فكرية أو سياسية، بل كان الدافع لديها تحقيق الرغبة الجنسية، ومحاولة صنع مستقبل جديد تعويضاً للتجارب والانتكاسات التي مرت بها سابقاً.

مثلت (سندس) في رواية (عندما تشيخ الذئاب) مركزا مهما لكل مفاتيح الأسرار للشخصيات التي صادفتها انطلاقا من شهوة الجنزير، وعجز رباح الوجيه، والنسب المشكوك فيه لعزمي الوجيه، فقد مثلت على امتداد السرد الروائي، كشفا لبواطن هذه الشخصيات، وما يدور في دواخلها من أفكار وتطلعات، واستطاعت أن تخلق بما تحمله من شخصية جذابة مساحة من الحرية لهذه الشخصيات لتعبر عما في دواخلها.

---

(1) فريحات، مريم جبر، مؤشرات النص السردي (صوت الواقع والمرجع والذات الكاتبة)، ط1، إصدارات المفرق مدينة الثقافة الأردنية، ص116.

(2) انظر، ناجي، عندما تشيخ الذئاب، ص7.

(3) ناجي، عندما تشيخ الذئاب، ص8.

وتظهر المرأة في أحيان كثيرة عنصراً يمثل خلق شعور من الطمأنينة والراحة للسياسي الذي يجد في وجودها عنصر أمن واستقرار، فيبوح لها بكل ما يعتريه من هموم وآلام، ونجد هذا في شخصية (سيلفيا) التي تجسدها رواية (اعترافات كاتم صوت) نموذجا حيا على هذا التوجه الذي يمارسه السياسي، فقد لجأ (يوسف) السياسي الذي كُلف بمطاردة (أحمد مراد) في الخارج من أجل تصفيته وتحقيق الانتصار في كسر شوكة (الدكتور مراد) ودفعه إلى الاستسلام أو الموت، إلى أذن (سيلفيا) فبعد أن وصل (يوسف) إلى مرحلة من صراع الذات مع نفسه، أراد أن يعبر عن مخاوفه وهواجسه، فما كان له إلا استئجار أذن (سيلفيا) الفتاة الأجنبية التي صادفها في الكازينو؛ لتكون بمثابة مرآة يواجه من خلالها ذاته، وصراع الضمير داخله.

ومن النماذج التي تظهر فيها المرأة كنموذج يمثل وسيلة تسلية للسياسي، وتحقيقاً لرغباته الجنسية سعاد في رواية (السؤال)، فقد مثلت (لمصطفى) السياسي الماركسي وسيلة أمن واستقرار، يلجأ إليها في كثير من الأحيان، ففي علاقته بها يحاول نسيان المجتمع، الذي وضعه في حياة يسودها التهميش والعدمية بفعل التحولات السياسية والاقتصادية التي أصابت المجتمع المصري بعد ثورة (يوليو)، ففي الوقت الذي تغيب فيه (سعاد) يظل (مصطفى) باحثاً عنها كأنها جزء من حياته، غير أن (مصطفى) يحارب عاطفته الداخلية، فيظهر بمظهر الإنسان الذي لا يقبل الخذلان أو الانكسار، فقد حاول من لقائه معها في منزلها الافتراق بعد إحساسه بالجفاء منها، ولم يتراجع عن ذلك، فقد اعتقد أن في تراجعه ولو للحظة، إعلان للهزيمة وانفجار بالبكاء، وقد حمل هذا اللقاء الجاف (مصطفى) فيما بعد إلى حالة من العزلة والانكسار، محاولاً مراجعة ذاته، وهنا يصبح (مصطفى) أمام عزلتين، عزلة المجتمع له بسبب ما يحمله من أفكار خاصة اتجاه الطبقة السياسية الحاكمة في المجتمع، وعزلة المرأة المتمثلة بسعاد التي كانت له بمثابة نقطة الضوء في نهاية النفق، فهي تمثل نموذج "**المرأة التي يبحث من خلالها عن الحنان المفقود**" [1].

---

(1) هلسا، غالب، الأعمال الروائية الكاملة (1)، رواية السؤال، دار أزمنه، عمان، ط5، ص718.

ولا تقف رواية (السؤال) عند شخصية (سعاد) بل تقدم لنا صورة أخرى من صور المرأة المتمثلة بشخصية (تفيدة) بكل ما تحمله من تحولات اجتماعية، واهتزاز في منظومة الأخلاق ورغم هذا التباين الطبقي ما بين مصطفى وتفيدة إلا أن حضور هذا النموذج النسوي شكل تحولا واضحا في مسيرة (مصطفى)، فقد مثلت (تفيدة) ابنة الأحياء الفقيرة المعدمة التي فرض عليها واقعها الاجتماعي ممارسة الجنس بحرية مطلقة مع صاحب القهوة والبلطجي، حالة من استرجاع الذات بالنسبة لمصطفى وهذا الدور سرعان ما يتحول إلى دور مقدس وفق ما ترى من خلال ارتباطها بمصطفى والشيوعيين، فهي تقدم دوراً مهماً في تقليص وإذابة الفوارق الاجتماعية بين الطبقات، فقد حاولت من خلال هذه العلاقة إيصال رسالة الطبقات الاجتماعية المسحوقة التي تئن تحت وطأة الفقر والحرمان إلى أصحاب القرار، والتي اعتقدت أن (مصطفى) واحدا منهم، فمصطفى والنخبة الثقافية التي ينتمي إليها هم أناس سخروا أنفسهم للدفاع عن الفقراء والمحرومين، وهذا يدعو بالضرورة إلى الوقوف إلى جانبهم، ومحاولة تقديم كل وسائل الراحة لهم؛ حتى يتمكنوا من إيصال صوت الجماهير المسحوقة، أملا في تغيير الواقع، وهنا تقرر (تفيدة) الانطلاق في علاقة عاطفية مع السياسي (مصطفى) فهي وإن حملت في بداياتها حاجات جنسية ملحة إلا أنها أحدثت تغييراً على شخصية السياسي (مصطفى) الذي كان يعيد النظر في هذه العلاقة أكثر من مرة؛ نظراً لما حملته من تغيرات وتحولات على حياته، فقد ظلت هذه العلاقة مثار تساؤل لمصطفى نفسه بقوله:

" **ما الذي يجعل امرأة طويلة عريضة كهذه تهجر بيتها، وتتخلى عن كل شيء لمجرد أن رجلاً أثارها؟ ألا تجد شيئاً أجدى من تكريس حياتها لملاحقة الرجال، والتنقل من واحد لآخر؟**" [1].

إن علاقة (تفيدة) بمصطفى دافع جديد لإعادة صياغة التفكير السياسي بالنسبة لمصطفى، فالشيوعية التي يحاول بثها بين الجماهير تحتاج وفق رؤية (تفيدة) إلى

(1) هلسا، السؤال، ص 717.

مؤيدين، فالطبقات المسحوقة أعدادها كبيرة، وإقناعها سيسهم بتوفير جماهير كبيرة لفكرة الشيوعية، الأمر الذي يحدث تأثيرا مهما في صنع القرار [1].

لقد شكلت (تفيدة) بعلاقتها مع (مصطفى) حالة من التساؤل، وإن ظهرت لدى (مصطفى) في البدايات الأولى مجرد علاقة عابرة، إلا أنها ظلت تشكل هاجساً أدى به إلى الخوف، فتحولت علاقة المرأة في هذه المرحلة من حالة أمن واستقرار إلى مرحلة من الشك والاستغراب والتساؤل مما دفع مصطفى إلى شعور عميق بصراع داخلي، وقد تجلى ذلك بحواره مع نفسه قائلاً:

"**إنني أبني أسطورة تستحق أن اكتبها لو كنت أجيد كتابة الرواية، ولكن لا ظل لها من الحقيقة، ومن تكون تفيدة هذه؟ إنه في حياتها ليس سوى حلقة طويلة بدأت بزوجها، ومرت عبر حامد وصاحب المقهى والطالب ...لا يمكن أن يكونوا أرسلوها إليه** "[2].

ومع مشاعر الخوف التي تنتاب (مصطفى) يظل يؤمن بالقدر المحتوم، فهو يرى أنه يمضي كغيره، فهو وإن غلب على تفكيره امرأة إلا أن المرأة في نظره سرعان ما تنساه، فيظهر مجرد تجربة في حياتها كغيره من الرجال الذين سبقوه إلى ذلك.

فيعبر عن عالمه الذكوري بقوله:

" **سنظل أبداً مداساً لنساء فارهات يثرن الحرقة في القلب، وأنا لست إلا أداة مبهمة، مجهولة، سوف يزددن من خلالها أمناً واكتنازاً، لن يذكرنني ...لن يعرفنني حتى يذكرنني** "[3].

إنَّ الناظر في النماذج النسائية المقدمة سابقا، يرى أن صورة المرأة وفق ما يراه السياسي، لم تظهر نمطية قائمة على تحقيق الرغبات الجنسية، بل رصدت الروايات الأردنية المدروسة الكثير من النماذج المشرقة للمرأة، فكانت المرأة متباينة في موقفها من السياسية والممارسين لها، فظهر منها من عارض السياسة، واتخذ منها موقف الحياد؛ لما تحمله من أعباء وملاحقات، انطلاقا من أن السياسة فكر ذكوري بحكم

---

(1) انظر، هلسا، السؤال، ص 692.

(2) هلسا، السؤال، ص 697.

(3) هلسا، السؤال، ص73.

التنشئة الاجتماعية منذ الطفولة، ولعلَ ذلك يتجسد في شخصية (سلمى) ابنة (الشهبندر) التي عبرت عن هذا التوجه بالابتعاد عن السياسة وأعبائها، بقولها:

" **السياسة، والعلاقات الغرامية مع الشباب طردتهما بقوة من دائرة اهتماماتي ... وأدعي أمام زميلاتي أن السياسة شأن الرجال، وأقنع نفسي بذلك** "[1].

ورغم محاولة سلمى النأي بنفسها عن ميدان السياسة والسياسيين، فهي في ميادين أخرى شريك للرجل في بناء المجتمع، وتأمل لوطنها الخلاص من المحتل، وزوال سلطته وفي تبني هذا الموقف الحيادي تؤكد أن هذا:

" **لا يعني أني لا أرغب بتحرير وطني من الإنكليز واليهود، شر البلايا ما يحصل تحت بصرك وسمعك، فما الحل والضحايا أبناء جلدتك؟!** "[2].

تظهر (سلمى) بوصفها نموذجا للمرأة التي تحاول الاستمتاع بالحياة بعيداً عن تعقيدات السياسة ومداخلها، ويبدو ذلك جلياً في حديثها مع والدها عن مدينة عمّان، فقد أكدت ذلك بقولها:

" **أبي يميل إلى تفسير الظواهر، أنا أحب التعامل مع عمّان كما هي.. شو دخلني بالسياسة والاضطرابات** "[3].

ولعل في هذا النأي المتعمد من (سلمى) دليل على الموقف الاجتماعي التي ترصده الرواية لتلك الفترة الزمنية من تاريخ الأردن حيث كانت المرأة رهينة قيود المجتمع السائدة فبات صوتها غائبا في كثير من الأحيان.

يحمل السياسي في كثير من الأحيان موقفاً متبايناً من المرأة، رغم مساندته لها في العديد من المواقف، ومرد هذا التباين ناجم من طبيعة المرأة نفسها، وما تحمله من غيرة ومنافسة لبنات جنسها، وعلاقة المرأة بالمرأة مازالت تشكل نقطة خلاف، ومثار جدل للمجتمع الذكوري، فهي علاقة تنافر، وغيرة غير مبررة تسهم في إذكائها التركيبة الفطرية للمرأة ويبدو هذ الموقف جلياً في حديث (جبران) بقوله:

---

(1) غرايبه، الشهبندر، ص 73.

(2) غرايبه، الشهبندر، ص72.

(3) غرايبه، الشهبندر، ص281.

" **على الرغم من انتصاري للمرأة وقضاياها طيلة حياتي إلا أنني أشعر بوجود مشكلة لديها، مشكلة التنافر السالب مع بنات جنسها ممن يطلق عليهن زوجات الأخوة، السلفات، أخوات الأزواج، الكنائن، الحموات..** "[1].

وتسهم الظروف الاجتماعية، والتحولات الاقتصادية، والسياسية في تغيير التفكير لدى المرأة؛ انطلاقاً من كونها أحد أركان المجتمع تتأثر بما يصيبه من تحولات وتغيرات، فقد بدت (رابعة) زوجة (جبران) قبل نكبة حزيران إنسانة مثقفة دفعت بحضورها الفكري والثقافي (جبران) إلى الزواج منها، بيد أن هذه الاهتمامات الثقافية سرعان ما فترت بعد حالة الزواج، فقد أخذت على عاتقها مناكفة زوجها، ولعل التحول لدى (رابعة) ناجم عن اكتشاف بون شاسع ما بين السياسة القائمة على التنظير، وبين الواقع بكل ما يحمل من عقبات، وهنا تؤثر المرأة الاستسلام للواقع ومعايشته، وهذا ما أشار إليه جبران بقوله عنها:

" **...وأحياناً تشاكسني بسبب انتماءاتي السياسية التي أدت إلى دخولي السجن بداية السبعينات، ثم بداية الثمانينات، كان السجن في تلك الأعوام مفخرة أمام الناس، ومبعث خوف لهم في آن معاً..** "[2] .

أسهم التحول الاقتصادي ونمط الثراء الذي أصاب (رابعة) نتيجة الانتقال للسكن في الحي الراقي إلى احتقار الآخرين، والتنكر لكل مراحل الماضي بما حمله من فقر وحرمان، فقد حاولت نسيان جبل (الجوفة) وما يحمله هذا المكان من تذكير بالماضي حيث حياة العوز والحرمان، وهذا يتنافى مع ما كان يحمله (جبران) من أفكار تقوم على العدالة والمساواة التي كان ينشدها في حياته.

" **فهو يؤمن بأنه من الصعب على ذوي الجذور الماركسية التنصل التام من أفكارهم، وقناعاتهم التي عادة ما تكون قابلة للتعديل أو التطوير لكن ليست إلى الاجتثاث** "[3].

---

(1) ناجي، عندما تشيخ الذئاب، ص60.

(2) ناجي، عندما تشيخ الذئاب، ص 62.

(3) ناجي، عندما تشيخ الذئاب، ص123.

ويبدو التحول الاقتصادي جلياً على شخصية (رابعة) زوجة السياسي (جبران)، فبعد الإيمان بالسياسة ودور زوجها التنويري في بناء المجتمع تم الانقلاب عليه، فأصبح السعي وراء الثراء، وتقليد سيدات المجتمع الراقي من أهم أولوياتها، إضافة إلى تحسين وضعها الاقتصادي، فقد ردت على (جبران) ذات مرة أثناء محاورته لها، ودعوتها الاهتمام بقضايا المرأة، والانضمام إلى الجمعيات التي تناضل من أجل حقوقها بقولها: " **لم لا تفكر أنت في تطوير وضعك**"[1].

لقد سايرت (رابعة) التحولات الاجتماعية التي أصابت أسرتها، فصارت تقرأ مجلات (الصياد والموعد) اللبنانيتين، وتتابع الموضات والأزياء في مجلة (بوردا) الألمانية، كما اعتادت تسريح شعرها مرتين كل أسبوع في صالون (كارو) خلف وزارة السياحة، وتضع على وجهها مساحيق (البوبا) الإيطالية و(ماكس فاكتور) المقاومة للماء، كما أصرت على اقتناء قط (شيرازي) من النوع الكسول دائم التثاؤب [2].

غير أن حالة التحول الاجتماعي في حياة (رابعة) سرعان ما تتلاشى، فرغم أن صوت السياسي بالنسبة لها لم يكن مسموعاً في بداية حياتها الجديدة، إلا أنها سرعان ما تراجعت عن التغيير الذي أصابها، فقد أشار (جبران) أن (رابعة) أيقنت أنها غير موهوبة في الرسم، وعادت تقرأ وتشارك ورش العمل التي تقيمها مراكز الدراسات والمراكز الثقافية، فانضمت إلى الاتحاد النسائي [3] وأصبحت بذلك تشكل هذه المرأة نقطة مهمة في تحول حياة زوجها السياسية، من خلال التعرف إلى الأسر المتنفذة في المجتمع، لتحدث بذلك تحولاً آيدولوجياً في حياة (جبران) الماركسي الباحث عن حقوق الفقراء، والمعدمين إلى سياسي باحث عن ذاته ومصالحه .

وعلى النقيض من ذلك تبرز المرأة التي تحمل هماً مشتركاً مع السياسي في مواجهة المصير، فتظهر (زوجة الدكتور مراد) نموذجاً لحياة الثبات، والكفاح في وجه التحديات التي تواجه أسرتها؛ لما يحمله زوجها من موقف سياسي، وفي مواجهة هذا الواقع

---

(1) ناجي، عندما تشيخ الذئاب، ص123.

(2) ناجي، عندما تشيخ الذئاب، ص124.

(3) انظر، ناجي، عندما تشيخ الذئاب، ص254 . 256.

تحاول هذه المرأة الهروب للماضي رغم ما يحمله من وهم؛ بسبب انقلاب الرفاق على الزوج بعد وصولهم إلى السلطة، فهي ترى نفسها:

" **حبيسة ذاكرة بغيضة، ومخيلة أشبه بنافذة تطل على جدار، أي مستقبل ينتظر من ستقضي حياتها في هذا القمقم؟ أية حياة تنتظر امرأة تجاوزت الخمسين من عمرها. أية طموحات وآمال ستبث فيها إرادة الصمود والاستمرار؟ أشعر أنني مقطوعة من شجرة..** "[1].

وهنا يظهر صوت المرأة مستغرباً واقع السياسة وتغييراتها التي لا مبدأ لها، وفق ما ترى بقولها:

" **لو كان النظام البائد هو الذي اعتقلك لفهمنا لو كان أعداؤك هم الذين انتقموا منك لقلنا لا حول ولا.. ولكن.. رفاقك؟ كيف؟ لماذا؟** " [2].

فالإنسان الذي يمسك بزمام السلطة وفق ما ترى يغيره كرسي الحكم، فلا تحالفات دائمة بل المصالح أولا فلا يعد يعبأ بمن كانوا معه في مرحلة النضال، فيظهر (الدكتور مراد) بكل ما قدمه من عصارة فكره؛ لخدمة الحزب الذي ينتمي إليه محط جحود وتهميش، ويظهر هذا التوجه جلياً في حديث الزوجة قائلة:

" **لا أشك في أنه يشبه سنمار، سنمار حمل وجها مثل وجهه، وقدراً مثل قدره، ألم يشارك في تشييد هذا البناء؟ ألم يساهم في تهيئة هذا الكابوس؟ ألم يحفر مع أصحابه الألداء هذه البئر التي وقعنا فيها؟ يشارك؟ بالشماتة الأعداء السابقين، يا لتشفيهم. هل ألومهم ... أبداً** "[3].

تظل المرأة بوصفها زوجة تمثل نمطاً من الإخلاص للحياة الزوجية، فهي فرد مهم على عاتقه تُقام الأسرة، وهي في الوقت ذاته عنصر جاهز للتضحية، خاصة عندما يكون التعلق بزوج يمارس وظيفة سياسية، تحمل في مراحلها المصاعب والأزمات سواء على مستوى هذا الفرد أو على من حوله بحكم العلاقة المشتركة، وهُنا يتجسد

---

(1) الرزاز، اعترافات كاتم صوت، ص13.

(2) الرزاز، اعترافات كاتم صوت، ص11.

(3) الرزاز، اعترافات كاتم صوت، ص 15.

دور المرأة القائم على التحمل لكل مصاعب الحياة في سبيل الثبات على المبدأ، وتعبر زوجة الدكتور مراد عن ذلك صراحة بقولها:

" **ما كانت البروق والرعود والزلازل تهزنا. كانوا يعتقلونه ويفصلونني من عملي لقطع رزقنا. كنت أحول سيارته الخصوصية إلى سيارة أجرة، أطلب من صاحب البيت المتعاطف أن نؤجر بيتنا مفروشاً للأجانب، فيوافق**" [1].

لقد حملت المرأة في كثير من الأحيان دوراً مهماً في بث الفرح، واستنهاض الهمة لكل من حولها، حيث تظهر (سلمى العمر) عنصراً إيجابياً يمنح والدها السياسي الذي ساء حاله؛ بسبب النفي والمرض شعورا بالقوة والصبر والصمود، رغم مشهد الهزائم المتكررة التي عاصرها، فقد قالت لوالدها:

" **فشروا، لقد قاومنا كما لم يقاوم أحد ما هُنا ولا انحنينا، هم الذين هبوا لنجدتنا، ولم ينجدونا. دخلوا لإنقاذ البلاد قالوا لنا: مالكم وللقتال، فهذه مهمة الجيوش المدربة؟ أنتم عزل من السلاح، فانهزموا بغير قتال، وأرسلوا سياراتهم لتنقلنا ضيوفاً على إخوتنا، وأهلنا، ثم أفقنا فإذا نحن في المنافي.. هذه أكاذيب ومن يصدق الآن هذه الأكاذيب** " [2].

لقد عايشت المرأة المثقفة، إلى جانب السياسي القضايا والتحولات التي أصابت مجتمعها، انطلاقاً من تشكيلها جزءاً مهماً في نهضة هذا المجتمع، فكل ما تحققه المرأة من تقدم في شتى المجالات السياسية، والاجتماعية، والثقافية، لا يحقق جدوى إذا لم يكن نابعاً من وطن له استقلاليته وحريته وذاته، وهذا ما جاء صراحة على لسان (غادة ربيع) بقولها:

" **نحن نفرح بإنجازاتنا، بتفوقنا، بتقدمنا خطوات في حياتنا الشخصية، لكن هذا التفوق وهذا التقدم وهذه الإنجازات، تظل في حاجة إلى جماعة تحتضنها وتتفاعل معها، تحتاج إلى وطن** " [3].

---

(1) الرزاز، اعترافات كاتم صوت، ص35.

(2) السعافين، الطريق إلى سحماتا، ص 35.

(3) السعافين، الطريق إلى سحماتا، ص 42.

ونجد في ما تقدمه (غادة ربيع) في رواية (الطريق إلى سحماتا) شعورا بالاغتراب لدى المرأة، ولاسيما المرأة الفلسطينية التي ترى أن كل ما تحققه من إنجازات في كافة الميادين لا يشكل لها شعورا عميقا بتحقيق الذات، والتقدم في ظل ضياع وطن يحتضن هذه المنجزات، يعترف به العالم ويقدر منجزاته ورغم حالة النفي تظل المرأة تؤمن بالسياسي الذي يدافع عن قضية أمته بعيداً على مصالحه الخاصة، فهو بالنسبة لها يحمل أملا بالتحرر، واسترداد المحتل من الأرض بالرغم مما تقدمه السلطات، والأنظمة من مغريات مادية ومعنوية؛ لثني السياسي الحقيقي عن دوره اتجاه أمته، فترى (غادة ربيع) بأن:

" **الأمل يقوى بوجود مئات المؤمنين بالمستقبل، كثير من الطلاب الذين انفتح أمامهم مستقبل مشرق آثروا أن يغلبوا مصلحة الأمة على مصالحهم الخاصة، أدركوا أنّ مصيرهم مرهون بمصير أمتهم، ففشلت كثير من الأنظمة في استمالتهم بالمال أو المنصب أو الجاه، وآثروا أن يكونوا جنوداً للقضية..** " [1].

وتحمل المرأة المثقفة في كثير من الأحيان موقفاً من الأحزاب السياسية والمنتمين لها، فترى أن هذه الأحزاب لم تحدث تغييراً ملموساً على أرض الواقع، فهي أحزاب لم تكن تملك إلا لغة الكلام، ولا تملك مرجعية للعمل الحقيقي على الأرض، وهذا يبدو جلياً في مقارنة حال الواقع العربي، وما وصل إليه من انتكاس وتراجع، وهُنا نظفر بصوت المرأة التي تحلل أسباب الهزيمة، من خلال ما يصدر على لسان (سلمى العمر)، بقولها:

" **أجيال متعاقبة رفعت شعارات الحرية، والوطنية، والاستقلال، والعدالة، والتنمية والتقدم، ماذا تحقق منها؟ لم يتحقق إلا القليل القليل، ويبدو أن جلّ ما حصدنا كان الخيبات، والإحباطات، والهزائم المتلاحقة، أعداؤنا يتحدثون قليلاً، ونحن نملأ الدنيا زعيقاً وضجيجاً، هم يكسبون في كل جولة، يتقدمون إلى أهدافهم في كل مرحلة، ونحن نتراجع، ثوابتهم تتغير، ولكنها تتغير إلى الأمام ولم يبق في حياتنا ثابت مع مرور الأيام كم تبدلت ثوابتنا؟ وليس غريباً أن نبدل أنفسنا، في يوم قريب.؟.** " [2].

---

(1) السعافين، الطريق إلى سحماتا، ص 109.

(2) السعافين، الطريق إلى سحماتا، ص 233.

فقد قدمت (سلمى العمر) نقدا واضحا لمنهج الأحزاب السياسية التي لم تمتلك برامج عملية، تحقق طموحات الإنسان العربي، بل ظهرت هذه الأحزاب خالية الوفاض من كل شيء سوى امتلاك الخطب العصماء، والمهرجانات الكلامية، واحتفالات التأبين للأبطال، فما زال احتلال فلسطين قائما، وتؤكد المرأة هنا بضرورة متابعة القضية الكبرى التي تمثل مأزق الأمة العربية، وهي فلسطين داعية إلى عدم الالتفات للقضايا الفرعية التي تفكك الجهد، وتضعف الموقف، وهذا ما دعت إليه (سلمى العمر) في كل لقاءاتها مع تجمع الطلبة العرب في الخارج، بقولها :

" **إن بوصلتها التي توجه أفكارها وعواطفها هي فلسطين، فلسطين هي مفتاح التنمية والتقدم والحرية للعالم العربي، وأي تجاهل لهذه القضية يصب حتماً ضد مصلحة الوطن العربي** "[1].

وبالرغم من وضوح القضية إلا أن الأنظمة كثيراً ما كانت تجد المبررات لحالة الضعف التي تسيطر عليها، وبدا ذلك في حديث (سلمى) مع (عدنان البري) والذي أوضحت له أن المنظمة الفلسطينية تقوم في سياستها على المداراة، والمجاملة، متبعة سياسة قائمة على أنَّ" **بوس اللحى سار على الجميع**" [2].

ومن صور المرأة التي ارتبط حضورها بوجود السياسي في الروايات الأردنية المدروسة المرأة التقليدية ابنة المجتمع الأبوي الخاضعة لعاداته وتقاليده، والمؤمنة بقيمه، بفعل أن المجتمع مازال خاضعا للسيطرة الذكورية وخاصة سيطرة الزوج وهنا تبرز شخصية (أم عربي) في رواية (أنت منذ اليوم)، وقد جاءت بصورة المرأة المكسورة الفاقدة لسلطة الأمومة أثناء وجود الزوج الذي عاملها بدونية وازدراء وحتى بعد وفاته بقيت محتفظة بهذه الصورة؛ نتيجة نكران الابن الأكبر لها، ومحاولته السيطرة على ميراثها خاصة البيت الذي تسكنه، رغم محاولة (عربي) اتخاذ موقف يحفظ هيبة الأم متنازلاً لأخيه عن الفرس والبارودة في الوقت الحاضر [3].

---

(1) السعافين، الطريق إلى سحماتا، ص101.

(2) السعافين، الطريق إلى سحماتا، ص 51.

(3) انظر، السبول، أنت منذ اليوم، ص 69.

وفي هذا الموقف الداعم لصورة الأم إصرار شديد من عربي بالحفاظ على أهم صورة للمرأة، وهي صورة الأم التي يرتكز بناء المجتمع عليها، ومحاولة ترميم الصورة السابقة بعد الهزيمة من خلال إعادة النظر إليها ورد اعتبارها أصبح من أهم الأولويات التي ينبغي للمجتمع انتهاجها إذا أراد السير في طريق الإصلاح.

4.2 موقف السياسي من الإعلام

يرتبط الاعلام بالسياسة وفق علاقة تكاملية، فحيث توجد السياسة يوجد الإعلام، وقد عبر عن ذلك صراحة (غابرييل ألموند) بقوله: "كل شيء في السياسة اتصال "[1]. وتتفاوت نظرة السياسيين الى الإعلام، فقد امتلكوا نظرة متباينة قد يسودها الانسجام تارة أو التقاطع تارة أخرى، وقد رصدت الروايات السياسية الأردنية المدروسة العديد من هذه العلاقات، فقد ظهر دور الإعلام وفق ما يراه (عربي) في رواية (أنت منذ اليوم) ضعيفاً لا يستطيع معالجة قضايا الأمة، والتعبير عن مواطن الخلل فيها، فهو لا يملك غير لغة الشجب والاستنكار، ولا يُحدِث أثراً في التوجهات والمواقف، فظهر إعلاما يساير توجهات السلطة وقراراتها، وقد عبَّر (عربي) عن هذا الموقف صراحة باعتقاده، أن ما يكتبه الصحفيون والشعراء لا يتجاوز مرحلة التعبير عن الغضب، وأنَّ جملة ما كتب من مقالات حول مصير الأمة يكفي لتسويد دجلة ثلاثة أيام كاملة "[2].

يتجه الإعلام أحياناً إلى ممارسة سياسة التبرير، ومحاولة انتقاد بعض النخب السياسية التي تؤثر على موقف السلطة في نظر الشعب، ويبدو ذلك جلياً فيما صرَّح به أحد المذيعين الغاضبين بقوله:

" **إن ممثلي الشعب في البرلمان هم في الواقع خونه وانتهازيون بل وعملاء للاستعمار أيضاً، وأنهم أُخذوا ووضعوا في السجون. أما المقاليد فهي في أيدِ أمينة منذ أن خرج الجيش؛ ليمارس مهامه الطليعية**" [3].

---

(1) سليمان، علي عبد الحميد، جدلية العلاقة بين الإعلام والسياسة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة دمشق، كلية العلوم السياسة، 2014– 2015، ص5.

(2) انظر السبول، أنت منذ اليوم، ص 38.

(3) السبول، أنت منذ اليوم، ص 64.

وفي الوقت الذي يُحكم الإعلام فيه سيطرته على الداخل، يظل يحمل صورة سلبية مفادها تجسيد الخذلان عند الإنسان العربي، فقد حمل (إحسان الصباغ) ألماً في نفسه على الواقع العربي، والتخلي عن القضية الفلسطينية، ومما زاد الصورة سوداوية في ذهنه ما سمعه من الإذاعة عن تنحي الرئيس (جمال عبد الناصر)، وما نقله مذيع العدو لأمين القدس ومحافظها، فهذا التحول في المواقف والثوابت الذي قدمه الإعلام خلق في نفسية السياسي حالة من الصدمة، والانكسار وقلباً لكل ما كان متوقعاً [1] وهنا يقدم إحسان الصباغ نقدا لاذعا لتقصير الإعلام عن القيام بواجبه اتجاه قضايا الأمة المصيرية، فقد أسهم بطمس الحقائق عن أسماع الشعوب الأمر الذي خلق حالة من عدم الثقة ما بين السلطة والشعب، وبالتالي حدوث القطيعة والتأزم.

ولم يكن الإعلام العربي وفق منظور (سلمى العمر)، مصيباً في تقديمه للقضية الفلسطينية، وما يعانيه أهلها من سياسة التهجير والإقصاء، فهو إعلام لم يكن يملك الأدوات اللازمة، والحجج والأدلة الدامغة على عدالة القضية التي يدافع عنها، وهذا ما يكشف عنه الحوار الذي دار بين سلمى، والسيدة الأجنبية التي صادفتها في محطة الباصات.

فقد قالت لها السيدة:

" **لم أسمع عن بلد اسمه فلسطين، قالت لها فلسطين قرب الأردن، يفصل بينهما نهر الأردن قالت: لم أسمع بالأردن أيضاً، حزنت وكان عليها أن تقدم لها شرحاً طويلاً**"[2].

لقد حملت الصحافة ظل السلطة السياسية بكل قوتها وضعفها، فالصحافة انعكاس حقيقي لحال السياسة، ولعل حال الأمة العربية، وما هي عليه من ضعف وانتكاس جاء متجسداً في صوت الإعلام الذي أخذ يتحدث عن الواقعية، وينتقد حاملي الشعارات الجوفاء، فأفضل السياسات المجدية وفق ما يراه الإعلام، سياسة (خذ وطالب)، فالرفض المستمر يمثل حالة عدمية، فالشعارات تريد تحقيق كل شيء، وفي الواقع لا يحصل أحد على شيء، وهنا تظل الصحافة والإعلام وفق ما يراه (بكر

(1) انظر، السعافين، الطريق إلى سحماتا، ص 49.

(2) السعافين، الطريق إلى سحماتا، ص49.

الزنـاتي)، مصـدراً للكـذب والصـراخ، بيـد أن المشـكلة تكمـن كـذلك فـي سياسـة الإعـلام القائمة على الكذب وتصديق كل ما يسمع دون تفكير في الخبر أو تحليل للموقف [1] ومثل هذا التوجه يبدو جلياً كذلك في خبر اعتقال (سليم الهاشمي) في رواية (زمن الخيول البيضاء)، فقد أراد (الهاشمي) تغيير صورته النمطية في عيون أهله كونه من الموالين للسلطة مستغلاً الصحافة في ذلك، فنجد أن تجاهل الصحف خبر اعتقاله أسبوعا كاملاً أقلقه، وشعر أن كل شيء سيذهب هباءً، فاتصل بابنه (أنس) وطلب منه أن يحرك الصحافة بمعرفته بقوله:

" **أريد مقالات، مقالات محترمة، مقالات لا غبار عليها اعمل على أن يكتب محمود الحاج واحداً منها**" [2].

إن تناول الإعلام لشخصية (الهاشمي) وإعادة رسمه من جديد في عيون الناس قد شكل تغيرا مهما، فقد أحدثت الصحافة حالة من التحول في المواقف، ووجهات النظر فقد أصبحت ترى فيه شخصية وطنية جديرة بالاحترام والتقدير، وهذا التبدل الذي مارسه الإعلام في إعادة رسم شخصية (الهاشمي) السياسية التي امتازت بالاستغلال والبحث عن الذات، الى شخصية قومية، هدفها قضايا الأمة غير كل المواقف خاصة إذا تم الاعتماد على صحفي يمتلك صوتا مسموعا، ومقنعا للجماهير.

ويبدو هذا التحول جلياً، فيما يسرده الراوي في الرواية ذاتها مبديا حجم التغيير الذي أحدثه الإعلام المأجور في التوجهات والقناعات لدى الناس، بقوله:

" **الشيء المهم الذي حدث هو أن الاتصالات لم تعد تتوقف من إدارة السجن، تحدث عدد كبير من الزعامات، ومن مختلف المدن مرددين الطلبات نفسها: أن يعامل الهاشمي كما تعامل أي شخصية كبيرة، فهو رجل وطني، وصناعي كبير، وواحد من أبرز العقول في البلاد كلها** "[3].

وفي ظل هذا التحول يظل الصحفي، هو المحرك الأساسي لتغيير المواقف والاتجاهات، فما كتبه (محمود الحاج) بحق (سليم الهاشمي)، أدى بالضرورة لخروج

---

(1) انظر، السعافين، الطريق إلى سحماتا، ص155.

(2) نصر الله، زمن الخيول البيضاء، ص 458.

(3) نصر الله، زمن الخيول البيضاء، ص 459.

الصحفي عن المنهج الصحيح في نقل الخبر، وهُنا ينتهي دور الصحفي المتكسب الذي تم استغلال قلمه لتوجيه موقف الجماهير، فبعد انتهاء استقبال (سليم الهاشمي) طلب ابنه إيصال الصحفي (محمود) إلى أي مكان يريده، فكان رد الهاشمي:

" **ولماذا؟ لقد انتهى دوره** " **وهنا أحس الصحفي محمود بأنه أصبح عارياً، متساقطاً، كما تساقط الهاربون من الحرب على الشواطئ الفلسطينية** ..." [1].

وهنا يظهر إحساس الصحفي والسياسي الممارس لوظيفة الصحافة، والمتنكر لدورها في إجلاء الحقيقة وبناء الوعي، وقد شارك في خروجها عن مسارها فأصبحت عاملاً مهماً من عوامل الهدم في المجتمع، بعد تزييف الحقيقة وتزيين الباطل فتغير دوره كان بمثابة الاستعمار الذي جثا على البلاد، وما زالت تحاول الخلاص منه دون جدوى.

ولم يقف الإعلام في الروايات الأردنية المدروسة، عند أحداث كبرى كنكسة حزيران وما أحدثته من تغيرات جذرية في الواقع العربي، بل تناول قضايا ذات شأن محلي تمثلت بنقد السلطة، والحديث عن غياب الديموقراطية، وأشارت الروايات إلى تراجع دور الإعلام عن رسالته نحو الجماهير، بسبب سطوة السلطة، وحالة الرقابة التي تفرضها عليه. وفي الوقت الذي يعاني فيه الإعلام العربي في كثير من أدواره من التبعية والتقزيم، فقد أظهرت الروايات الأردنية الإعلام الغربي وما يتميز به من انفتاح على الآخر بفعل مبادئ الديموقراطية التي قام عليها، فجاء الإعلام هنا على قدر عال من الإيمان بعمق رسالته، وقد ظهر في الروايات الأردنية بين الفينة والأخرى، ما أبرز هذا الاتجاه، فقد مثلت حالة الاغتراب والنفي التي تعرض لها (أحمد مراد)، وأسرته مادة إعلامية حاولت الصحافة الغربية ومحطات التلفزة، الحديث عنها محاولة رصد حالة القمع الذي تمارسه السلطة. ورغم مسافة الحرية التي يحاول الإعلام الغربي توفيرها لكل من يقيم على أرضه، فقد ظل (أحمد مراد) يحمل بقايا الخوف التي زرعها فيه النظام السياسي، والإعلام السلطوي المساند له، فيؤثر البقاء صامتاً أمام كل المحاولات التي تدفعه للبوح عن معاناته، ومعاناة أسرته[2].

---

(1) نصر الله، رواية زمن الخيول البيضاء، ص 461.

(2) انظر، الرزاز، رواية اعترافات كاتم صوت، ص157.

5.2 الصراع:

يعد الصراع من أهم العناصر الديناميكية التي تعكس تكيف الفرد مع نفسه فهو يحمل في داخله دافعين متعارضين يسعى كل واحد منهما للإشباع وإثبات ذاته وعليه فقد شكَّل الصراع جانبا مهما لدى الشخصيات في العمل الروائي، فهو من أهم العناصر المكونة للرواية، فهو يمنحها الحياة، ويبعث فيها الحركة، ويعمل على دفع الأحداث إلى النمو والتطور[1] . إذ يرى (توفيق الحكيم) أن الخير والشر نقيضان لا يلتقيان إلا في حلبة الصراع، ولا بد من تواجد المتناقضات لتستقيم الحياة، فوجود الشر بجانب الخير ضروري حتى يكتمل تماسك البناء على الأرض، فلا معنى للرذيلة بدون فضيلة، ولا معنى للحق بدون باطل [2] .

وقبل الخوض في فكرة الصراع داخل الروايات، تجدر الإشارة إلى أن تقنية الصراع جاءت من المسرح الذي يأتي في المرتبة الأولى من حيث اعتماده على الصراع، كعنصر فني لتطوير الأحداث، ودفعها إلى الأمام، فقد اهتمت المأساة اليونانية بالصراع الذي تقوم عليه المسرحية، والذي يدور بين البطل باعتباره القوة الرئيسية، وبين الأعداء أو المعوقات الطبيعية والاجتماعية، باعتبارها القوة المضادة، فيظهر (أوديب) بطل مسرحية (سوفوكليس)؛ ليؤكد تقديس الإنسان للصراع من أجل حياة أفضل، مع أنه يعرف ما أعدته الآلهة من مصير محتوم، فنجده يتحداها، ويحاول التخلص من ذلك المصير، فيهجر مدينة والديه، وتفشل محاولته، ولكن فشلها لا يعني تأكيد سلطة الآلهة، بقدر ما يؤكد حرية الصراع، ويقرر مبدأ السعي للخلاص من المصير المحتوم (فسوفوكليس) كان يرفض السيطرة الإلهية على مصير الإنسان، ولكن رغم هذا الإيمان كان يريد للإنسان أن يجسد الصراع [3] .

---

(1) العريني، عبد الله صالح، الاتجاه الإسلامي في أعمال الكيلاني القصصية، دار كنوز إشبيليا،2005م، ص238.

(2) النساج، سيد حامد، اتجاهات القصة المصرية القصيرة، (د. ط)، دار المعارف، القاهرة، ص 311 . 312.

(3) محمد، إبراهيم عبد الرحمن، النظرية والتطبيق في الأدب المقارن، دار العودة، بيروت، (1982م)، ص 188.

وينظر الوجوديون إلى هذا الموضوع على أنه صراع الفرد مع الجماعة، التي تعتبر جحيماً يعيق الفرد عن تحقيق وجوده وحريته، ولذلك يكون الاصطدام بها حتمياً [1] ، فالإنسان الوجودي يعتقد أنه أُلقي وحيداً في هذا الكون دون أي نصير أو معين، ولا بد له من أن يصارع الآخرين الذين يحاصرونه، فيرى (سارتر) أن الله قد أبقى الإنسان في هذا الكون، وعليه تحقيق وجوده الخاص، ولن يتأتى له ذلك إلا بالمواجهة والتمرد على كل شيء في الحياة القائمة [2]، فالصراع هو الحياة والحركة، فلولا وجود الشر في الأرض، ومصارعة الخير له لركد وتعفن وضعف، ولم تعد له إيجابية حقيقية في الحياة، فالصراع يحيي الخير وينشطه [3].

إن الصراع في العالم الواقعي يخترق الأدب، فالأدب مرآة الواقع، وفيه تنعكس ظاهرة الصراع بكل زخمها بفضل خاصيته التمثيلية، ومن جهة أخرى فالأدب امتداد الواقع وجزء منه، حيث يشكل ظاهرة اجتماعية تاريخية إلى جانب كونه فناً، ومن هذه الزاوية يكون الأدب نفسه عنصراً فاعلاً ضمن ظاهرة صراعية أشمل [4] . وهذا ينسجم مع الوظيفة الحقيقية للصراع، والقائمة على " كشف منابع القوة والضعف في الشخصية مبرزاً معدن الإنسان لحظة مواجهة الخطر، متصاعداً من خلال عدد من التنويعات أو المستويات، بادئاً بالإنسان الفرد مواجهاً ذاته مرة، أو مواجهاً فرداً آخر ثانية لتستمر تنويعات المواجهة بعد ذلك ارتفاعاً، لتنتهي بالبطل والزعيم والأسطورة [5].

ويقصد بالصراع في الرواية الاحتكاك والصدام بين الشخصية، وبين نفسها، وعواطفها الذاتية أو عقيدتها، وهذا ما يسمى بالصراع الداخلي أو قد يكون الصراع بين

---

(1) انظر، التواني، مصطفى، دراسة في روايات نجيب محفوظ الذهنية، الدار التونسية، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1996م، ص68.

(2) انظر، التواني، دراسة في روايات نجيب محفوظ الذهنية، ص 72.

(3) قطب، محمد، منهج الفن الإسلامي، دار الشروق، القاهرة، ط6، 1983م، ص82.

(4) إدريس، سامية، صور الصراع في رواية (ص) لزرياب بوكفه، قراءة في المضمون، مجلة الخطاب، الجزائر، المجلد 13، عدد1، ص135.

(5) مادي، حسين عبد، يوسف إدريس الصراع والمواجهة، دار الوفاء للطباعة والنشر، الاسكندرية، مصر، ط1، 1999م ص49.

الشخصية وغيرها من الشخصيات وهو ما يطلق عليه الصراع الخارجي، وكلما كان الصراع قوياً كان العمل أنجح وأعمق[1]. ولا يقف الأمر عند ذلك فلكي يشتد الصراع ويحتدم، يجب أن يتحقق التباين بين الشخصيات، وهذا يستدعي بالضرورة وجود شخصية محورية من الطراز القوي العنيد الذي لا يقنع بأنصاف الحلول، فإما يبلغ ما يريد أو يتحطم [2].

تعددت أشكال الصراع في الروايات العربية ولا سيما الروايات الأردنية، فظهر العديد من نماذج الصراع التي تمثلت فيها حركة المجتمع، ومن هذه النماذج الصراع الاجتماعي بين الطبقات الاجتماعية، وهناك الصراع النفسي الذي يكشف عما تعاني منه الشخصيات الروائية من واقع مأزوم؛ نتيجة ما تفرضه عليها طبيعة الحياة، والتحولات السياسية، والاجتماعية التي تعصف بالمجتمع، والمتتبع لحركة الصراع في الروايات المدروسة، يكشف بشكل جلي كذلك ظهور الصراع الحضاري؛ نتيجة ما تعرضت له المنطقة العربية من حركات استعمارية، حاول من خلالها المحتل فرض صوته على المكان والإنسان بل أصبح هو مصدر القلق للفرد والجماعة، وتبعا لهذه العلاقة المشحونة بين الطرفين، تولدت لدى الفرد والجماعة أنماط شتى من الصراع، ويمكن دراستها على النحو التالي:

1.5.2 الصراع والمكان

يعد المكان أحد الجوانب الرئيسية التي يستند إليها العمل الأدبي، ويبدو هذا التوجه جلياً في الميدان الروائي، إذ لا يستطيع منجز العمل الروائي بأي حال من الأحوال الاستغناء عن العنصر المكاني سواء أكان ذلك على وجه الحقيقة أم ضربا من الخيال، فمن خلاله "يخلق الكاتب عادة عالماً روائياً، تقع فيه أحداث الرواية، ويعتبر انزياحا عن الواقع، باتجاه عالم متخيل، وإن كان في الأصل يستمد من عالم الواقع، إلا أنه يختلف عنه اختلافاً جوهرياً، يجعله قادراً على أن يسم المكان بسمات تجعل له تأثيرات

(1) مريدن، عزيزة، القصة والرواية، دار الفكر للطباعة والنشر، دمشق، 1990م، ص 65.

(2) باكثير، علي أحمد، فن المسرحية من خلال تجاربي الشخصية، دار المعرفة، القاهرة، ط2، 1964م، ص65.

واضحة على شخصية ما من الشخصيات الروائية، أو العكس حيث تخلع الشخصية على الأشياء الخارجية صفات جديدة، تكون معادلاً موضوعياً لما يدور في داخل الشخصية من أحاسيس ومشاعر ..."[1].

يرتبط المكان بالشخصية داخل العمل الروائي ارتباطا وثيقا، فهو يسهم بشكل لافت في التأثير على حركتها وتفاعلها مع الأحداث وهذا التفاعل ناجم عن حركة صراع لدى الشخصيات التي هي" مدار المعاني الإنسانية ومحور الآراء والأفكار العامة فلا يسوق القاص أفكاره العامة وقضاياه منفصلا عن محيطه الحيوي" (2). وعليه تظل الشخصية في تحركاتها محكومة بجزء كبير من تأثير المكان عليها، وهذا التأثير يؤدي إلى تشكل جوانب من الصراع داخلها وبذلك يظهر أثر المكان على الشخصية في جميع جوانبها الجسدية والنفسية.

أنماط المكان وتجسيدها للصراع

المكان المفتوح

هو الحيز المكاني الواسع الذي لا تحده حدود ضيقة، وغالباً ما يكون لوحة طبيعية في الهواء الطلق [3] ، وهذا يؤدي بالضرورة إلى دفع الشخصيات في الرواية " بالتردد عليه في أي وقت تشاء دون قيد أو شرط، مع عدم الإخلال بالعرف الاجتماعي، أي ممارسة سلوك غير سوي يرفضه المجتمع كالسرقة والعدوانية [4] ومن نماذج المكان المفتوح الذي رصدته الروايات الأردنية المدروسة ما يلي:

---

(1) موسى، إبراهيم نمر، جماليات التشكيل الزماني والمكاني لرواية الحواف مجلة فصول، مجلد12، العدد2، القاهرة 1993م، ص167.

(2) عبد الخالق، نادر، الشخصية الروائية بين علي أحمد باكثير ونجيب الكيلاني، دراسة فنية، دار العلم للنشر، ط2005،1م، ص44..

(3) عبود، أوريده، المكان في القصة الجزائرية الثورية، دراسة بنيوية لنفوس ثائرة، دار الأمل للطباعة والنشر (د.ط)، 2009م، ص51.

(4) حسين، فهد، المكان في الرواية البحرينية، فراديس للنشر والتوزيع، مملكة البحرين، ط1، 2009م، ص 80.

المدينة

شكلت المدنية بكل تفصيلاتها حضوراً لافتاً وبارزاً في الرواية الأردنية، فهي ميدان خصب يسمح بشبكة علاقات متشعبة بين الشخصيات، انطلاقا مما توفره من حرية، واختلاط، وتنقل، وحراك اجتماعي واسع، فقد ظهرت مدينة عمان في رواية (الشهبندر) ملتقى القوافل وإن بدت بجاذبية أقل من الإسكندرية أو أنطاكية أو قرطاج، بل مثلت وفق ما يقدمه الراوي:

"**بوتقة انصهرت فيها كل الأجناس من الشرق والغرب تصادمت أكتافهم، وكأنهم في مفترق طريق كثيف المرور ...**" [(1)].

إنَّ عمان بكل ما حوته من خليط سكاني استطاعت أن تخلق جواً من الصراع الاجتماعي، والفكري بين السكان ، فظهرت عمان بفعل هذا الخليط نموذجاً للثقافات المتعددة مما لا يمكن القبول معها بانتماء عمان ذلك المكان المفتوح لزمن معين أو حضارة بعينها، فعمان التي حملت اسم (فيلادلفيا) في زمن معين، لم تكن تنتشر على سبعة تلال وفق ما يشير الراوي بل كانت تنقص وتزيد ، فيتفق الناس على قسمة تل أو جمع تلين متجاورين دلالة واضحة على ما تحمله المدينة من قدسية في نفوس ساكنيها، فتصبح عمان كمكان مفتوح مدينة أسطورية ارتبط اسمها بالعدد سبعة، وما يحمله هذا الرقم من دلالة دينية في نفوس الشرقيين .

لقد خلقت مدينة عمان حالة من الصراع بين الشخصيات فقد قدم (الشهبندر) كفاحا كبيرا، وتضحيات شتى من أجل إثبات الذات في أسواق عمان، من خلال تنافسه الشديد مع التاجر (سليم الدقر)؛ حتى يصل لمرتبة شهبندر التجار، وبالتالي شهبندر عمان، وهنا فرضت المدينة بكل ما وصلت إليه من مكانة استراتيجية على (الشهبندر) سعيا شديدا لإثبات الذات حتى يرقى بحظوة المدينة وأهلها، والذي يقوده مستقبلا حتى يكون صاحب كلمة مسموعة فيها حتى أمام السلطات.

ومن نماذج المدينة الحاضرة في الرواية الأردنية إضافة إلى عمان، (مدينة الكرك) من خلال ما قدمه الشيخ (عبد الحميد الجنزير) في رواية (عندما تشيخ الذئاب) فقد

---

(1) غرايبه، الشهبندر، ص51.

وصف عزمي الوجيه أثناء زيارته لمدينة الكرك في رحلة وفاء واستذكار لشهداء معركة مؤتة، رجلاً منعزلاً في حالة صفاء ووجد، وقد عبَّر عما يجول بخاطره قائلاً:

" **تكبيرات المجاهدين، وصليل سيوفهم تاهت إلى مسمعي، وأزمان المجد شهقت فأرعشت روحي** "[1] .

ويحمل (تعبير عزمي) الوجيه نمطاً من الصراع النفسي الذي أثاره المكان فكومة الحجارة التي وقف أمامها أثارت في نفسه موجة من الصراع العارم، حاملة صورتين متناقضتين من واقع الأمة، صورة مثَّلت الأمة المنتصرة التي امتدت في كل أرجاء الأرض تحمل الانتصار والتقدم، وصورة مثلت الأمة المنهزمة المتراجعة التي فككها الصراع على السلطة، والسير وراء تحقيق المكتسبات.

وفي شعور (عزمي الوجيه) تجسيد واقعي لإنسان عربي مأزوم، يحمل في داخله صراعا نفسيا عميقا، فلم يعد قادراً على استيعاب ما يدور حوله، فآثر الوقوف في المكان طويلاً، لما يحمله من زمن مشرق وقد آثر أن لا يغادره، وهنا يقدم المكان المتمثل بمدينة الكرك نمطا من الشعور بالطمأنينة لعزمي بل يمثل ملاذا آمنا؛ للهروب من الواقع المليء بالهزائم وفق ما يرى.

الوادي

يحمل الوادي نمطاً من المكان المفتوح، وقد ظهر هذا المكان كمصدر للخوف والقلق، فشكلت حافة الوادي نمطاً وشعوراً من العودة إلى الجذور الذي حاول (عزمي الوجيه) في رواية (عندما تشيخ الذئاب) الفرار منه، فوفق ما يقدمه الشيخ (الجنزير) عن زيارة وادي اليرموك، فقد أعرض (عزمي الوجيه) عن الوقوف على الحافة، حيث اكتفى بالجلوس وحيداً تحت شجرة بلوط مطلة على بحيرة طبريا، مفسراً هذا الانعزال بمحاولة سماع شيء من ضجيج أيام عاشها في زمن آخر [2]. ويخلق هذا الشعور لديه تقاطعا نفسيا حيث معركة اليرموك وما حققه المسلمون فيها من انتصارات وحال الأمة في الوقت الحاضر وضياع طبرية، فانعزال (عزمي) وانقطاع نسبه هو انعزال الأمة وضياع صلتها بماضيها، ويبدو أن النظرة السلبية من الوادي وما يمثله من مكان

---

(1) ناجي، عندما تشيخ الذئاب، ص 90.

(2) انظر، ناجي، عندما تشيخ الذئاب، ص 90.

مفتوح لدى (عزمي) ناجم عن إحساس يشوبه الخوف عائد إلى زمن الطفولة وقد ظهر ذلك جلياً بقوله معبراً عن نفسه:

" **أكثر اللحظات هلعاً في حياتي كانت أيضاً في الأشهر الأولى من عمري، فكلما حملتني أمي أو أبي، أحسست أن المسافة بين كتف من يحملني، وبين الأرض عالياً جداً فأخاف وأبكي، حتى يعيدوني إلى الأرض حيث الأمان والاطمئنان** " [1] .

فقد ظل (عزمي) يهرب من المكان المفتوح الذي تمثل بالوادي ولا سيما حافته، ويخشى الوصول إليه، فالحافة خلقت في نظره مرحلة انتهاء الحياة، والعودة إلى نقطة الصفر، وربما الموت الذي لا عودة بعده، فعزمي قطع شوطاً في مشوار الحياة وفق ما قاله الشيخ (عبد الحميد الجنزير)، فظهر واقفاً على حافة شاهقة في مرتفع الحياة، وهذا سيؤدي وفق اعتقاد (الشيخ) الاقتراب من حافة الهاوية [2]. وهنا يتجسد صراع نفسي عميق لدى (عزمي) بضرورة الإصرار على الحياة ومحاولة إثبات الذات، وهذا ينسجم مع شعور داخلي عنده بعدم الانتماء، والذي تكشف عنه الرواية في النهايات على لسان (سندس) بأن (رباح الوجيه) الذي يعتقد أنه والده هو رجل عاقر.

المكان المغلق

السجن

تعد السجون نموذجاً من نماذج اللعنة والسواد، التي تلاحق الأبطال في كل الأزمنة، بوصفها مكانا مغلقا فهي تبرز معاناة المثقف الذي يئن من سوط الجلاد، وكذلك رجل الدولة الذي أخرجته مطامع السلطة عن طريق النظام السياسي، والسجن الذي يخنق الحرية، ويقيد الحراك الإنساني ظل هاجساً يطارد الأبطال والشخصيات الروائية، وهذا وقد عبَّر عنه أحد الدارسين بقوله: " لعنة أبدية تطارد البطل السياسي أينما توجه، ومهما تنازل وخسر روحه وتوازنه، فإنهم لا يتركونه لحاله، بل ويأسرون روحه إلى الأبد "[3].

---

(1) ناجي، عندما تشيخ الذئاب، ص 92.

(2) انظر، ناجي، عندما تشيخ الذئاب، ص 315.

(3) وادي، الرواية السياسية، ص 39.

قد شكل السجن بمفرداته ومحتوياته المادية حالة من الصراع في نفوس الشخصيات التي سكنته، انطلاقاً من السياسي الذي يناكف السلطة وانتهاء بالإنسان العادي، ويبدو أثر السجن جلياً في تفكير (بكر الطايل) في رواية (عندما تشيخ الذئاب) الذي انضم لجماعة (الجنزير) وآمن بأفكارها فقد اتهم بقتل امرأة أثناء عمله سائقاً لتكسي، فيشير إلى ما تعرض إليه من صنوف الضرب والتعذيب للحصول على الاعتراف منه بالجريمة، غير أنه بقي متمسكاً بموقفه، وقد حمل السجن بكل دلالته السلبية مفارقة لدى (بكر الطايل)، فهو يراه، بعد الظلم الذي حل به نمطاً ومكاناً للراحة والاطمئنان، ويشير إلى ذلك بقوله صراحة: " **لقد حققت انتصاراً في هذه الحياة، وصرت أنام قرير العين في سجن الجويدة، ولم أهتم بالقمل الذي تسلل إلى رأسي والبثور التي طفرت على وجهي، وباقي أجزاء بدني منذ الأسبوع الأول لحبسهم لي، وشعرت بارتياح كبير حين أخبرني أحد السجناء أن الشرطة أغلقت النادي، بعد أن قبضت على ذلك السكير الزاني، وأعلنت الصحف إقالته من منصبه الذي تبين أنه حساس وذو علاقة بالحريات العامة التي تقدم للمواطنين** "[1].

بالرغم من سوداوية السجن، إلا أنه ظهر مكاناً يحمل العديد من الصراعات السياسية بين الأحزاب، فكل حزب يحاول اثبات ذاته، ولا سيما الأحزاب الدينية التي وجدت في السجن مكاناً خصبا قادراً على التأثير في النفوس، وكسب المؤيدين، فبرز السجن ساحة من الصراع السياسي؛ لإثبات الذات ونشر الأفكار والتوجهات، وهذا ما عبر عنه (بكر الطايل) بقوله:

" **لاحظت أثناء وجودي في السجن أن كثيرين من السجناء يؤدون الصلاة في أوقاتها، كما أن بعض السجناء الجدد، يتحولون في غضون أيام إلى عبادة ربهم، والانضمام إلى المصلين حتى أن عددا لا بأس به من رجال الشرطة، وحراس السجن يؤدون الصلاة أيضاً، وهو ما لم أتوقعه بسبب قسوة تعاملهم معي، وتعذيبهم لي قبل وضعي في السجن** "[2].

---

(1) ناجي، عندما تشيخ الذئاب، ص 178.

(2) ناجي، عندما تشيخ الذئاب، ص 179.

يظل السجن بكل ما حمله من دلالات القسوة، والظلم، والاضطهاد، ميداناً حمل جانباً من الصراع على مستوى الفرد أو على مستوى الجماعات، فقد ظل ركناً مهماً من أركان التأثير على عقليات الأفراد والجماعات، وميداناً مهماً لاستقطاب الآخرين، وليس أدلَّ على ذلك إلا حالة التحول التي أصابت (بكر الطايل)، فقد أحدث السجن في نفسه حالة من الصراع قادته في نهاية المطاف إلى التأثر بالمحيطين به داخل السجن، فقد كان السجن له فرصة للتبحر في معاني الآيات الكريمة، وعند لحظة الإفراج عنه، كان الشيخ (الجنزير) أول من التقاه بعد أهله "[1]، وهنا يسهم السجن بكل تفاصيله المكانية، وبكل ما احتوى من أدوات القمع والتعذيب في خلق صراع لدى ساكنيه، فقد خلق صراعا داخليا لدى (بكر الطايل) الذي أكد على إعادة ترتيب مواقفه من أشياء كثيرة في الحياة، إذ لم يعد على صلة بالماضي بعد الخروج من السجن .

المقاهي

تعد المقاهي من أبرز التفصيلات المكانية التي تعج بها المدن، فقد مثلت من حين لآخر عاملاً من عوامل الألفة والتوحد الاجتماعي، ودليلاً يعكس حياة المجتمع وما يسودها من أنات ومصاعب، وقد شهدت المقاهي أنماطاً متعددة، من الصراع الإنساني، ويرى شاكر النابلسي أن المقاهي التي انتشرت في العالم العربي كانت منفتحة انفتاحا اجتماعيا، وفنيا وثقافيا، وقد كانت المقاهي تقوم مقام النادي الأدبي كما كانت تقوم مقام المسرح حيث كان الرواة يأتون، ويقصون الحكايات والسير الشعبية وهذه كلها مظاهر للانفتاح الاجتماعي والثقافي الذي ساهمت المقاهي في تحقيقه[2]

تظهر مقاهي عمان، كمقهى (حمدان)، ومقهى (المنشية)، ومقهى (العبكيكي) شاهداً تاريخياً على الأحوال السياسية، والاقتصادية، والتحولات التاريخية التي شهدها المجتمع الأردني، وقد تجسد هذا الواقع فيما يقدمه هاشم غرايبة في رواية (الشهبندر) التي شخص فيها الأمكنة، فأصبحت عنصرا يحمل معاني الحياة شأنه شأن الراوي ، فقدم المكان وصفاً دقيقاً عن نفسه، وما ينتاب تضاريسه من صراعات واختلافات، ولا يقف الأمر عند حدود ذلك بل نجد المكان ولا سيما المقهى (مقهى حمدان) بفعل

(1) انظر، عندما تشيخ الذئاب، ص180.

(2) انظر، النابلسي، شاكر، جماليات المكان في الرواية العربية، ص195.

الأنسنة والتشخيص يعيش صراعاً داخلياً فهو يفتقد زواره، ويشعر بالحنين إليهم، ويظهر هذا التوجه جلياً في حديث مقهى حمدان عن نفسه بقوله :

" **أنا مقهى حمدان شاهد تاريخ الأمة.. مثلما الباشا شيخ الأردنيين أينما اجتمعوا، أنا ملتقى الوطنيين والقوميين مهما اختلفوا، هنا عقدوا مؤتمرهم الأول! أفتقد الشهبندر رغم أنه لم يعد يزورني كثيراً.. الشهبندر شغل الناس الشاغل صرت أرى وجوهاً لم أعتد عليها من قبل؛ بعضهم مخبرون وبعضهم قدم من مناطق بعيدة لمقابلة شيوخ المعارضة والحديث يدور حول مقاومة الاستعمار، والتصدي للأطماع الصهيونية في فلسطين، وعن حال الأمة الذي لا يسر.**" [1].

يحمل المكان في داخله حالة من الصراع الداخلي بعد التحولات الاقتصادية، والاجتماعية التي أصابت المجتمع، فمقهى (حمدان) يئن بالحسرة، والحزن، فبعد أن كان مقتصراً على علية القوم أصبح ملتقى للجميع، فبدت الأحاديث بعد أن كانت ذات قيمة وفائدة أصبحت لا تجدي نفعا، ولا تحمل معنى في ذاتها، وهذا ما عبر عنه صوت المكان قائلاً:

" **سقا الله على أيام العز، زمان أول حوَّل يا حمدان بدلت غزلانها بقرود، وصار (يلطي) بصالتي مين ما كان، ويحكي شو ما كان** " [2].

ويقف المكان هنا أمام حالتين من الصراع، حالة متمثلة بالماضي حيث مثل ملتقى الأحرار والثوار وفيه تبحث قضايا الأمة المختلفة من بناء للأحزاب، ونشر للمنشورات السياسية، وتحليل للتوجهات السياسية المختلفة للقوى العظمى في المنطقة، أما الآن فقد تبددت الصورة الجميلة للمقهى، فقد أصبح محطة استراحة لقضاء وقت الفراغ، يرتاده الجميع، ولم تعد ترقى أحاديثه لمستوى حال الأمة التي حل بها التفكك والتراجع

(1) غرايبه، الشهبندر، ص93.

(2) غرايبه، الشهبندر، ص 193.

2.5.2 الصراع والزمن

لقد تعددت المناهج النقدية التي تناولت مفهوم الزمن السردي، ذلك تبعاً للمذاهب النقدية التي ينتمي إليها النقاد، فمنهم من تناول الزمن المادي الذي يُقاس بالساعات والأيام، والسنوات، ومنهم من اتجه إلى دراسة الزمن النفسي، ومدى انعكاسه على طبيعة الشخصية، وردود أفعالها المتوقعة وغير المتوقعة، وهناك من ميز بين زمنين خارجي يدرس البنية خارج النص، وداخلي يحكم مسيرة العمل الروائي نفسها "[1].

إنَّ دراسة الباحث للزمن وآليته تفرض عليه الإشارة إلى الخصائص التي يتفرد بها هذا العنصر دون غيره، " فالزمن أمر نسبي يعرف عن طريق الأحداث المتغيرة أو الأشياء الثابتة التي نتصل بها في حياتنا اليومية" [2].

أما الزمن عند (نيوتن)، فقد جاء على قسمين مطلق ونسبي، أما الزمن المطلق فهو الزمان الحقيقي الرياضي، وهو قائم بذاته مستقل بطبيعته في غير نسبة إلى شيء خارجي، ويسمى أيضاً باسم المدة، وعلى العكس من هذا نجد أن الزمان النسبي يبدو عادياً، وهو مقياس حسي خارجي؛ لأنه مدة بواسطة الحركة، وهو الزمن المستعمل في الحياة المادية على هيئة ساعات، وأيام، وشهور، وقد يكون دقيقاً، وقد لا يكون متساوياً مطرداً[3].

يشكل الزمن بكل أبعاده الأساسية جانباً مهماً في الإنجازات الفنية المتعددة، سواء ما كان مجسداً على مستوى الكتابة، أو ما كان ملموساً يدركه المرء بعينه، وآلية الزمن شديدة الترابط بالفنون التي تصور عالما مصغرا، ولا سيما الرواية التي تجسد مجموعة من الأحداث، وهذه الأحداث مهما كانت الدرجة التي تشكلها على مستوى الأهمية، أو الهامشية لا بد أن تشغل زمناً معيناً تطول مدته أو تقصر؛ تبعاً لطبيعة الحدث المتناول روائياً، ويمكن القول أن الزمن الروائي لا ينفصل بأي حال من الأحوال عن

---

(1) المحيسن، صخر، البنية الدلالية والسردية في رواية أرض السواد لعبد الرحمن منيف، رسالة ماجستير، جامعة مؤته،2005م، ص77.

(2) جنداري، إبراهيم، الفضاء الروائي عند جبرا إبراهيم جبرا، دار الشؤون الثقافية العامة، آفاق عربية، بغداد، ط1، 2001م، ص44.

(3) بدوي، عبد الرحمن، الزمن الوجودي، دار الثقافة، بيروت، ط3، 1973م، ص100.

غيره من الأزمنة المتعلقة بالدراسات الفلسفية والنفسية، فالزمن الروائي " يتناسب مع المفهوم الفلسفي أو النفسي، لما لهذين المفهومين من ارتباط بالمفهوم الأدبي" [1]. مع ضرورة التحام العنصر الزماني بالأدب " فالأدب مثل الموسيقى هو فن مكاني و زماني لأن الزمن هو وسيط الرواية، كما هو وسيط الحياة، وعبارة " كان يا ما كان في قديم الزمان، هو الموضوع الأزلي لكل قصة يحكيها الإنسان " [2].

إنَّ قضية الصراع الزمني تبدو متجلية على تعدد العصور والأمكنة، فمواجهة الإنسان للزمن متكررة من حين لآخر، لذلك فقد عاد الناس إلى الماضي، كرد فعل للرعب الذي اكتسح الإنسان، ونفذ آخرون إلى المستقبل برؤية واضحة، يخططون نافضين عن كواهلهم أثر الحلم، وأصبحت قضية الزمن لعبة هذا العصر، وتفسيراً لما فيه من مظاهر متناقضة [3]. وعادة ما تستغرق أحداث الرواية سنوات، ولكنها تتم في ساعات تفصل صوراً للصراع الإنساني حتى يبدو الزمن لمتأمله شكلاً من أشكال الحس والوجدان، وهو بذلك يصير ركناً مهماً من أركان الحياة الإنسانية [4] .

ولقد حمل الزمن في الرواية الأردنية العديد من الدلالات، فتم النظر إليه وفق الحالة النفسية التي يمر بها الفرد أو الجماعة، فيظهر الزمن الماضي وفق ما يرى (الدكتور مراد) في رواية (اعترافات كاتم صوت)، زمناً معروفاً واضحاً يتحرك فيه الفرد بمساحة كبيرة من الحرية، أما المستقبل وبفعل التغير السياسي فقد جاء غامضاً مجهولاً، فيظهر الزمن ثقيلاً على العائلة كلها، خاصة وأنه يمثل زمن الإقامة الجبرية، والانعزال عن

---

(1) مبروك، مراد عبد الرحمن، بناء الزمن في الرواية المعاصرة، رواية تيار الوعي نموذجا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1998م، ص50.

(2) ميرهوف، هانز، الزمن في الأدب، ترجمة أسعد رزوق، مراجعة العوضي الوكيل، سجل العرب، القاهرة، 1972م، ص9.

(3) الخياط، جلال، الشعر والزمن، وزارة الإعلام العراقية، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1975م، ص113.

(4) غزوان، عناد، أصداء دراسات أدبية نقدية، اتحاد الكتاب العرب للنشر، دمشق، 2000م، ص59.

العالم، ويبدو الصراع الذي يخلق حالة من العزلة الاجتماعية جلياً في حياة (الدكتور مراد) بقوله:

" **الماضي مريح، لأنه معروف مكشوف، المستقبل مرعب، ولأنه مجلل بحجاب المفاجأة، لكني التفت إلى الماضي، فلا أرى سوى فراغ أشبه بهاوية مظلمة، تفغر فاها ...**" [1].

ويحمل الزمن في ثناياه بُعداً نفسياً للشخصيات التي يمر بها، فيظهر الزمن وسيلة للتأمل ومراجعة الذات، ومحاكمة المواقف المتخذة، فقد شكل رحيل الخوري (جورجيو) في رواية (زمن الخيول البيضاء) نموذجاً لهذا الصراع الزمني، فبعد انتهاء مدة إقامته في الهادية، وإعلان ساعة الرحيل تحركت عربته وعلى مسافة ليست بعيدة، وقف يتأمل الهادية ويسترجع كل الذكريات فيها، يتحدث الراوي واصفاً لحظة التأمل والوقوف بقوله:

" **زمن طويل مرَّ على وقوفه، وعندما صعد العربة من جديد واختفى في جوفها، لم يبق في البعيد سوى تلك السحابة من الغُبار واندفاعها المتصاعد،،،** " [2].

ومن النماذج التي يمثل فيها الزمن عنصرا من عناصر إثارة الصراع والخوف، ما يقدمه الراوي عن إحجام الفرس عن تناول الطعام والشراب، الأمر الذي أثار في نفوس كل المراقبين من أهل الهادية صراعا عميقا، وخوفا من أن هذا الإحجام عن الطعام، قد يؤدي الى موتها، أو قد يكون نذير شؤم بوصفها رمزا بدليل إثارة الخوف لدى (خالد) ثم أسرته ثم قلوب أهل الهادية، فهي تثير الحيرة والحيرة تثير الخوف ويكشف هذا الصراع تمسك أهل الهادية بكل القيم العربية الأصيلة، والتي تعد الخيل مكونا أساسيا من مكوناتها ويظهر ذلك بقول الراوي:

"**مع غروب شمس مساء الجمعة، تحول الفرح بوجودها إلى خوف، خوف فقدانها. رفضت أن تأكل أو تشرب أو تتحرك، ولم يعد يخفى اهتزاز قوائمها المنذر بانهيارها**

---

(1) الرزاز، اعترافات كاتم صوت، ص 27.

(2) نصر الله، زمن الخيول البيضاء، ص 53.

في أي لحظة، لم يعد الخوف يطرق أبواب روح خالد وحده ... بل تسرب الى قلوب أسرته وقلوب أهل الهادية..." [1].

ومن نماذج الصراع التي يظهر فيها الزمن عاملا سلبيا على حياة الشخصيات في العمل الروائي ما تحمله (سندس) من نظرة تشاؤمية اتجاه الزمن، فقد مرَّ عليها الوقت حزينا وقد أثار في نفسها العديد من التساؤلات بعد رحيل (عزمي الوجيه) عن البيت، وقيامه بإعطائها عنوان مسكنه الجديد، وهنا يشكل الزمن محركا لإثارة الصراع الداخلي، ويساعد الشخصية على اتخاذ المواقف المبنية على التحليل المنطقي للأحداث مستقبلا، وقد عبرت عن هذه التساؤلات عبر المقطع التالي:

" **مرت أوقات قاسية أحسست خلالها بفراغ الحياة وتفاهتها. اشتقت لعزمي فكرت: ما الذي يجبره على إعطائي وصف بيته الذي أقام فيه إذا كان لا يريدني؟ أهي الغيرة من الجنزير أم الحرص علي؟...**" [2].

3.5.2 الصراع والحوار

الحوار كلام متبادل بين شخصين، استمد من فن المسرح، فهو العمود الفقري للمسرحية كما أن الحوار يتميز عن غيره من الأشكال التبادلية للكلام مثل المناظرة "بأن كل طرف لا يسعى إلى إقصاء الآخر أو بيان بطلان صحته، فكل طرف يقدم أفضل ما عنده من أفكار؛ لينميها وليصل مع الطرف الآخر إلى قاعدة مشتركة، كما أن الحوار يتميز عن المحادثة في أن لغة الأدب قائمة على الاختيار والاقتصاد، فالحوار بعيد عن العفوية والإطالة، مقيد بموضوع محدد ومحكوم بعناصر أخرى (شخصيات، وزمان، ومكان) تشترك معه في حاجتها إلى اللغة [3].

وللحوار اتصال مباشر بالشخصيات الروائية، فهو " يقدم دوراً في بناء الشخصية الروائية، فالشخصية لا تبنى فقط من خلال ما تقول، فهي حين تتحدث

---

(1) نصر الله، زمن الخيول البيضاء، ص24.

(2) انظر، ناجي، عندما تشيخ الذئاب، ص135.

(3) العدوان، أحمد، بداية النص الروائي، مقاربة لآليات تشكل الدلالة، النادي الأدبي، الرياض، ط 1، 2011م، ص 300 . 301.

مباشرة وتحاور جهراً تكشف عن دواخلها، فيسهل على المروي له تحديد ملامحها تحديداً أفضل "[1]. ويشي الحوار بالشخصية طبيعة، وثقافة، وبيئة، وطبقة، ومهنة، وسلوكاً، وربما شكلاً أحياناً أي أنه بعبارة أخرى يسهم في رسم الشخصية الفنية، فالتقديم الكامل للشخصية لا يكون إلا بالاستماع إليها، وهي تتحدث؛ لأنه في تلك الحالة فقط يلتقي القارئ بالشخصية مباشرة بعد إزالة المسافة السردية [2].

ومن " أهم وظائف الحوار وأخطرها في الرواية، هي وظيفة تنمية الصراع فيها، والتنبؤ بالأحداث القادمة " [3]، فيبدو الحوار وفق ما يراه أحد الدارسين " أقرب إلى المنازلة القتالية منه إلى التبادل الكلامي، ليدمغ النص بسمة سجالية عنيفة تتجابه فيها وجهات نظر مختلفة ومتباعدة، يظهر في ترجيح إحداها عن الباقيات إشارة إلى انحياز إليها وانتصار لها، هو انتصار يتردد بأشكال مختلفة في بنية العمل الروائي ككل وفي تفاصيله على هذا النحو، فتعكس وضعية الحوار، ووضعية العمل الروائي، وتشكل مدخلاً مهماً من مداخل مقاربة النصوص الروائية "[4].

ويعد الحوار الداخلي التقنية التي اصطلح النقاد على تسميتها المونولوج، والمونولوج كما يعرفه الكاتب الفرنسي (إدوارد دي جاردان) بأنه وسيلة إلى إدخال القارئ مباشرة في الحياة الداخلية للشخصية دون أي تدخل من جانب الكاتب بالشرح أو التعليق، ويظهر المونولوج بوصفه التعبير عن أخص الأفكار التي تكمن في أقرب موضع من اللاشعور[5]، كما يطلق على المونولوج اسم المناجاة، والمناجاة في حد ذاتها خطاب آخر يتسم حتماً بالسردية الأول: جواني، والآخر براني: ولكنهما يندمجان معاً اندماجاً تاماً، فيذوب الأول في الثاني، والثاني في الأول، لإضافة بُعد حدثي أو سردي،

---

(1) عساقلة، عصام، بناء الشخصيات في روايات الخيال العلمي في الأدب العربي، أزمنة للنشر والتوزيع، ط1، 2011م، عمان، ص186.

(2) العدوان، بداية النص الروائي، ص 301 . 302.

(3) عساقلة، بناء الشخصيات في روايات الخيال العلمي، ص 188.

(4) عساقلة، بناء الشخصيات في روايات الخيال العلمي، ص188.

(5) يوسف، آمنة، فاعلية التذكر في رواية الطريق إلى سحماتا لإبراهيم السعافين، الأهلية للطباعة والنشر، عمان، ط1، 2019م، ص80.

أو نفسي إلى الخطاب الروائي[1]، ولا تنفصل العلاقة البنيوية بين الحوارين الخارجي والداخلي فقد "دأب أحد الدارسين على الربط بين الحوار الخارجي والحوار الداخلي لسببين رئيسين ،أولهما : اتحادهما في طبيعة المحتوى (المادة القولية)، وثانيهما التقاؤهما في قيمة السمات والوظائف، لكن الحوار الداخلي متصل، بتقنيات كشف الباطن أو الشفافية الداخلية، أكثر مما هو مجانس للحوار، على اعتبار أن هذا الضرب من التعبير عن الباطن أداة رئيسية في رصد خلجات الشخصية وأحاسيسها وخواطرها وأفكارها " [2]، ومن نماذج الحوار ما يظهر في حديث (عربي) مع أبيه الذي اتهمه بسرقة النقود، بقوله:

" **يا أبي والله لم آخذها، هوية هائلة من الكف. رأيت شيئا أحمر، يا أبي، ولم أعد أرى شيئا ...**" [3].

وفي هذا المشهد يحاول (عربي) إثبات براءته من تهمة الأب الذي لا يملك مع الأسرة لغة سوى لغة القسوة والقمع، فقد حاول (عربي) في حواره مع الوالد الذي جثم على صدره أن ينفي التهم، تهمة الأب له بالسرقة، وفي ظل هذا الإنكار والضعف أمام سلطة الأب، يدفع الابن نتيجة القمع الممارس عليه إلى كراهية الأب ودوره في العائلة، وبعد اتضاح خطأ الأب وبطلان تهمته إلا أنه ظل يحمل لغة آمرة، تظهر من خلال حواره مع عربي بقوله:

" **تعال وتعشَّ/ لا أريد/ يا ولد تعال وتعشَّ/ مالي نفس ... مالي نفس والليل يجثم ثقيلا** " [4] .

وهنا يغرق (عربي) في الكآبة فهو يفقد شهية الطعام والإقبال على الحياة نتيجة ممارسة الأب. ووالد (عربي) بكل ما مارسه من قسوة وسطوة على الأسرة يعكس نمطاً بارزاً من الصراع الاجتماعي، وغياب لغة الحوار بن أفراد الأسرة، وهذا ما يدلي به

---

(1) مرتاض، عبد الملك، تحليل الخطاب السردي، معالجة تفكيكية سيمائية لرواية زقاق المدق، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر (د.ط)، ص211.

(2) عساقلة، بناء الشخصيات في روايات الخيال العلمي، ص 228 _229.

3 السبول، أنت منذ اليوم، ص31.

(4) انظر، السبول، أنت منذ اليوم، ص31.

السبول صراحة، بأن الهزيمة التي لحقت بالأمة والتي صنعها القادة القمعيون هو نابع بالأساس من سلطة تضخمت وعلت، فبدأت من الأسرة حيث الأب القاسي الرافض لكل الأصوات عدا صوته، ثم رجل السلطة الذي يحكم بنزعته دون سماع لأصوات الآخرين. وهذه الأنماط السلوكية تضافرت جميعا؛ لخلق الهزيمة الكبرى التي ما زال المجتمع يئن من أثرها.

ومن نماذج الحوار الذي يجسد صراعاً سياسياً ما دار في رواية (اعترافات كاتم صوت) بين (أم أحمد) و(الملازم)، بقولها:

" **خذوا كل الصور باستثناء صورة أحمد لكن الملازم الذي لا يجفف عرقه شرح لها أنه ينفذ تعليماته بدقة...**" [1].

يعكس مشهد تجريد عائلة (الدكتور مراد) أثناء وجودها في الإقامة الجبرية من ألبوم الصور الذي تملكه سعيا متواصلا من السلطة بضرورة تجريد هذه الأسرة من كل ما يربطها بماضيها، ورغم محاولات الزوجة الإبقاء على صورة (أحمد)، فمعالم (أحمد) تغيرت وهذه الصورة قديمة، إلا أن جميع المحاولات انتهت بالفشل غير أن حالة الصراع ما بين الملازم والزوجة على الاحتفاظ بالصورة سرعان ما حسمت بمصادرة الألبوم كاملاً. وفي هذا المشهد الحواري إصرار من السلطة على طمس إرث الماضي لأسرة (مراد)؛ لأنها في نظرها قد أصبحت تمثل خطراً على النظام الجديد، وفي مشهد تجريد الصور محاولة جادة لقطع جذور الماضي التي قد تزيد من مقاومة الأسرة وثباتها في وجه هذا النظام الجديد.

وقد يعكس الحوار نمطاً من الصراع الديني، وهذا ما يبدو جلياً في رواية (زمن الخيول البيضاء)، من خلال مشهد الحوار التالي بين رجال الكنيسة

" **إلى أين؟/ إلى مضافة الحاج محمود/ ولكنك تعرف أن علينا الاحتفاظ بمسافة بيننا وبينهم/ ولماذا؟ أليسوا من البشر/ لا أقصد ذلك ولكن لهم حياتهم ولنا حياتنا...**" [2]. ويتجلى هذا المشهد من الصراع الديني بين رجال الكنيسة الذين كان لهم حضور على أرض فلسطين، فرغم سياسة النأي بالنفس التي حاول الأب

---

(1) الرزاز، اعترافات كاتم، ص 78- 79.

(2) نصر الله، زمن الخيول البيضاء، ص67.

(ثيودورس) ممارستها أثناء فترة تواجده في المنطقة، فقد تمت مواجهتها بالعصيان من قبل الخوري (إلياس) الذي توجه إلى مضافة (الحاج محمود) بعد جهود الأب لمنعه معتقداً أن العبادة لا تعني العزلة والانقطاع عن الناس، فالله موجود في كل مكان وفق ما يرى، ولعلَّ في هذا الخروج على قوانين الكنيسة حالة للتخلص من القمع المفروض على رجال الدين، فقد حاول (الخوري إلياس) كسر كل محاولات الصراع الديني بين الطوائف، والتحرر من القيود بخلق بيئة إنسانية قادرة على احتواء الجميع، وفق مجتمع قائم على الحرية والتسامح الديني.

ويبرز الحوار كذلك نمطاً من الصراع الاجتماعي، ويظهر ذلك بشكل جلي في حوار (الهباب) رجل الدولة العثمانية والقائم على مصالحها في الهادية مع (البدوي) الذي حضر للسوق ومعه ناقته، وفي حوار (الهباب) مع (البدوي) يود التأكيد على سطوته الاجتماعية فلا صوت يعلو على صوته ورغباته، بفضل ما يملكه من سلطة داعمة، فيصل الصراع إلى ذروته بين (الهباب) و(البدوي) من خلال المزاودة على سعر الناقة، بيد أن (البدوي) مصر على التمسك بناقته، فهي وفق ما يرى مثلها لا تباع بعد أن كانت يد (البدوي) قد أطبقت بشدة على يد (الهباب) الذي استسلم بمرور الوقت، فتركه (البدوي) بعد أن أعلن انتصاره مغادراً، فقد استطاع (البدوي) بمشهد الحوار الذي دار بينه وبين (الهباب)، وما وصل إليه من ذروة في الصراع أن يؤكد شرعية صاحب الحق، فالإصرار والتحدي الذي ظهر به البدوي دفع الحضور إلى الإصرار والثبات، والتمسك بالحقوق، ورفض الاستسلام، وكسر شوكة السلطة الظالمة المتمثلة بالهباب، وما يمارسه على أهل الهادية من قمع وظلم واستلاب للحقوق، والمقطع التالي يوضح ذلك:

"**وفوقها عشرة مثلها لاتباع، وعند ذلك بدأت قطرات من عرق تطل برؤوسها من جبهة الهباب، التمعت ورآها كثيرون...**" [1].

ومن نماذج الحوار الذي يعكس صراعاً اجتماعياً ما شعر به (رباح الوجيه) في رواية (عندما تشيخ الذئاب) أثناء حواره مع (سندس) من أزمة نفسية وانهيار عقلي بعد مواجهتها له بأنه رجل عقيم لا يستطيع الإنجاب، فعزمي الذي رباه في أكناف بيته لم

(1) نصر الله، زمن الخيول البيضاء، ص165 -167.

يكن ولداً شرعياً له، وأمام هذا الحوار الصادم، وحالة الصراع النفسي العميق التي تنتاب (رباح الوجيه) يأتي رده مخالفاً للتوقعات، فلا يعبر عن أزمة صراعه الداخلي إلا بالبكاء الشديد، والذي كاد معه نتيجة الشردقة التي مر بها بعد شرب كوب من الماء أن يتعرض للموت، فقد استطاع هذا الحوار بكل ما أحدثه من صدمات نفسية لشخصية رباح الوجيه، تشكيل نمط من إعادة ترتيب أولويات الحياة، والمعاندة في مواجهة الحقيقة بل رفضها المطلق، والسعي لنفيها فقد عمد على مراجعة طبيب الأمراض التناسلية؛ حتى يتأكد من حالته، وينفي تهم سندس له وحول ذلك تقول:

"**ما الذي يضحكك؟ ألا زلت تعتقد أن عزمي هو ابنك، اقرأ بنفسك حتى تقتنع، هذا هو تقرير طبيب الأمراض التناسلية قبل ثلاثة عشر عاما، قرأته ويدي ترتجف ...ثم وجدت نفسي أبكي بصوت عال...**" [(1)].

ويحمل الحوار في طياته نماذج من الصراع الذي يسعى فيه كل واحد؛ لإثبات وجوده وكيانه، فقد شكل الحوار الممتزج بالصراع بين (إحسان الصباغ) و(بوب)، نمطاً من محاولة إثبات الذات، فقد برهن (بوب) المثقف الغربي الذي يتبنى اعتقادا بأن أرض فلسطين تتسع لتعايش كل الأطراف، بأن العرب هم من خلق الفتنة والصراع بتدبير الاغتيالات والمذابح، وهذا العقل المضاد يظهر وفق ما يرى (بوب) من غيرة الزعماء العرب وصراعاتهم على السلطة، والبون الشاسع من الفرق الحضاري ما بين العرب وإسرائيل، بيد أن (إحسان) يثبت بالحوار أن هذا الشعب الدخيل (إسرائيل) لم يكن ينوي العيش بسلام، بل جاء ليفرض وجوده على الأرض محاولا طمس كل المعالم العربية لها، وقد استطاع (إحسان) وغيره من الأصدقاء تغيير وجهة نظر (بوب)، وهذه ما كشف عنه المنطوق الروائي في أجزاء مختلفة من النص، نورد منها المقطع التالي:

"**ولكنكم بدأتم ذلك يا إحسان. أنتم رفضتم وجودهم، هل تحرمهم من حقهم في الدفاع عن أنفسهم. في فلسطين متسع لقيام دولة يهودية ...**" [(2)].

ويحمل النص السابق صراعاً اجتماعياً وحضارياً بارزاً، ويظهر كذلك الصورة الضبابية، لما يحمله الغرب عن قضية فلسطين وعدالتها، فقد باتت قضية مجهولة عند

---

(1) ناجي، عندما تشيخ الذئاب، ص 292- 295.

(2) السعافين، الطريق إلى سحماتا، ص 110-111.

الآخر، بفعل ضعف الدور الثقافي الذي حمله المثقفون في الدفاع عنها، وإبرازها للعالم.

ومن نماذج الحوار ما يعكس صراعاً حضارياً وسلطوياً، من خلال ما ينقله (عدنان البري) المثقف العراقي في حواره مع الطلبة العرب المغتربين، ومن ضمنهم (إحسان الصباغ) في رواية (الطريق إلى سحماتا) فهو يؤكد في حواره أن الصراع ينطلق من القوة، فقد خاطب من حوله بقوله:

"**المغتربون لا يريدون أن يقرأوا التاريخ قراءة موضوعية. القوة هي الأساس تأملوا، التاريخ لا يخرج عن فكرة الثنائية: الضعف والقوة، والقوي دائما لا يفكر في المثاليات، لقد بحثوا عن كل أدوات القوة، فقاتلوا من أجل توحيد بلادهم، أما نحن فنقاتل من أجل سيادة الفرد، وتمزيق الأمة** " [1].

ويبرز النص السابق مرحلة جلية من الصراع السياسي الذي يؤدي بالفرد نتيجة ما يحمل من أفكار إلى النفي والاغتراب، وهذا ما أبرزه (وائل البري) جلياً في حواره للطلبة العرب عن سبب اغترابه، وبعده عن وطنه، بقوله:

"**لا أدافع عن القوة الغاشمة، ولا احترمها، لقد عانيتُ أنا من هذه القوة. في بلادنا كلها تسود القوة الغاشمة وشريعة الغاب. أين الأخلاق والقيم في بلادنا؟ لقد طردوا في بلدي مائتي أستاذ من كبار أساتذة الجامعة بجرة قلم، لأنهم يختلفون في أفكارهم ورؤاهم هؤلاء من خيرة العقول من مختلف التخصصات. لم نحمل في وجه النظام السلاح، ولم نتآمر عليه، كنا نخدم الوطن في أهم مفاصله. ماذا فعلنا؟**" [2].

يشرح السياسي من خلال الحوار السابق حسن نيته اتجاه السلطة ورغبته في العمل معها، ومساعدتها في إدارة شؤون الناس وهو بذلك يدين السلطة التي لا تعترف بوجهة النظر الأخرى، ولا تقبل الاختلاف و(وائل) مثل غيره يحمل معاناة الكثير من المثقفين العرب الذين أبعدتهم السلطات، لمجرد الاختلاف في الرأي، فخسر الوطن خبراتهم وإبداعاتهم لمجرد الصراع على السلطة، وفي هذا الإبعاد للمثقف وثنيه عن ممارسة دوره في بناء مجتمعه دليل على عدم إيمان السلطة بمبدأ الديموقراطية، والتشاركية في

---

(1) السعافين، الطريق إلى سحماتا، ص 12- 13.

(2) السعافين، الطريق إلى سحماتا، ص13.

إدارة حياة الشعوب التي تحكمها، فالتغني بالديموقراطية لا يتجاوز كونه شعارات زائفة لا تلقى رواجا على أرض الواقع.

ومن نماذج الحوار ما جرى بين (وائل البري) و(بسام ضاهر) في معرض الحديث عن وجود اليهود على أرض فلسطين، وفي سياق هذا الحوار يوضح (وائل البري) ما آلت اليه حالة الهنود الحمر وهم أصحاب الأرض نتيجة قدوم البيض المستوطنين الذين استطاعوا إذابة الحضارة التي سبقتهم على الأرض التي احتلوها وفي هذا الإحلال الحضاري نمط من الصراع الحضاري بين القوى الغازية وأهل البلاد الأصليين، فحضارة (سان فرانسيسكو) وتاريخها الذي كتبه المنتصرون تشبه إلى حد بعيد أرض فلسطين، وما حمله اليهود من كل محاولات طمس الهوية، إلا أن الحوار ظل يعكس بشكل جلي حالة من الصراع الداخلي والنفسي لدى الشخوص المغتربين عن فلسطين، فقد ظلت حاضرة في أفكارهم وحواراتهم رغم البعد والاغتراب والمقطع الآتي يوضح ذلك:

" **جعلني حديثك عن المستوطنين البيض أفكر في المستوطنين الذين زاحمونا البيت حتى أخرجونا منه، ليس هذا فقط يا بسام، وما زالوا يبحثون عنا في كل مكان/ تقصد حضارة المستوطنين، المستوطنين ... المنتصرين سمها ما شئت**" [1].

كما يرصد الحوار الدائر بين (إحسان الصباغ) و(بوب)، نقدا لاذعاً لصورة الإعلام الغربي الذي يزور الحقائق، فيقلب الضحية قاتلا، والقاتل ضحية ويسوق (إحسان الصباغ) جملة من الحقائق التي ينبغي للمشاهد والمتابع للإعلام توخي الدقة في أخذ المعلومات من خلال جملة من الأسئلة التي يطرحها عليه، ومنها مصادر الصور التي تلتقط وتبنى عليها المواقف والاتجاهات ويظهر من خلال المقطع التالي:

"**هل عرفت صورة من هذه الصور، وفي أي زمان أو في أي مكان التقطت؟ أهي صورهم أم صور خصومهم؟ هل هي صور الفلسطينيين أم الغجر أم البولنديين أم صور اليهود في المحرقة؟ كيف صدقت يا بوب أنها وثائق، والإعلام يزيف كل يوم مئات الوثائق والحقائق...**" [2].

---

(1) السعافين، الطريق إلى سحماتا، ص:69 – 71.

(2) السعافين، الطريق إلى سحماتا، ص110.

ويستمر (إحسان الصباغ) المشارك في الحوار مع (بوب) بتقديم الأدلة التي تظهر حالة الصراع الجلي بين اليهود وأهل فلسطين، ويسوق في حواره الأدلة من خلال مسلسل المذابح الصهيونية، وطريقة ابتداع مسلسل الجريمة والإرهاب، فالفلسطينيون لا يمتلكون وفق ما يرى طلقة واحدة، وإذا امتلكوها، فهي كفيلة بتعليقهم على أعواد المشانق، ويسأل (إحسان) عن الجهة التي تقود عملية اغتيال الجنود والضباط الإنجليز، ويطلب إجابة مقنعة من (بوب) الذي وصل إلى لحظة تأزم ونكران حاول معها قلب الحقائق، ويظهر ذلك على النحو التالي:

"**من الذي ابتدع مسلسل الجريمة والإرهاب؟ الفلسطينيون الذين لم يكونوا يملكون طلقة واحدة، وإذا امتلكوها فهي كفيلة بتعليقهم على أعواد المشانق، أم الذين ملكوا كل أنواع الأسلحة، وخاضوا الحروب مع الحلفاء ولديهم جنسياتهم؟ من الذين اغتالوا الجنود والضباط الإنجليز قل لي يا بوب بحق العفاريت من هم؟...**" [1] .

ومن نماذج الحوار الذي يعكس صراعاً اجتماعياً بين الطبقات الاجتماعية، ما قدمه غالب هلسا في رواية (السؤال) فقد مثل الحوار بين (تفيدة) الإنسانة التي تمثل الطبقة الاجتماعية المسحوقة في المجتمع، و(مصطفى) الذي يحمل فكرة المثقف الماركسي الذي يؤمن بالعدالة والمساواة بين جميع الفئات دون النظر للعرق والمكانة الاجتماعية، وقد عكس اللقاء المتكرر بين (تفيدة) و(مصطفى) حالات من الصراع الاجتماعي والطبقي والفكري بين الاتجاه الماركسي، وطبقة الكادحين من أبناء الشعب، كما يقدم الحوار المتكرر بين (تفيدة)، و(مصطفى) المحاولات الجادة التي تسعى (تفيدة) من خلالها إلى نبذ ماضيها القديم، ومحاولة الخلاص منه، والبحث عن مستقبل جديد، وهذا أمل كل الطبقات المسحوقة في المجتمع ويظهر ذلك من خلال المقطع التالي:

" **سألته عن السبب الذي جعل الشيوعيين لا يحاولون كسب أنصار جدد إلى جانبهم. أجابها أن ذلك ما يفعله الشيوعيون بالتحديد، ثم جاء سؤالها غير المتوقع**

---

(1) السعافين، الطريق إلى سحماتا، ص110_111.

لماذا لا يحاول أن يضمها إلى الحزب أو على الأقل أن يطلب إليها أن تقوم بعمل من الأعمال..." [1].

4.5.2 الصراع والشخصيات

الشخصية الروائية من الأعمدة الأساسية التي يستند عليها العمل الروائي فهي "تؤدي دوراً رئيسياً ومهماً في تجسيد فكرة الروائي، وهي من غير شك عنصر مؤثر في تغيير أحداث العمل الروائي" [2].

وانطلاقاً من ذلك فإنَّ الشخصية الروائية بكل ما تحويه من أبعاد ومميزات وعلاقات، وما يعتريها من مكبوتات نفسية في داخلها تسهم في خلق الصراع، وخلق القصد والموضوع، وهما أساس الصراع وتأزمه، والشخصيات الروائية لا تسير وفق نمط ثابت في حياتها داخل العمل الروائي بل تعد البذرة الأولى الكاشفة للصراع انطلاقاً من أنها "عالم معقد شديد التركيب المتباين النابع من تعدد الأهواء والمذاهب والآيدولوجيات والثقافات، والحضارات، والهواجس، والطبائع البشرية" [3] .

وعلى الكاتب أن يعرف شخوصه معرفة تامة، فيقوم باختيار شخص كامل بكل كيانه بحيث يعدو معروفاً لدى القارئ معرفة تامة، ويكون كل فعل من أفعاله قائماً على الصيغة أو الأساس الذي رسمه بنفسه، وحتى تكون الشخصية مقدمة وقريبة من الحقيقة، فلا بُدَّ أن تكون مزيجاً من الخير والشر مثلنا جميعاً [4]. غير أن الروائي يختلف عن المؤرخ، إذ إنَّ الأخير يدون، بينما يجب على الروائي أن يستشرف، وهذه الطريقة توضح الفرق بين الناس في الحياة اليومية، والناس في الكتب، فالروائي هو القادر على عرض الشخصيات الداخلية والخارجية، فتظهر هذه الشخصيات أكثر

---

(1) هلسا، رواية السؤال، ص796.

(2) محمد، نصر الدين، الشخصية في العمل الروائي، مجلة الفيصل، دار الفيصل الثقافية للطباعة العربية، السعودية العدد3، 1980م، ص20.

(3) مرتاض، عبد الملك، في النظرية الروائية، بحث في تقنيات السرد، عالم المعرفة، (د.ط).1998، ص73.

(4) فاير، ديان، فن الكتابة كتابة الرواية، ت عبد الستار جواد، ص43-44.

وضوحاً من حياة الشخصيات في التاريخ أو من حياة الأصدقاء الذين عرفنا كل ما يمكن معرفته عنهم من أقوال وأفعال وسلوك وطباع [1] وهذا يؤدي إلى معرفة طباع الشخصيات من خلال علاقتها بأركان الرواية الأخرى كالحبكة، والمكان، والزمان، والشخصيات الثانوية القريبة منها، إذ لا بد أن يكون لذلك تأثير من قريب أو بعيد في الشخصية، وسلوكها المكتسب [2].

إن الرواية في تعاملها مع الشخصية لا تتعامل مع مفهوم الإنسان، كما يقدمه علم الاجتماع، والتاريخ، والسياسة، وإنما تتعامل مع الذات في خضم القلق الذي يسكنها أولاً، وهي تواجه الحياة، وفي خضم كيفيات التعامل معها اجتماعياً، وسياسياً، واقتصادياً، إذ يكون لها وجودها الفعلي، وهذه الشخصيات تحمل سمات وأوصافاً داخلية وخارجية [3].

ويقسم نقاد السرد الشخصيات الروائية أقساماً مختلفة، من أشهرها الشخصية المدورة والشخصية المسطحة، فأما الشخصية المدورة فهي " تلك المركبة المعقدة التي لا تستقر على حال، ولا تصطلي لها نار، ولا يستطيع المتلقي أن يعرف مسبقاً ماذا سيؤول إليه أمرها؛ لأنها متغيرة الأحوال، ومتبدلة الأطوار، فهي في كل موقف على شأن، وهي شخصية مغامرة شجاعة معقدة بكل الدلالات التي يوحي بها لفظ العقدة، أما الشخصية المسطحة، فهي شخصية كتلك الشخصية البسيطة التي تمضي على حال لا تكاد تتغير، إلا في عواطفها، ومواقفها، وأطوار حياتها بعامة، ومثل هذا التعريف متفق عليه في النقد العالمي شرقيه وغربيه [4].

ويشير النقاد إلى الفرق بين الشخصية الإيجابية، والشخصية السلبية حيث إنَّ الشخصية الإيجابية: هي تلك الشخصية التي تستطيع أن تكون واسطة أو محور

---

(1) فورستر، أ.م، أركان الفصة، ترجمة كمال عياد، دار الكرنك للنشر والتوزيع، القاهرة، 1960م، ص 67.

(2) الزير، ريم خميس، رسم الشخصية في روايات غالب هلسا، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، 2003م، ص36.

(3) الزير، رسم الشخصية في روايات غالب هلسا، ص67.

(4) مرتاض، نظرية الرواية، ص101.

اهتمام لجملة من الشخصيات الأخرى في العمل الروائي، فتكون ذات مقدرة على التأثير، كما تكون قابلة للتأثر أيضاً، وهي شخصية عميقة أما الشخصية السلبية: فهي تلك الشخصية التي لا تستطيع أن تؤثر كما لا تستطيع أن تتأثر [1] والشخصية السطحية بذلك تعد منها واستناداً لذلك فإنَّ " الشخصيات العميقة هي تلك التي تشكل عالماً شاملاً ومعقداً، تنمو داخله القصة، وتكون في معظم الأحيان ذات مظاهر متناقضة، أما الشخصيات السطحية، فتقتصر على سمات قارة ومحدودة، وهذا لا يمكنها من القيام بأدوار حاسمة في بعض الأحيان [2] .

والشخصيات بما تقدمه من حركة داخل النص الروائي، هي من يصنع الحدث انطلاقاً من " أن الحدث داخل النص هو تنقل الشخصية عبر مسيرة الحقل الدلالي، فالفعل الصادر عن الشخصية يعد حدثاً في حدود أنه يقوم بتحطيم حاجز ما، أو يقوم بخرق قانون ما، أو يقوم بالخروج على مألوف ما " [3].

الشخصيات وتجسيدها لأشكال الصراع

الصراع الخارجي

ويتمثل هذا النوع في الصراع الثنائي بين الشخصيات والناجم عن الاختلاف وعدم التوافق في المصالح والغايات، حيث يتمسك كل طرف برأيه وموقفه، ويحاول إثباته على حساب الطرف الآخر، وقد أدى هذا الصراع في غالب الأحيان إلى الإقصاء أو التصفية أحياناً؛ نتيجة ما يعتريه من دوافع ومواقف، تؤمن بها الشخصية فتصبح هي المحرك الأساسي لأفعالها وسلوكياتها، وقد تجلى هذا النمط من الصراع في الرواية الأردنية بشكل جلي، ويظهر في حوار (الدكتور مراد) مع زوجته، (فمراد) ما زال يحلم بالحرية والخلاص، والدخول إلى القرن الحادي والعشرين الذي يحمل في مضامينه الحرية والعدالة، وهو في هذا التوجه يحاول إقناع الزوجة، وبث الأمل في نفسها رغم

---

(1) مرتاض، نظرية الرواية، ص102.

(2) بحراوي، حسن، بنية الشكل الروائي، (الفضاء، الزمن، الشخصية)، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1990م، ص216.

(3) بنكراد، سعيد، سيمولوجية الشخصيات الروائية، رواية الشراع والعاصفة، لحنا مينه نموذجا، ط1، 2003م، عمان، الأردن ص39.

ما يعانيه من عزل وسجن، غير أن الزوجة تحمل في داخلها توجهاً سلبيا، فالأمل الذي يبحث عنه الزوج غير موجود وتعاطف الناس معهم كان في الماضي، أما حين تولى أنصارهم الحكم، فقد تحول دورهم من موقع المقموعين إلى موقع القامعين، غير أن (الدكتور مراد) يحاول إيجاد مبرر لما هم عليه، بأن الناس قد لا يعرفون باعتقالهم أو أن الصحف لم تعلم بزجهم في الإقامة الجبرية، إلا أن الزوجة برغم ما قدم لها من مبررات تظل مؤمنة بمقولة أن حفار البئر يقع فيه، وينتهي مشهد الصراع هنا دون حسم مسبق لأحد الطرفين فيظل معلقاً، والمقطع التالي يصور ذلك:

"**لا ندري بماذا يشعر الناس. لعلهم لا يعرفون عن اعتقالنا، لا تنسي أن الصحف لم تشر إلى زجنا في الإقامة الجبرية، سيقولون حفار البئر وقع فيه...**" [1] .

ومن النماذج التي تمثل الصراع بين الشخصيات ما نلمسه من موقف (يوسف) في رواية (اعترافات كاتم الصوت) اتجاه (أحمد مراد)، فثمة صراع يتجلى بين الفتاة التي أحبها (أحمد مراد)، وبين (يوسف) الذي يحاول إبعاد (أحمد) عنها، فهي لم تترك له (أحمد) وفق ما يقول دون صراع ضارٍ، ويتجلى هذا الصراع وفق مبدأين أحدهما يحاول أخذ (أحمد) إلى الحياة والأمل بالمستقبل، والآخر يقوده إلى الموت والاستسلام وقد أدى ذلك لحدوث حالة من الضياع وفقدان الهوية لدى (أحمد)، وهذا التحول يتجسد بقول (يوسف):

"**أحمد حائر متردد بين هذه الفتاة التي تشده نحو مدارات الصراع، ومقاومة الجاذبية، وتسنده ليقف على قدميه، ويواصل انحيازه للحياة من خلال المقاومة، وبين قبضة يدي التي تشده نحو الخوف والأمان والعزلة السوداء، وبين يد مغناطيسية داخلية خفية ثالثة تدفع به إلى معانقة الهاوية، والتماس العدم، وولوج مملكة العدم، واللاجدوى من باب الخمرة، وسلم اللامبالاة...** " [2].

ولا يقف مبدأ الصراع السابق وفق تحديد أولوية الحياة بل نراه يتجسد في المواقف الحياتية العامة، خاصة في إطار حركة الشخصية في إطار النص الروائي، فيظهر مشهد آخر من مشاهد الصراع ما بين (يوسف) و(الفتاة) التي يحبها (أحمد) بقوله:

---

(1) الرزاز، اعترافات كاتم صوت، ص 21.

(2) الرزاز، اعترافات كاتم صوت، ص68.

" **واشتعلت الحرب بيني وبين تلك الفتاة الصديقة فقط، تدعوه إلى مشوار في كورنيش المزرعة، فاعترض بحجج أمنية، تقترح أن يحضر مهرجاناً خطابياً في قاعة جمال عبد الناصر، فيلتاث عقلي ويجن جنوني وأصرخ: حمايته مستحيلة في القاعات المزدحمة، كان يستمع إلي حينا فيرد دعوتها رداً مؤدباً هيناً، ويستمع إليها أحياناً فيعرض بأذنه، ويشيح بوجهه، ويخرج دون كلمة وداع**" [1].

ويكشف الصراع عن البناء النفسي للشخصيات المتصارعة وهي تؤدي أدوارها الاجتماعية والسياسية على نحو يثير الشفقة ويقدم الصراع نمطاً من التناقض بين الشخصيات التي يسعى كل واحد منها لإثبات ذاته، وهذا ما يظهر صراحة في صراع (الشهبندر) مع (سليم الدقر) أكبر تجار عمان، وأكثرهم منافسة للشهبندر ورغم حالة الصراع بين الطرفين فلا يمكن لها بأي حال من الأحوال النيل من قيم الاحترام، والمكانة التي يتمتع بها كل واحد منهم في نظر الآخر، وهذا ما يقدمه سليم الدقر بقوله عن الشهبندر:

" **من مصلحتي إضعافه ولكنني لا أشهد زوراً، ولا أتهم الرجل باطلاً، لذا فأنا مسافر إلى حيفا إلى أن تنجلي الغمة** "[2].

فالشهبندر وفق (سليم الدقر) ركن من أركان السوق له مكانته والتنافس بين الاثنين صراع شريف، لا يصل بالضرورة إلى حد الانتقام، وتشويه الصورة، وضرب المبادئ التي تربى عليها تجار عمان.

5.5.2 الصراع الداخلي

يتعلق هذا النمط بصراع الشخص مع نفسه، حيث تقف الشخصية الروائية أمام قوتين، وهو وفق علماء النفس " حالة تصادم الدوافع والحوافز، وفيها يكون للفرد اختيارات بين هدفين أو موقفين متكافئين بالقوة، ومتناقضين بالاتجاه، والسمة الغالبة

(1) الرزاز، اعترافات كاتم صوت، ص69.

(2) غرايبه، الشهبندر، ص108.

في الصراع النفسي هو أن الفرد الذي يتوجب عليه الاختيار، وعليه أن يحسم الصراع لصالحه، أو لصالح أي الاختيارين "[1].

وقد كشفت الروايات الأردنية عن العديد من نماذج الصراع الداخلي التي أثرت في نفسية شخصياتها، وتظهر هذه النماذج من خلال ما تحمله في دواخلها من ألم ومعاناة، وصراع، سواء ما كان متعلقاً بتعاملها مع بعضها البعض، أو من خلال ما تفرضه الأحداث والوقائع عليها من هموم وهواجس، ومن أمثلة الصراع الداخلي ما يلمسه القارئ في شخصية (عربي) بطل رواية (أنت منذ اليوم)، فقد ظلت كلمات: "**باب الواد، أزيز الرصاص، ودوي القنابل** " [2] تشغل باله وتحمل له معاناة الجند، واستبسالهم في الدفاع عن الأرض، إلا أن هذه الكلمات سرعان ما أحدثت انكساراً في نفسية (عربي) فهي كلمات يملؤها النفاق والكذب، ولا تتعدى أن تكون مبرراً لهزيمة نكراء، ويظلّ (عربي) يحمل في نفسه صراعاً نفسياً عميقاً، فكل ما أظهره الجند والإعلام لا يعدو أن يكون خدعة كبرى، هدفها الظهور أمام الشعب بمظهر الضحية، ويأتي ذلك صراحة على لسان (عربي) بقوله:

" **رأيت مرة في عرض الطريق قطة مدهوسة، الدم على أذنها، وجانب من وجهها وهي تتحرك في دائرة لا يزيد قطرها عن متر، وعيناها في نفس الوضع ... لم أفهم لماذا يجب أن يتكلم مذيعونا بعد، وخيل لي أن المسألة كلها سؤال واحد، شعب نحن أم حشية قش يتدرب عليها هواة الملاكمة منذ هولاكو حتى هذا الجنرال الأخير؟**"[3].

وفي نهاية الأمر تقود الهزائم المتلاحقة (عربي) إلى البكاء؛ ليصل في حالة الصراع الداخلي مع نفسه إلى الهزيمة والإنكار، معلناً الاستسلام فهو وفق قول الراوي:

"**منذ ألف لم يبك عربي. مرت به كل مذلات التاريخ والأحداث، واحداً تلو الآخر، ...لا يبكي زعيماً، ولا يدري ما الذي يبكيه، بل دفن رأسه في الفراش وبدأ ينتحب،**

---

(1) الخالدي، أديب، المرجع في الصحة النفسية، نظرة جديدة، الجامعة المستنصرية، (العراق)، دار وائل للنشر، عمان، الأردن، ط1،2009م، ص25.

(2) السبول، أنت منذ اليوم، ص27،69.

(3) السبول، أنت منذ اليوم، ص84 . 85.

سمع صوته المتقطع والأكثر جراحاً من أية قطة، فهاله الأمر، واجتاحته عاصفة هائلة من البكاء " [1].

ومن نماذج الصراع الداخلي ما يظهر في شخصية (يوسف) في رواية (اعترافات كاتم صوت)، فقد دخل في صراع نفسي عميق اتجاه مواجهة (الدكتور مراد)، وقد دار في نفسه العديد من الهواجس والأفكار من أجل هزيمة (الدكتور مراد)، والنيل منه بالرغم من كل ما اعتراه من ألم وفواجع، ويصل الصراع الداخلي عند (يوسف)، ذروته بقوله:

" **كيف أهزم الختيار؟ كيف أجعله ينكسر، ولو لمرة واحدة في حياته، لقد أصبت بانهيار في السجن بينما بقي كالسنديانة، إنني أمقته، حتى وضعه في الإقامة الجبرية لم يحطمه فقتل أحمد هو نقطة ضعفه، وأحمد نفسه لا يستحق أن يكون ابن هذه السنديانة، إنه يكره الحياة إنه ميال للموت**" [2].

ويظل الصراع الداخلي في نفسية (يوسف) يخلق حالة من التناقض في المشاعر حتى أنه يظهر ضائعاً لا يملك اتخاذ قرار من (الدكتور مراد) فيظل في حالة ضياع، وانعدام لاستقرار المشاعر، ويثبت ذلك في قول (يوسف) نفسه صراحة:

" **كل أعضاء المجموعة تنتظر تعليماتك على أهبة الاستعداد، سيدي، فيرسل ضحكة مجلجلة أخرى ويقول: اقعد يا شيخ، واقف مثل الأربعاء وسط الجمعة، كأنك تمثال بوذا، وهُنا في تلك اللحظة تجتاحني موجة حقد عارمة ضد هذا الرجل الذي أكن له احتراماً يمس حدود التأليه، أشعر ببعضه لأنني أحبه**" [3].

أمام حالة التناقض التي يحياها (يوسف كاتم الصوت)، تثار في نفسه العديد من التساؤلات فسلوك الكره والبغض الذي يحمله تجاه (الدكتور مراد)، يقابل بسلوك معاكس مخالف للتوقعات، وهذا التناقض الناجم عن مبدأ كسر التوقعات يثير صراعاً داخلياً مستمراً ومستفيضاً في نفسية (يوسف)، ولعل هذا الإحساس المستغرب من (يوسف) هو نابع من شخصية (الدكتور مراد) نفسها، والتي مثلت ثباتا على المبدأ رغم كل

---

(1) السبول، أنت منذ اليوم، ص86.

(2) الرزاز، اعترافات كاتم صوت، ص61.

(3) الرزاز، اعترافات كاتم صوت، ص57

محاولات التضييق التي مارستها السلطة الحاكمة عليه، وبهذا الصمود إثارة ليوسف الذي كان يؤمن بأفكار (الدكتور مراد) لكنه أمام التهديد والخوف، لم يستطع الحفاظ على هذا التوازن الذي مازال (الدكتور مراد) يملكه بقوله:

" **لماذا كان الدكتور مراد يعاملني بكل هذا اللطف والحنو؟ إنني أبغض عطفه وحنوه، أرغب في أن أنسى أنه ربت على رأسي وأنه ضيفني سيجارة، وأنه كان يستقبلني في العيادة وهو يبتسم بلباقة** " [1].

والصراع الداخلي بكل ما حمله على نفوس الشخصيات من ضغوط، وضع هذه الشخصيات أمام مرآة نفسها، فكانت النهاية إما بالانتصار أو الهزيمة، وأحياناً كانت هذه الشخصيات تميل إلى الاعتراف، كنوع من تبرير حالة الصراع الذي تمر به، وقدّ تجسد عنصر الاعتراف بشكل جلي لدى (يوسف كاتم الصوت) في العديد من المواقف كنوع من التبرير لجريمة القتل التي ارتكبها تجاه (أحمد مراد)، فكان هذا الاعتراف محاولة منه للخروج من حالة تعذيب الضمير التي استأثرت على حياته، فكان استئجار أذن (سيلفيا) للبوح بها عما يعانيه من أزمات وثوابت نفسية هو الوسيلة في نظرة للخلاص من ذلك الفعل المؤلم الذي ينتاب حياته من حين لآخر.

وقد كشف (يوسف) عند تلك المشاعر التي تظهر علاقته المتناقضة مع (أحمد مراد) في أكثر من موضع، بقوله:

" **أرغب في السيطرة على تفاصيل حياته، لماذا تسألين لا أدري، قلت لك لا أدري، رغبة غامرة لا تفسير لها، تسيطر علي، وتدفعني للسيطرة عليه للانتقام من أبيه، ولكن لماذا؟ للاستمتاع برؤية الدكتور محني الهامة لأول مرة؟ للتلذذ برؤية دمعه يترقرق في عينيه، لا أدري؟ هل أنا سادي؟ مازوشي؟ سادي مازوشي في آن؟ لا تكترثي من الأسئلة لقد استأجرت أذنك لا لسانك الفتي انصتي لي فقط** " [2].

ويصل الاعتراف إلى ذروته عند (يوسف كاتم الصوت)، وهو هُنا يحاول الخلاص من الألم الذي يلاحقه عبر مسيرته مع (أحمد)، فقد كان الاعتراف شاملاً لم يقتصر على اعترافه بموت (أحمد) بل كان اعترافاً ناضجاً يمثل رغبة في التوبة الحقيقية،

---

(1) الرزاز، اعترافات كاتم صوت، ص63.

(2) الرزاز، اعترافات كاتم صوت، ص70.

والخلاص من استخدامه كدمية يتحكم بها أفراد السلطة الحاكمة؛ للنيل من خصومهم، وقد عبَّر عن ذلك صراحة لسيلفا بقوله:

"**إنه قتل ثلاثة رجال حتى الآن الأول عميل للموساد، والثاني صحفي ابن كلب لسانه سليط، ولا يفهم المرحلة والثالث، آه من الثالث، الثالث أحمد**" [1].

لقد مثل الاعتراف السابق سلوكاً صريحاً، وقد انبثق من نفسية تحاول رسم خط جديد في حياتها، ولم يأت هذا الاعتراف صريحاً بل اكتنفته طقوس خاصة تكشف عن هول الموقف، فقد طلب (يوسف) من (سيلفيا) أن تقف وتستمع حيث أنه لا يستطيع الاعتراف وجهاً لوجه [2].

ورغم هذا فقد ظل الاعتراف ناقصاً لا يكشف عن شجاعة حقيقية قد قرر (يوسف) اتخاذها على نفسه، فقد كان دافع الاعتراف لسيلفيا أنها من عالم آخر، ولا تشكل خطراً على عالمه، فقد كانت بالنسبة له تمثل حلماً حاول من خلاله الهروب من واقعه المؤلم الذي خيمت عليه الهزيمة، وقد ظل متمسكاً بهذا الحلم خوفاً من تلاشيه إلى غير رجعة [3].

ومن نماذج الصراع النفسي ما يظهر عليه الشيخ (عبد الحميد الجنزير) في رواية (عندما تشيخ الذئاب)، فهذا الشيخ الذي مثل في مجتمعه رجل الدين حامل الرسالة التي تقوم على العدل، وحفظ المجتمع الإنساني من براثن الرذيلة، ومخالفة الشرع يقع فريسة لحالة الصراع النفسي الداخلي، فيظهر إنساناً ضائعاً بين مكانته الدينية في المجتمع، وما تراوده به نفسه من البحث عن الملذات وتحقيق الرغبات المكبوتة، فقد أحدثت (سندس) تحولاً هاماً في شخصية الشيخ (الجنزير) ويقدم الشيخ تعليلا علميا لحالة الصراع التي تنتاب نفسه محاولا إيجاد تعليل وعذر لحالة انحراف نفسه عن مسارها، وقد علل ذلك بقوله :

---

(1) الرزاز، اعترافات كاتم صوت، ص140.

(2) انظر، الرزاز، اعترافات كاتم صوت، ص140

(3) انظر، الرزاز، اعترافات كاتم صوت، ص 124.

" **لكنني مخلوق من لحم ودم، ولي نفس محبة جسور، وسندس كانت تمر في خاطري، فيتسرب إلى روحي شذى ينعشني، ويشحذ همتي، ويعيد جذوة الباه إلى بدني، سندس تختلف عن غيرها، فالشيطان يلازمها** " [1].

ومن أمثلة الصراع في رواية (عندما تشيخ الذئاب)، ما يقدمه السياسي (جبران) بعد حالة التحول الاجتماعي التي طرأت على حياته بعد انتقاله من جبل الجوفة الذي مثل في نظره حياة بؤس، وفقر، وحرمان إلى أحد أحياء عمان الراقية، فقد أراد أن يحدث توازناً نفسياً بين أفكاره ومعتقداته التي آمن بها، وبين حياة الثراء التي ألمت به، فرغم حالة الصراع والقلق النفسي الناجم عن خوفه من تغير نظرة المجتمع اتجاهه، حاول أن يقدم تعليلا لنفسه من أجل اقناعها بعملية التغيير التي طرأت على حياته، بقوله:

" **لم أتنكر لأفكاري الماركسية التي حملتها منذ صباي، ولم أتنصل من التزامي السياسي إزاء الكادحين على الرغم من ابتعادي المكاني عنهم، لكنني أشعر الآن وبعد مرور كل هذه الأعوام، بأن الحرية التي ناضلت من أجلها كانت سياسية بحتة، وذات حواف حادة قاطعة وفي اتجاه واحد إلى حد أنها لم تنمحني فرصة التفكير في حريتي الاجتماعية مثلاً** " [2].

ومن نماذج الصراع النفسي ما أشارت إليه (سندس) نتيجة حالة الضياع التي كانت تحياها إذ لم تجد ذاتها خلال تجارب الزواج التي مرت بها، ويأتي هذا التعبير عن الصراع النفسي الصارخ بعد طلاقها من رباح الوجيه، فقد ثارت في نفسها العديد من التساؤلات حيث ظهر أمامها المستقبل يمثل مجهولاً لا يمكن التنبؤ بأحداثه، بقولها: "**اشتقت لعزمي، فكرت ما الذي يجبره على إعطائي وصف بيته الذي أقام فيه إذا كان لا يريدني؟ أهي الغيرة من الجنزير أم الحرص علي؟** " [3].

ومن أمثلة الصراع النفسي الداخلي ما حمله (الشهبندر) في حديثه مع نفسه حول موازنته بين أمور الدنيا وعلاقته بربه، فهو يحاول تقديم المبررات والحجج بسبب انقياده في كثير من الأحيان وراء رغباته وشهواته، وتظهر هذه الحالة في حديثه مع نفسه

---

(1) ناجي، عندما تشيخ الذئاب، ص 275.

(2) ناجي، عندما تشيخ الذئاب، ص 120.

(3) ناجي، عندما تشيخ الذئاب، ص125.

محاولا إيجاد توازن نفسي لشخصيته بصورة تثير الضحك أو السخرية، وتعطي صورة عن ضعف لشخصيته الإنسانية، من خلال قوله:

" **أظن مثل كل البشر– أن حسناتي أكثر من سيئاتي، أصلي الخمس، وأصوم رمضان وأزكي مالي بحسب ما أمر الشرع، وسأحج البيت الحرام، إن شاء الله بعد أن ينقطع حبل الوداد بيني وبين لوليتا، وهذا لا يعني أني أسعى للقطيعة، أو أنسى واجب الحج ولكني أدرك أن الحب يبلى كما يبلى الثوب (آمل أن يبلى دامري الجوخ الذي أفاخر به قبل أن تُبلى علاقتي بلوليتا** " [1].

ويتجسد الصراع النفسي بشكل جلي كذلك في شخصية (شمس) زوجة (الشهبندر) فقد شكل الصراع هاجساً نفسياً ملازماً لحياتها بعد حالة التحول التي أصابت (الشهبندر) جراء علاقته بلوليتا، فقد وجدت (شمس) نفسها مليئة بالهواجس والأفكار التي أوحت إليها بفقدان الأسرة التي بنتها سنوات طوال إلى جانب (الشهبندر)، وقد أفضى هذا الصراع القاتل من (شمس) إلى البحث عن حل يحفظ تماسك الأسرة، فكان اللجوء إلى (عيشة البصارة) الملقبة بغولة عمان التي ذاع صيتها في قراءة البخت، وكتابة الحجب، وتلقط أخبار الغائب فهي مفتاح الحل بالنسبة لشمس [2] وأمام هذه الحالة من الصراع النفسي الشديد تظل (شمس) أسيرة لأقوال المنجمين، ورهنا لتنفيذ مطالبهم من حيث عدم اقتراب الماء وقت صياح الديك، وأكل الطعام مطبوخاً وعدم السفر، وطرح الأمنيات الخاصة إلى السماء عندما يبزغ النجم [3].

والصراع النفسي الذي عايشته (شمس) زوجة (الشهبندر) يمثل صراعاً نفسياً عميقاً ومركباً، فقد تضافرت عوامل شتى في تعزيزه وملازمته لها، عززه شعور الأمومة الناقص لديها فهي ترى أن " **خلفة البنات تكسر الجناح** "[4] وهنا يعود الصراع من جديد بعد حالة الاجهاض التي مرت بها بقولها:

---

(1) غرايبة، الشهبندر، ص82_ 83.

(2) انظر، غرايبه، الشهبندر، ص82_83.

(3) انظر، غرايبه، الشهبندر، ص131.

(4) غرايبه، الشهبندر، ص144.

" ليت البصارة لم تعشمني بمولود ذكر، ليت الداية المصرية السمينة التي أشرفت على إجهاضي في المستشفى كانت أكثر فطنة، ولم تخبرني أن الذي فقدته كان ذكراً " [1].

وانطلاقاً من ذلك فإنَّ تضافر هذه الظروف قد أدى بالضرورة إلى استنهاض عنصر الصراع من جديد، والذي يخضع (شمس) مرة أخرى في حالة من الفوضى والتساؤل الملح عن عودة (الشهبندر) إلى علاقته مع (لوليتا) أم لا، فيظل الصراع عنصراً طاغياً على نفسية شمس التي لا تملك أمامه إلا الصبر والانتظار، بقولها:

" أبلع ريقي، وأشكم نفسي واتدرب على طاعة سيدي الشهبندر برضى وقبول ومن الذي يشكم الشمس، ويمنعها من إرسال شغبها؟ الشهبندر أم ذلك الولد الذي لا يريد أن يأتي إلى هذه الدنيا؟ أبلع ألمي وأزغرد! " [2] .

ولعلَّ ما يظهره الصراع النفسي في مخيلة (شمس) ما يحمله المجتمع من نظرة ذكورية، فالمرأة التي تنجب إناثاً تكون ذات تأثير ناقص على مسار أسرتها، ولا تظهر بمرتبة المكافئ للزوج، بل يكون صوتها مغيبا، ولا يملك إحداث التغيير المؤثر، وهذا يؤدي إلى حالة من الضيق والانكسار في صوت المرأة وموقفها، ولم نجد من السياسيين من يقف عند حقوق المرأة الإنسانية الأساسية ويعززه.

لغة السياسي في الرواية الأردنية

تعد اللغة بكل ما تحويه من مفردات وتعابير وجمل، الأداة الأساسية للأدب بكافة أشكاله، "فالرواية صياغة بنائية متميزة، والخطاب الروائي لا يمكن أن يتحدد بالحكاية فحسب، بل بما يتضمن من لغة توحي بأكثر من الحكاية، وأبعد من زمانها ومكانها، ومن أحداثها وشخصياتها، والرواية ليس لها لبنات أخرى تقيم منها عالمها غير الكلمات، ونحن لا يمكن أن نقول شيئا حول رواية ما لم نهتم بالطريقة التي صنعت بها "[3].

---

(1) غرايبه، الشهبندر، ص144.

(2) غرايبه، الشهبندر، ص144.

(3) انظر، العسيلي، أمل، أدب عبد الرحمن الشرقاوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ،1995م، ص287.

واللغة هي القالب الذي يصب فيه الروائي أفكاره، ويقدم من خلالها رؤيته للناس فباللغة تنطق الشخصيات، وتتكشف الأحداث، وتتضح البيئة، ويتعرف القارئ إلى طبيعة التجربة التي يعبر عنها الكاتب[1] ووفق ذلك فإنَّ من أهم سمات اللغة الروائية، أنها تقترب من الواقع على الرغم من أنها تعالج عوالم خيالية لكنها عوالم تحاول الإيهام بالواقع المعيش، ولذلك فإنَّ الروائي يحاول استخدام اللغة البسيطة الواضحة سردا، ووصفا، وحوارا فاللغة المستخدمة في البيئة الريفية ليست هي اللغة المستخدمة في المدينة في الفترة الزمنية الواحدة، كما أن اللغة والمصطلحات المستخدمة في الأحياء الفقيرة، ليست هي اللغة التي يستخدمها أهل الأحياء الغنية أو الطبقة الأرستقراطية، كما تختلف اللغة في كيفيات توظيفها بين شخصية وأخرى، ضمن العمل الروائي الواحد، وعند الكاتب نفسه[2].

وإذا كانت اللغة في الحديث العادي تؤدي وظيفة إخبارية، فإنها في الخطاب الأدبي تؤدي وظيفة جمالية، بالإضافة للوظائف الأخرى؛ لأن للعلامات اللغوية القدرة على التحول الدلالي مما ينقل النص اللغوي من وظيفة الإنباء الاجتماعية وتجعله يحقق وظائف أخرى أدبية [3].

وتتجلى أدبيَّة الرواية اعتمادا على تحديد ميخائيل باختن للغة الأدبية، وذلك أن لغة الرواية تحاكي لغة الحياة؛ لأنها تمتص مختلف أنواع التعبير التي توجد في محيطها، وهذا من شأنه أن يجعل لغتها مفتوحة على كل فضاءات الإنسان الرحيبة، فلسان الروائي يتقمص جميع الوظائف فهو الأب، والأم، والزوجة، والابن، والشاعر، والفيلسوف، والحسن، والقبيح، أي لسانه وعاء من صور اللغات المختلفة، ومن هذا المنظور فإنَّ لغة الرواية ليست مجرد سلسلة من الوحدات المضمونية أو متتالية من

---

(1) انظر عثمان، عبد الفتاح بناء الرواية (دراسة في الرواية المصرية) مكتبة الشباب، القاهرة، 1982م، ص199.

(2) انظر تاروته، محمد العيد، تقنيات اللغة في مجال الرواية الأدبية، مجلة العلوم الإنسانية، عدد21،2004م، ص52.

(3) انظر أبو زيد، حامد، إشكالية القراءة وآليات التأويل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1،2001م، ص87.

الكلمات، بل هي خطاب نوعي ينطوي على مجموعة من الأنظمة العلامية تتطلب قراءة نوعية [1].

لقد وقف محمد برادة على أربعة أنماط من لغة كتابة الرواية بعد معاينته لمجوعة من الأعمال الروائية على امتداد فترات زمنية مختلفة، وهي:

1. لغة فصحى بين اللغة التراثية واللغة الحديثة التي تتسم بالمرونة، والتخفيف من قيود البلاغة الكلاسيكية، وقد ظهر هذا الاتجاه منذ نهاية القرن التاسع عشر عند فرح أنطوان، والشدياق، والمويلحي وتجدد هذا الاتجاه في الستينات من القرن الماضي في أعمال كل من الزيني بركات، والتجليات لجمال الغيطاني.

2. لغة فصحى إلا أنها تستعير كلمات أجنبية بلفظها أو محورة بصيغة دارجة؛ بدافع عدم وجود معادل معرب أو أن الروائي يحرص على الدقة في التسمية، خصوصا لما يتعلق بأسماء الآلات والأدوات الإلكترونية، والمخترعات.

3. لغة فصحى مرنة ذات تركيبات جميلة حديثة، ومستويات قاموسية متسعة تعتمد التوليد، والترجمة الضمنية؛ من أجل خلق لغة تحقق الجمالية في الرواية، كما هو الشأن عند الطيب صالح، وإدوار الخراط .

4. لغة تمتح من قاموس اللغة اليومية، والأمثال، والتعابير المألوفة في الكلام[2].

لقد أصبحت الرواية اليوم من أكثر الفنون الأدبية انفتاحا فقد "غدت اليوم فنا مفتوحا يأبى الانغلاق؛ لأنها تتعامل مع العناصر تعاملا اختياريا، وتنفتح على جميع الفنون قولية، وغير قولية وتسخر إمكانات الفن التشكيلي، والشعر، والمسرح، والسينما، داخل النص الروائي الواحد مسايرة بذلك إيقاع العصر، ومتوجهة نحو تداخل الاجناس" [3].

تداخلت الرواية مع العديد من الفنون ومن هذه الفنون الشعر الأمر الذي دعا ناقدا كإدوار الخراط أن يطلق مصطلحا هو (القصة القصيدة) التي يرى أن السبب في

---

(1) انظر، محمود، سي أحمد، اللغة وخصوصيتها في الرواية، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، الجزائر، العدد19، ص107.

(2) انظر، سي أحمد، اللغة وخصوصيتها في الرواية، ص108 _109.

(3) انظر، قطوس، بسام، سيمياء العنوان، منشورات وزارة الثقافة، عمان، الأردن، ط1، ص154.

انتشارها أن القصة التقليدية بمواصفاتها، لم تعد تعط الجديد، أو تكتشف أرضا جديدة الأمر الذي دفع العديد من الأدباء إلى البحث عن كل ما هو جديد [1].

استعملت الرواية الإيقاع الشعري والقافية، ولكنها وظفت جملة من السمات التي تجعل الكلام النثري شعريا، كالتواتر الإيقاعي، والنعوت، والنغمة الموسيقية في الكلام، والتكرار والتدفق في أفكار ومشاعر البطل، وجمال التصوير للأشخاص، والأصوات والمواقف [2]. وهنا تجدر الإشارة إلى أن دخول مصطلح الشعرية على فن الرواية لا يعني بالضرورة أن الرواية أصبحت قصائد طويلة " فلغة الرواية حتى ولو افترضنا أنها تستعير بعض خصائصها من تقنيات لغة الشعر فإنها لا تفعل ذلك بطريقة آلية تفضي بها إلى المماثلة، والمطابقة مع لغة الشعر، بل إنها تتحرك بهاجس شعري داخلي، يتلاءم مع هويتها السردية " [3] فقد طالب العديد من النقاد بضرورة وجود لغة شعرية في الرواية من أمثال عبد الملك مرتاض الذي قال: "إننا نطالب بتبني لغة شعرية في الرواية، ولكن ليست كالشعر، ولغة عالية المستوى ولكن ليست بالمقدار الذي تصبح فيه تقعرا، غير أن عدم علوها لا يعني إسفافها، وفسادها، وهزالتها وركاكتها، وذلك على أساس أن أي عمل إبداعي حداثي، هو عمل باللغة قبل كل شيء" [4].

إنَّ الاهتمام باللغة في الرواية وفق ما يرى عبد الرحمن منيف عائد لعوامل عدة فـ "جذر هذه الظاهرة يعود إلى كون الشعر، هو المناخ السائد، ولذلك ترك تأثيره الواضح في الطريقة التي يتم التعامل بها مع اللغة، إضافة إلى إثبات الجدارة والبراعة ضمن مقاييس معينة، يكون من خلال الاقتراب من الشعر أو تحويل الشعر إلى بناء روائي"[5].

---

(1) انظر، الخراط، إدوار، الكتابة عبر النوعية مقالات في ظاهرة القصة . القصيدة ونصوص مختاره دار شرقيات،1994م، ص14.

(2) انظر الكبيسي، طراد، قراءات نصية في روايات أردنية، منشورات أمانة عمان الكبرى، ط2000،1م، ص52.

(3) بوعزة، محمد، التشكيل اللغوي في الرواية (مقترح نظري)، مجلة علامات في النقد، ص83.

(4) مرتاض، في نظرية الرواية، ص126.

(5) منيف، عبد الرحمن، الكاتب والمنفى، المركز الثقافي العربي،2007، ص81.

لقد بدأت الدراسات النقدية للرواية بالاتجاه نحو دراسة لغتها، إذ إنَّ الرواية التي كانت في الماضي تستخدم لغة الخطاب اليومي، أخذت تنحو منحى الشعر في استخدام التقنيات البلاغية، كالصورة والمجاز، والطباق، وانتقلت اللغة من خانة الإيصال إلى خانة الإيحاء، وقد برز الاهتمام باللغة في الرواية الحداثية التي أخذت تميل الى لغة الخطاب الشعري؛ لأن الذاتية أصبحت مصدرا وعنصرا مهما في بناء الرواية، فالذات الكاتبة أصبحت تشكل مرجعا مهما في الخطاب الروائي العربي الحداثي. [1] .

ولقد شكَّلت اللغة في الروايات الأردنية المدروسة من خلال ما قدمه السياسي من منطوق سردي ظاهرة متميزة، فكشفت مواقفه في العديد من القضايا التي شغلت مجتمعه الإنساني، وأبرزت توجهاته الآيدولوجية، فجاءت لغتة متنوعة راعت في خطابها الفئات التي تستهدفها، واستطاعت أن تقدم خطابا يستوعب كافة الطبقات الاجتماعية على اختلاف مستوياتها الثقافية.

6.2 لغة العنوان

يعد العنوان العلامة اللغوية البارزة التي تعلو النص ويتم من خلالها تدشينه، ويحمل العنوان في ثناياه العديد من التساؤلات، التي قد تكسر أفق الانتظار والتوقع لدى القارئ حيث إن هناك العديد من العناوين الروائية التي لا تعبر عن مضامين نصوصها بطريقة واضحة، فوجود العناوين الغامضة يستدعي من القارئ البحث عن العلاقة بين العنوان والنص، ووفق رؤية (جاك فونتاني) فإنَّ العنوان يرتبط أشد الارتباط بالنص الذي يعنونه وهو بمثابة نص مختصر يتعامل مع نص كبير يعكس كل أغواره وأبعاده[2].

لقد شكَّل العنوان جانبا مهما في الروايات الأردنية المدروسة حيث حمل معه العديد من الدلالات التي تعكسها تلك الروايات، ويظهر العنوان جليا من خلال رواية (أنت

---

(1) انظر، يعقوب، ناصر، اللغة الشعرية وتجلياتها في الرواية العربية، ص87.

(2) انظر، المطوي، محمد الهادي، شعرية عنوان كتاب الساق على الساق، مجلة عالم الفكر، المجلد28، العدد1، الكويت، ص456.

منذ اليوم) فحالة التصدع، والتفكك العربي التي نقلها تيسير السبول لم تقف على المضامين التي تمثلت بهزيمة حزيران، وما أحدثته في الواقع العربي من تصدعات، وانكسارات، فقد جاء هذا الانكسار متماشيا كذلك مع اللغة المستخدمة في بناء الرواية، ولعل في العنوان بوصفه العتبة النصية الأولى ما يشير الى مجموعة من الدلالات، فالعنوان قائم على ثلاث وحدات رئيسية، هي ضمير المخاطب أنت، والظرف منذ المقترن بفترة زمنية هي اليوم، وقد استطاع تيسير السبول أن يحملَّ ضمير الخطاب في عنوان روايته، مجموعة من الدلالات، فهو وإن دلَّ على المفرد، إلا أنه يخاطب الجماعة، فالخطاب حاضر ومستمر لكل فرد من أفراد الأمة، فحدوث الهزيمة فشل ذريع تتحمل مسؤوليته كل طبقات المجتمع العربي، وعليه فقد حاول (تيسير السبول) إيصال الرسالة للأمة جمعاء، فتاريخ الهزيمة هو البداية الحقيقية لمراجعة الماضي بكل هفواته والعمل المستمر على إصلاحه، فالإنسان العربي يبدأ تاريخه من لحظة الهزيمة إلى أن يستعيد ما اغتصب من أرضه. وهنا يظل العنوان بمثابة رسالة تذكير لكل متلق له ينبهه لأثر الهزيمة وفي الوقت نفسه يدعوه لمراجعة ذاته والبحث عن حل.

ومن نماذج العنوان ما حملته رواية (عندما تشيخ الذئاب) فقد جعل الكاتب العنوان مفتاحا يلج من خلاله أي قارئ إلى محتوى النص من خلال الإشارة لمسألتين الأولى متعلقة بالزمن، والثانية فكرة عامة حول الصفات المقترنة بشخوصها والمتمثلة بلفظة (الذئاب) وهذا يدفع القارئ من خلال هذه المفردات اللغوية متابعة الأحداث وما ستؤول إليه مصائر الشخصيات، فتأتي لفظة (الذئاب) التي تحمل في التراث العربي العديد من الدلالات ومنها المكر والدهاء والخبث فكلما زادت الذئاب في العمر زاد مكرها وخطرها وقدرتها على الاصطياد، ويبدو أنَّ جمال ناجي كان موفقا في اختيار هذا اللفظ فقد حوت روايته على العديد من الشخصيات التي سعت نحو مصالحها بكل الطرق والوسائل، وكلما زاد نفوذها في المجتمع زادت شراستها إزاء من حولها خاصة من يقف في طريق مصالحها، وهنا يتجسد الصراع جليا فيما بينها انطلاقا من (جبران) الذي تخلى عن مبادئه الحزبية من أجل الوصول إلى الوزارة، وكذلك (الشيخ الجنزير) الذي استغل الدين من أجل تحقيق مكانة سياسية واقتصادية هامة، ووصولا إلى (عزمي) الذي استفاد من كل الصراعات بين الأحزاب ساعيا لتحقيق مصالحه ولم ينتم

لأي منها، و(سندس) التي ظلت تبحث عن ذاتها ومصالحها دون مبالاة بقيود المجتمع وأعرافه.

كما يشكل عنوان رواية (الشهبندر) افتتاحية مهمة للنص فالمفردة لفظة تراثية تعود للعصر العثماني استطاع هاشم غرايبه من خلالها ربط الأزمنة ببعضها، فالشهبندر هو بطل الرواية ومحرك الأحداث فيها، وهو بوصفه تاجرا وسياسيا حالما ارتبط بالمدينة بكل نواحيها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، فقد أراد (الشهبندر) صنع مستقبل لعمان في المنطقة باعتبارها نقطة جذب لكل من حولها، من خلال استلهام المفهوم العثماني وما حققه من ريادة وتقدم وبعد العنوان تفتتح الصفحة الأولى من الرواية على التعريف بالشهبندر على لسان صاحبه محمد الجمال قائلا:

" **كنت أعرف بالشهبندر بين جماعة التجار. وكنت أغضب إذا ناداني أحد بهذا اللقب وأخجل إذا تهامس به الأصدقاء...**" [1] .

ثم يتغير مفهوم اللقب بالنسبة لبطل الرواية (محمد الجمال) فيبدي اعتزازه به وهذا التحول عائد لما حققته هذه المكانة التجارية المهمة من تطور على حياة (الشهبندر) وعلى أهل مدينته التي أسهم في دعمها في كافة المجالات، فقد حمل مشروعا قوميا يدعو للوحدة وآمن بالتعليم كأحد أسباب النهوض بالبلاد ويظهر فخره باللقب جليا وهذا دليل لنموذج السياسي المنتمي لبلده والذي يحاول تسخير كل ما يملك لنهضتها بقوله:

" **اليوم أشعر في أعماقي أني الشهبندر بجدارة، ليس تجار سوق السكر هم من يلتفون حولي فحسب، أشعر أن حجارة عمان وإسفلت الشوارع ولمبات الليل ترحب بي مبتسمة: أهلا جناب الشهبندر...**" [2].

كما يحيل عنوان رواية (أرض اليمبوس) إلى تكريس سلب الحرية في كافة أشكالها فالمكان فضاء مفترض لا وجود له في الحياة الدنيا، فهو مكان ميتافيزيقي متوهم يفتقر إلى معايير الواقع الفيزيائية والزمنية وهو بذلك يشكل محل جدل وخلاف في قبوله، وهذا يتفق مع ما يختزن في ذهنية (إلياس فركوح) حول هذا المكان (فالليمبو) هو

---

(1) غرايبه، الشهبندر، ص9.

(2) غرايبه، الشهبندر، ص340.

الموضع الذي توضع فيه الأشياء وتنسى أو قد يكون المكان الواقع على مشارف السماء المتواجد وسط فراغ زمني واسع. [1].

ولعلَّ في لجوء (فركوح) لهذا العنوان تجسيد لحالة الغربة الفردية التي يحياها (الراوي) التي حملت في نهايتها غربة جمعية، فقد تضافرت عوامل الشعور بالمرض والعزلة في المستشفى وحالة الانتكاس والهزائم، وضياع الأرض على تعزيز هذا السلوك لديه وفي إشارة الراوي إلى العنوان في القسم الثالث من الرواية تجسيد لما وصل إليه البطل من تضخم للشعور بالغربة، وهذا نابع من أنه لا يتذكر الهزائم فقط بل لأن سجل الهزائم بدأ بالتضخم. [2]، ويتجسد هذا الشعور بقول الراوي:

" **ربما أن جارينا بورخيس في تصوره لجغرافية المطهر المسمى يمبوس نصل إلى أرضه أرض اليمبوس، بحسب خريطة بورخيس، مقابل جبل صهيون: جبل صهيون في القدس: والقدس ليست بعيدة عنا. قاب قوسين أو أدنى. مدينة الله أقرب إلينا من حبل وريدنا: وريدنا المحقون بالمخدر الذاهب بنا إلى منامات قد تطول وقد لا تطول...**" [3].

ومن العناوين ما يحمل مفارقة في دلالته فقد أشار عنوان رواية (اعترافات كاتم صوت) لذلك، انطلاقا من أن هذا الحدث المرتبط بالعنوان يشكل المادة الأساسية في العمل الروائي حيث كانت أقسام الرواية الأخرى والمتمثلة بمدارات الصحى واعترافات فتاة في عنق الزجاجة وغيرها سوى وسائل لإيضاح الظروف المحيطة والتي تؤهل للاعتراف من خلال استخدام تقنية المونولوج الطويل فقد استأجر (يوسف) أذن الفتاة (سيلفيا) للاعتراف لها عن جرائمه وهذا ما قدمه الراوي قائلا:

---

(1) انظر، الحطاب، سلطان، الاغتراب في الرواية (أرض اليمبوس)، جريدة الدستور، 2020/7/17م.

(2) انظر الحطاب، سلطان، قراءات نقدية في حقول الإبداع والمعرفة، دار ورد للطباعة والنشر، ط1، 2009م، ص159.

(3) فركوح، أرض اليمبوس، ص232.

" أمام سيلفيا فقط كان يفكر بصوت عال. لأنها أجنبية، ولا تعرف ما يعرفونه لأنها تنتمي إلى عالم آخر، لا يشكل خطرا على عالمه... لأنها أشبه بحلم يراود باله ثم يتلاشى إلى غير رجعة..." [1].

وهذه الفتاه لا يعلم بأنها لا تسمع وهنا تتجسد المفارقة فيوسف الذي أراد أن يخلق ارتياحا نفسيا بتحقيق الاعتراف يصاب بصدمة كبيرة، فالفتاة لا تسمع ولا تفهم ما يقول انطلاقا من متابعتها لحركة شفتيه فيصبح (يوسف) صامتا ومحكوما بالعزلة فلم يتجاوز اعترافه حدود ذاته، فيشترك مصيره مع عائلة (الدكتور مراد) التي حكم عليها بالعزلة والإقامة الجبرية.

ومن العناوين في الأعمال الروائية المدروسة التي تشير إلى ما يحمله المثقف والسياسي من قضايا وأفكار وما يتعرض له من اعتقال ومطاردة بفعل توجهاته التي يؤمن بها يأتي عنوان رواية(السؤال) تعبيرا عن هواجس وأفكار يحاول (مصطفى) وغيره من السياسيين في روايات (غالب هلسا) الإجابة عنها، فقد مثل السؤال حالة دائمة لدى (مصطفى) وغيره من الشخصيات بقصد فهم كل ما يدور حولهم من قضايا، فقد أفضى دخول (تفيدة) المرأة المصرية التي تنتمي لطبقة الفقراء والكادحين في المجتمع المصري إلى طرح العديد من التساؤلات، وهذا ما يقدمه الراوي قائلا:

" وفي كل مرة وضعته تفيدة في مأزق حقيقي سألته عن السبب الذي جعل الشيوعيين لا يحاولون كسب أنصار جدد إلى جانبهم... ثم جاء سؤالها غير المتوقع لماذا لا يحاول ضمها للحزب؟..." [2].

ولا يقف السؤال عند المحيطين بمصطفى بل هو نفسه من يثير التساؤل ويبدو ذلك من خلال حديث الراوي عن علاقته بتفيدة قائلا:

"هل أستطيع أن استغني عنها؟ فيجيب: لن يكون هناك معنى للحياة لو ابتعدت عني..." [3].

---

(1) الرزاز، اعترافات كاتم صوت، ص124.

(2) هلسا، السؤال، ص796.

(3) هلسا، السؤال، ص805.

وعند الوقوف على عنوان رواية (زمن الخيول البيضاء) نجد أن (إبراهيم نصر الله) لم يأت بهذا العنوان مفردا بل جاء مترافقا مع عنوان آخر هو (الملهاة الفلسطينية) وهذه الإضافة كاشفة تساعد القارئ على الوصول إلى المضمون الذي تدور حوله الرواية فتحمل مفردة (الملهاة) وفق ما يشير إليه (نصر الله) في نهاية الرواية والمأخوذة من الفعل (لها) والذي يحيل إلى المصدر (لهوا) فتنفتح الكلمة على دلالات عدة منها أنَّ الفرد قد يلهو بنفسه أو يلهو بغيره سواء أكان بشرا أو حيوانا أم جمادا، وعليه فقد كان الإنسان الفلسطيني ومازال إنسانا ملهما وقادرا على التطور والتقدم في كل جوانب الحياة غير أن ما حل به من حروب وتهجير وويلات ألهته عما يدور حوله فانشغل بنفسه، وفي استحضار الخيل ووصفها بالبيضاء إشارة لزمن عجَّ بالانتصارات والفتوحات أما الآن فلم يعد الاهتمام بها سوى مظهر سطحيا وانشغالا عن قضايا كبرى تحيط بالهادية وغيرها من القرى والمدن التي تشكل فلسطين كاملة، فقد انشغل أهل الهادية بالخيل ونسبها وأصولها وهذه الاهتمامات لا تقدم حلا لما تواجهه البلاد من مؤامرات وحروب لفرض السيطرة عليها. فالتمسك بتراث الأجداد والتباهي به وفق رؤية (إبراهيم نصر الله) لن يحقق منجزا فعليا على الأرض دون وضع خطط عملية تحقق عملية التحرير المنشودة.

وفي الوقت ذاته يأتي العنوان في رواية (الطريق إلى سحماتا) حاملا أبعادا عميقة يحاول من خلاله (إبراهيم السعافين) التأسيس لمشروع نهضوي يحقق التحرير لأرض فلسطين المحتلة، فالطريق الذي ينوي المناضلون خوضه لا يتم إلا من خلال استعداد ووعي عميق لطبيعة المحتل الذي ستتم مواجهته، وفي سبيل تحقيق ذلك لجأ (السعافين) إلى استحضار الذاكرة الجمعية للشخصيات الروائية حتى تستطيع أخذ العبرة من أجل خلق مستقبل أفضل للأجيال القادمة بعيدا عن هزائم الماضي، وما خلفته من قتل وتشريد ولجوء وسكن في الخيام حيث الصراع مع الطبيعة بكل قوانينها والمحتل بكل ظلمه وقسوته. فمستقبل العودة مليء بالتحديات وانقسام السياسيين على أنفسهم يحول دون ذلك وفق ما يعتقده (معاوية العمر) الذي أكد قائلا:

" **سحماتا أصبحت بعيدة، أبعد مما كانت في يوم من الأيام ...**" [1].

(1) السعافين، الطريق إلى سحماتا، ص278.

ورغم تعاقب الانتكاسات وخيبات الأمل إلا أن السياسي وإن لم يكن شاهدا على تحقيق حلم التغيير بسبب تغييب الموت له، إلا أنه استطاع صنع جيل يؤمن بضرورة التمسك بإنجاز مشروع التحرر، ويبدو ذلك جليا في قول أسامة العمر:

" **لقد أصبحت سحماتا يا أبي أبعد من ذي قبل، لكن حلمك باق معنا. نخسر معركة ومعارك، ولكننا سنقاوم الهزيمة ما زالت سحماتا التي أحببتها حية في الصدور...**" [1].

لقد استطاع العنوان من خلال اللغة التي ظهر بها أن يعبر عن مضامين الروايات المدروسة، ويعكس الأفكار التي أراد الروائيون إيصالها إلى المجتمع ولم تقف أهمية اللغة عند العنوان وحده بل كشفت اللغة عن طبيعة الشخصيات الروائية وتوجهاتها وأفكارها اتجاه القضايا المختلفة التي تلامس حياة المجتمع، ولا سيما السياسي فقد عبرت اللغة عنه تعبيرا دقيقا، ومن هذه النماذج اللغوية ما تقدمه رواية (أنت منذ اليوم) على لسان السياسي (صابر) حول مجيء عائشة إلى (عربي)، وخوفه من موقف أخيها فقد رد عليه قائلا:

" **إن هذه بأجمعها قيم قسرية لا خير فيها**" [2].

تكشف اللغة المقدمة في النص السابق التوجه السياسي لشخصية (صابر) ويظهر ذلك من خلال لفظة (قيم قسرية)، فصابر سياسي يؤمن بالأفكار الماركسية ويرى في صون عرض الفتاة واحتجاج شقيقها، قيما قسرية لا خير فيها فرضها الدين الذي يرفضه، فالسياسي الماركسي تختلف منطلقاته ومنابعه الفكرية عن السياسي الديني، فيرى أن الحرية الحقيقية تكمن في أن يكون الإنسان خارج الخوف، فالحرام هو الخوف بعينه، ومن هنا يأتي الصدام بين السياسيين أنفسهم.

كما تقدم اللغة المختزلة التي يستخدمها السياسي العديد من الدلالات المهمة ومن نماذج هذه اللغة ما يقدمه عربي قائلا:

" **أحب أن أحمل وشم دولة عظيمة، أنا متأكد من هذا ...**" [3].

---

(1) السعافين، الطريق إلى سحماتا، ص371.

(2) السبول، أنت منذ اليوم، ص29.

(3) السبول، أنت منذ اليوم، ص36.

تحمل المقولة السابقة دلالة عميقة على انتماء السياسي لأمته وأمله بعودة تاريخها المشرق، فعربي يقدم دعوة للسياسيين وغيرهم بضرورة إعادة قراءة تاريخ الأمة؛ لأخذ الدروس والعبر من أجل تجاوز الهزيمة ومعالجة مشكلات الحاضر، وتدل لفظة (وشم) على ختم الدولة حيث الثبات والذي يكشف عن منجزات هامة صنعها الأجداد عبر العصور تستدعي من الأجيال اللاحقة المحافظة عليها، وعربي بحديثه عن الوشم يؤكد إيمانه بتاريخ أمته في الماضي، وسعيه جاهدا لاسترداد تاريخها ومنجزاتها.

ومن نماذج اللغة الشعرية ما يظهر على لسان الراوي بوصفه سياسيا واقعيا في رواية (أرض اليمبوس)، قائلا:

" **تحت برج الحوت كانت ولادتي، والحوت تبلع بلاداً اسمها فلسطين، فخرجت إلى عالم ناقص أزعق باكياً مطالباً بما يكفي من هواء. أكان الهواء ملوثاً بحسب رواية التاريخ؛ أم أنني زعقت أسوةً بغيري من مواليد 1948، لأنني أخرجت من الرحم؟...**"[1].

يكشف النص السابق عن لغة شعرية عبر من خلالها السياسي عن نفسه وعن واقعه، فكشف النص عن شخصية مثقفة عميقة الرؤى ذات إحساس حاد بما يجري حولها، وقد كشفت الألفاظ المستخدمة والمتمثلة بـ (الحوت، الرحم، أزعق)، عن دلالات عميقة في ذهن هذا السياسي فمثَّل برج الحوت خيمته في ظل الاحتلال، والحوت نفسه هو المحتل الذي ابتلع فلسطين، فجاء زعيقه محملا بالعديد من الدلالات فهو رفض لحياة مليئة بالهزيمة والانكسار، وفي الوقت نفسه رفض لحياة في ظل محتل مازال مسيطرا على الأرض.

ومن نماذج اللغة الشعرية ما يقدمه (وائل البري) في حديثه عن (معاوية العمر) بوصفه سياسيا واقعيا قائلا:

"**هذا الرجل ليس شخصا عاديا أشعر أنه فلسطين**" [2].

يقدم النص السابق نموذجا على اللغة المختزلة وما فيها من بلاغة وتشبيه، فالحالة المقدمة لمعاوية العمر كسياسي عانى الهجرة واللجوء بفعل الاحتلال، هو مشهد

---

(1) فركوح، أرض اليمبوس، ص30.

(2) السعافين، الطريق إلى سحماتا، ص287.

مصغر عن صورة فلسطين كاملة من خلال ما يعتريها من تشريد لسكانها، وطمس لهويتها العربية، فقد ظل (معاوية) سياسيا حاملا لقضيته يذكر بها كل من حوله ولا سيما الأجيال الجديدة كي لا تنساها، وفي هذا التوجه تأكيد على دور السياسي المؤمن بقضيته والملتزم بها.

ومن مظاهر اللغة الشعرية في النص الروائي ما أورده (يوسف) في (رواية اعترافات كاتم صوت) بوصفه سياسيا متحولا قوله:

" **هذا الشعور بأني حشرة يتجلى في أعماقي** " [1].

يحيل النص السابق الذي يقدمه (يوسف) إلى انكسار شخصية السياسي وتراجعه عن المبادئ التي يحملها بفعل التركيبة الاجتماعية التي عاشها، من حيث نسبه المشكوك به والسمعة الاجتماعية لوالدته بين الناس، وهذه العوامل التي يقدمها مجتمعة يحاول من خلالها تبرير انحراف مساره السياسي، وفي تعبيره السابق يقدم وصفا لطبقته الدونية في المجتمع، وهذه اللغة القائمة على التشبيه من خلال وصف نفسه بالحشرة تأكيد على هامشية دوره السياسي في المجتمع، فهو لم يعد مهما في نظر من حوله.

كما تميل لغة السياسي في كثير من الأحيان إلى الواقعية، وتعدد مستويات الخطاب بفعل تعدد الطبقات الاجتماعية واختلاف مستوياتها الثقافية، وهذا ما يظهره (الشهبندر) بوصفه سياسيا حالما بقوله:

" **التجربة الخلاَّقة الحميمة هي أنا الشهبندر، وقد تضخمت وترامت أطرافي حتى صرت بحجم تلالها السبعة، عمان أنت، وهي، وهم، بعد أن يتجرد الجميع من القحمة الكبيرة، والزيف، عمان ليست مجرد دور سياسي في المنطقة وليست رمية نرد، أو فرشة إسفنجية تمتص فائض الأزمات من حولها: عمان أسلوب حياة، ونمط عيش فإما أن نحبها أو نحبَّها** " [2].

يحيل القول السابق إلى تعدد أشكال اللغة فتظهر اللغة التراثية من خلال استعمال لقب (الشهبندر) وهذا لفظ تراثي يحيل إلى فترة سيادة الدولة العثمانية وازدهارها وامتدادها الجغرافي، وفي هذا الاستحضار حلم من (الشهبندر) بقيام مشروع نهضوي

---

(1) الرزاز، اعترافات كاتم صوت، ص55.

(2) غرايبه، الشهبندر، ص 341.

يطور مدينة عمان في المنطقة المحيطة بها، وهذا يتطلب من الجميع الابتعاد عن الزيف والتعالي والكبر، وفق ما تشير إليه لفظة (القحمة) فعمان لا تعني طبقة اجتماعية بعينها بل هي مسؤولية الجميع.

ومن نماذج اللغة التبريرية التي يقدمها السياسي المتحول ما يظهر على لسان (جبران أبو بصير) في رواية:(عندما تشيخ الذئاب) قائلا:

" **لا أستطيع تعميم مفهوم الفساد على كل من هم في السلطة، أنا شخصياً لم أمارس أياً من تلك التجاوزات، باستثناء تعيين شقيق زوجتي رابعة في دائرة شبه حكومية بوظيفة رئيس ديوان** "[1] .

تعكس اللغة من خلال لفظة (باستثناء) إشارة إلى سياسة الاستثناءات التي يمارسها السياسيون عند تبرير مواقفهم وأفعالهم، وهذه اللفظة المستخدمة تفتح باب الواسطة والمحسوبية وغياب عناصر الكفاءة والإنجاز، وفي هذا التبرير من السياسي انقلاب على المبادئ التي كان يحملها.

وترصد اللغة بوصفها أداة التعبير التي تكشف عن توجهات الشخصيات وخاصة السياسية منها العديد من التحولات والتغيرات التي تؤثر عليها فقد تغيرت اللغة لدى السياسي جبران في رواية (عندما تشيخ الذئاب) وتنوع معجمه اللغوي بألفاظ جديدة ترصد توجهه السياسي الجديد، فلم تعد ألفاظ العدالة والمساواة وحقوق الكادحين والكتب التي تتحدث عن الأممية ذات أولوية في حياته السياسية الجديدة، ويبدو ذلك في قوله:

" **لقد تسلمت حقيبتي الوزارية، اعتاد لساني بتلقائية غريبة على ترديد ألقاب، وألفاظ لم استخدمها من قبل، سيدي، دولة، باشا، معالي، وعطوفة هذه الألفاظ أصبحت جزءاً، من تقاليد أحاديثنا، وحواراتنا في اجتماعات مجلس الوزراء وسواها**"[2].

ومن النماذج اللغوية التي تقدمها لغة السياسي تنوع أساليب الخطاب الموجه نحو الجماهير، وهذا ما يقدمه الشيخ (عبد الحميد الجنزير) في رواية (عندما تشيخ الذئاب)

---

(1) ناجي، عندما تشيخ الذئاب، ص 301.

(2) ناجي، عندما تشيخ الذئاب، ص 298.

بوصفه سياسيا انتهازيا أثناء محاولته إقناع أسرة (عزمي الوجيه) بضرورة تدريسه، قائلا:

" **عرضت أن نبتعثه إلى جامعة الأزهر ليتعلم فيها فقه الدين وأصوله، فادعى أبوه أنه لا يملك مالا لتدريسه، قلت نحن الذين سننفق عليه لا أنت. سألني من أنتم؟ فأجبته نحن أهل الخير وفاعلوه...**" [1].

يستخدم الشيخ الجنزير لفظة (نحن) وهنا يتحدث بصيغة الجمع بدلا من صيغة المفرد (الأنا)، وهذه لفظة مخادعة وحين أتبعها بلفظة أهل الخير وفاعلوه، فقد جاء من أجل الخداع العاطفي واستقطاب الجماهير الداعمة لتوجهاته من أجل امتلاك صوت مسموع. ومن نماذج توظيف اللغة التي تسعى لكسب التأييد المجتمعي إلقاء الخطب الدينية ويظهر ذلك في خطبة الجنزير أثناء عزاء جليلة زوجة رباح الوجيه، فالهدف من الخطبة لم يكن وعظيا بدرجة الأولى، بل كان السعي من وراء الخطبة استغلال مشاعر الناس الدينية، والتلاعب بها للوصول إلى أهداف شخصية، وإظهار البعد الانتهازي لتلك الشخصية. [2].

ومن نماذج اللغة الشعرية التي تقدم وصفا دقيقا لصراع السياسيين فيما بينهم، وسعي كل واحد منهم لتحقيق منفعته الشخصية دون مراعاة لمن حوله ما يظهر جليا في وصف أحد السياسيين لعزمي الوجيه واستغلال الاتصال بالشيخ (الجنزير) وشبكة علاقاته السياسية والاجتماعية لتحقيق مكانة له في المجتمع، بقوله:

"**حين يقف القزم على كتف المارد، فإنه يرى أبعد مما يرى المارد**"[3].

تحيل لفظة (القزم) إشارة إلى (عزمي الوجيه) وانطلاق مستقبله السياسي، كما مثلت لفظة (المارد) إشارة إلى الشيخ (الجنزير) واتساع شبكة معارفه من السياسيين ورجال السلطة فصعود القزم على ظهر المارد انعكاس للتفكير بالأنا وتضخمها لدى (عزمي الوجيه) الذي استطاع توظيف علاقته بالجنزير بالشكل الأمثل، وهنا تجسيد لسياسة

---

(1) ناجي، عندما تشيخ الذئاب، ص29.

(2) انظر، ناجي، عندما تشيخ الذئاب، ص55.

(3) ناجي، عندما تشيخ الذئاب، ص220.

تقاطع المصالح بين السياسيين ومحاولة افتراقهم، فقد مثلت علاقته بالجنزير انطلاقة لعلاقات سياسية أكبر يستطيع الوصول من خلالها لتحقيق مصالحة الذاتية.

كما تكشف اللغة عن وعي السياسي بكل ما يدور حوله من أحداث وقدرته على الاستنتاج بفعل ما لحق به من ضرر نتيجة ممارسة العمل الحزبي، فقد عانى الظلم والانقلاب المفاجئ على الأفراد والرفاق، فكانت معرفته لما يجري حوله من تغيرات في المواقع لبعض السياسيين تعتمد على الاستنتاج وقد حقق ذلك معتمدا على توظيف الضمائر وأسماء الإشارة التي لا تشير لشخص بعينه خوفا من القمع، فظهر هذا الخطاب اللغوي في العديد من الألفاظ منها(أنهم، طردوه، هؤلاء، ذاك) وهذا ما عبَّر عنه (الدكتور مراد) في رواية (اعترافات كاتم صوت) قائلا:

" **إن وزير الإعلام غائب، واستنتج أنهم طردوه، هكذا كنا نعرف أخبار العالم الخارجي بالاستنتاج. هذا تضاءل حجم صوره في الصحف إذن بات مغضوباً عليه، وذاك انتقلت أخباره إلى الصفحة الثانية، إذن بات على وشك أن يطير هو ورأسه، أو رأسه فقط** " [1] .

كما تميل اللغة التي يوظفها السياسي في حديثه إلى استخدام التراث وصور التشبيه فيرى أن الرفاق من السياسيين وغيرهم مثل أعضاء الجسد الواحد إشارة إلى الحديث الشريف، وما يحمل من معاني الوحدة والتماسك، كما صور اليهود بالأخطبوط دلالة على سياسة التمدد والتوسع التي يسعون إليها بهدف إقامة دولة كبرى، كما أن طريق المقاومة والنضال طريق طويل محفوف بالمخاطر، وهذه إشارة مهمة منه بضرورة استمرار النضال والسعي نحو التحرر، وهذا ما عبر عنه (معاوية العمر) في رواية (الطريق إلى سحماتا) قائلا:

" **يبدو أن الأعضاء تتساقط عضواً وراء عضو، ولم يعد من أمل في أن أرى سحماتا، عزلوها عنا في الجنوب، واليوم يعزلونها عنها أيضاً من الشمال، اليهود كالأخطبوط لهم مائة ذراع وذراع، يعزلون من كل اتجاه، ما حان الوقت الذي فيه يضعفون يا بنيتي، أنا واثق أن أحلامنا لن تتغير، ولكن الطريق طويل يا حنان** "[2].

---

(1) الرزاز، اعترافات كاتم صوت، ص27.

(2) السعافين، الطريق إلى سحماتا، ص 278.

ومن نماذج اللغة ما يعبر عن مرحلة تاريخية ويعيدنا إليها بكل ما تحمل من سطوة وتسلط وبما تنطوي عليه من لهجة آمرة حازمة وقاطعة لا تترك فرصة الرد من المتلقي ويظهر ذلك في حديث (الهباب) في رواية (زمن الخيول البيضاء) عندما أراد الزواج من (ريحانة)، ولم ينتظر موافقة أهلها قائلا:

"**منذ يومين أبصرها، ومنذ يومين قال لهم: أريدها جاهزة ضحى الخميس**" [1].

ومن اللغة التي يقدمها السياسي ما يكشف عن حالة من انقسام السياسيين بفعل تقاطع المصالح والسعي وراء تحقيق الرغبات الفردية والاستئثار بالمشهد بعيدا عن القضايا المركزية التي تهم المجتمع بأكمله، فتحمل لفظة (المناعة الكافية) إشارة إلى توحد الجبهة الداخلية وتغليب المصلحة الفردية، وهي لفظة مأخوذة من المعجم الطبي ومرتبطة بالصحة والصلاح الداخلي ومنها انتقلت اللفظة للخارج واستقامة أحواله، وهذه المناعة وفق ما يرى (معاوية العمر) مازالت غائبة وفي حال وجودها سيلتفت الجميع لمواجهة العدو، وهذا ما قدمه معاوية العمر قائلا:

" **عدونا يقاتلنا بإشاعة الفرقة فينا وتعزيزها، ونحن قابلون للتفرق، ويبدو أننا لا نملك المناعة الكافية ضد فرديتنا** " [2].

وكثيرا ما تستخدم الرواية اللغة المحكية ومن الأمثلة عليها ما يشير إلى تبدل أحوال السياسي وانتقاله إلى طبقات اجتماعية جديدة بفعل ما حققه من ثراء فاحش، ويظهر ذلك في وصف (رباح الوجيه) لجبران قائلا:

" **بعدها تبدلت أوضاعه، وتغيرت طباعه، ورحل عن الحي مثل واحد هبش هبرة وهرب بها، صحيح أني لم أشاهده بعيني وهو يستخرج الكنز...** " [3].

تحيل الألفاظ العامية المستخدمة في النص السابق (الهبرة، هبش) إلى حدوث تغير على حالة السياسي (جبران) الذي أصابه الغنى المفاجئ والذي أثار العديد من التساؤلات من كل الناس المحيطين به، وهذا يشير إلى وجود تحول في حياته وانقلابه

---

(1) نصر الله، زمن الخيول البيضاء، ص50.

(2) السعافين، زمن الطريق إلى سحماتا، ص345.

(3) ناجي، عندما تشيخ الذئاب، ص40.

على كل أفكاره في سبيل الوصول لغاياته الشخصية. فالهبرة هي قطعة اللحم الخالصة من الدهن، وهبش أي انتزع بخفة ورشاقة.

ومن مظاهر التلاعب بالألفاظ التي يستخدمها السياسي وتعكس نواياه الحقيقية اتجاه منافسيه ما قاله الشيخ (الجنزير) حول فشل تسلم (جبران) الحقيبة الوزارية:

" **الحكومة ستتغير خلال أيام، كنت سأقول لك معالي جبران أبو بصير، لكن واضح أنك لم تنجح في الامتحان يا أبو بريص.**" [1].

يحيل التلاعب اللفظي الذي قدمه (الجنزير) في استخدامه للفظة (أبو بريص) بدلا من لفظة (أبو بصير) إلى تقديم وصف دقيق لجبران وسعيه الدائم لتحقيق مصالحه بشتى الطرق، فهو يحاول الوصول إلى كل الشخصيات المهمة والتي تمثل له دعما مهما لتحقيق الشهرة التي يطمح لها. إذ تشبه حركته في سبيل ذلك حركة ذلك الزاحف الذي تصعب ملاحقته وتثبيته أو الإمساك به.

لقد استطاعت اللغة بكافة مستوياتها الخطابية أن تقدم وصفا دقيقا لطبيعة السياسيين ومنطلقاتهم الفكرية ومواقفهم المختلفة من القضايا التي يمر بها المجتمع ويتعامل معها، كما قدمت هذه اللغة المستوى الثقافي لهذه الشخصيات وما تحمله من أدلة على المواقف التي تتبناها.

(1) ناجي، عندما تشيخ الذئاب، ص263.

الفصل الثالث:
صور السياسي في الرواية الأردنية

احتوت الرواية الأردنية عبر مسيرتها التاريخية، على العديد من الصور للشخصية الإنسانية التي تمارس العمل السياسي، فجاءت هذه الصور على اختلافها، تحمل وصفاً دقيقاً لهذه الشخصيات وما تمثله من أفكار ورؤى، ومشاريع آيدولوجية آمنت بها، وحاولت أن تبرزها إلى الوجود، فالشخصية الإنسانية وفق ما يرى هنري مري " أشبه بمؤتمر كامل يضم عدداً كبيراً من الأفراد، منهم الخطباء، وجماعات الضغط والأطفال، ومنهم الغوغائيون والشيوعيون، والانعزاليون، وتجار الحروب، ومنهم المستقل والمحافظ ، ومبتز الأموال، ومقايض الأموال، وبينهم أشباه قيصر، والمسيح، وميكافيلي ..."[1].

وفي ضوء ما تقدم يمكن الظفر بالعديد من صور السياسي، التي جسدتها الأعمال الروائية الأردنية المختلفة، وفق الفترات الزمنية التي رصدتها، ومن هذه النماذج:

1.3 السياسي الواقعي

يعد نمط السياسي الواقعي نموذجاً على الشخصية السياسية التي تتعامل مع الواقع الموجود بكل معطياته، دون المبالغة في تصوير هذا الواقع ومحاولة تزيينه، والتقليل من مخاطره، فهي لا تعير اهتماماً بالتغيرات والتحالفات من حولها، بل تنهج خطاً ذاتيا تحاول من خلاله معالجة الإخفاقات في واقعها ومواقفها، وقد برز مثل هذا النموذج من خلال شخصية (عربي) في رواية (أنت منذ اليوم)، فقد وقف (عربي) كسياسي واقعي على تفاصيل أزمة حزيران، وما خلفته من دمار وتفكك على الوطن العربي، فأسباب الهزيمة لم تكن نتيجة ضعف في السلاح والعتاد فقط بل عزا (عربي) الهزيمة لأسباب داخلية، ولعل ما أشار إليه في حديثه عن حبة الفستق المتعفنة إلا دليل على الفساد والانهزام الداخلي، فقد وصل إلى قناعة أكيدة مؤداها أن الفستق الذي تم تخزينه لفترة

(1) المهدي، محمد، علم النفس السياسي، رؤية عصرية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط1، ص 133.

طويلة سيصاب بالعفن، وهذه صورة جلية لحالة انغلاق المجتمع العربي على نفسه وانسحاب العطب على كل تفاصيل حياته.

إنَّ (عربي) كسياسي واقعي لم ينخدع بكل من حوله، فقد تعامل مع الواقع كما هو، فلم يرَ في الأحزاب على صورتها التي كانت عليها ما يخلص الأمة من الانكسار والضعف الذي ألم بها، ويبدو ذلك جلياً باعترافه قائلاً:

" **تاريخي الحزبي أين هو؟ لم أساهم حتى بضرب الشيوعيين حينما كان ضربهم للتسلية** " [1].

لقد أفضى الواقع بكل قساوته إلى الهزيمة لدى (عربي) الذي لم يعد يؤمن بما يسمى مخططات الحزب القومي، ولم يعد قادراً على خدمة الحزب، وفهم مواقفه، فقد انتسب (عربي) إلى الحزب وعانى من نقص الكراسات الحزبية، واعترف بنقص ثقافته، وأراد المزيد فطمأنوه وامتدحوا رغبته بالاستزادة وإشباع طموحه؛ لأنه يحب أن يحمل وشم دولة عظيمة، وهنا يظهر شعور الإحباط لدى الإنسان العربي الذي يحاول الانتماء للأحزاب السياسية، والتي اعتقد للوهلة الأولى أنها المخلص من كل انتكاسات المجتمع وتراجع مكانته، إلا أن موقف الأحزاب جاء مخيبا لتوقعات (عربي) فهي أحزاب لا تمتلك برامج سياسية وخططا منهجية تعالج انكسار الأمة التي يبحث لها عن علاج، فقد ظلت هذه الأحزاب تحمل شعارات جوفاء لم تحقق شيئا، بل ظلت تؤمن بالماضي الأثير للأمة دون أي مستجدات على أرض الواقع [2].

لاذ (عربي) بالكتب الجامعية يبحث عن حل علمي لمشكلة الأمة، فقد كره النفاق السياسي والسطحية في مواجهة الأمور، إلا أنه تفاجأ بأن مفكري الأمة وأساتذة الجامعات قد أصبحوا ممثلي الشعب، ووزراء، ورؤساء وزارات، وكلماتهم في مدح الزعيم مطبوعة في كتبهم الجامعية، يقرأها الطلاب ولا يدرون إن كان مطلوباً منهم إعادتها في أوراق الامتحان. [3].

---

(1) السبول، أنت منذ اليوم، ص59.

(2) انظر العطيات، محمد، القصة الطويلة في الأدب الأردني، منشورات وزارة الثقافة، عمان ،2011م ص 206 -207.

(3) العطيات، القصة الطويلة في الأردن، ص207.

لقد وجد (عربي) كمثقف، وسياسي واقعي أن العرب يحملون فكرة تحرير الأرض والخلاص من المحتل، كأفكار سطحية لا تمتلك آليات للتنفيذ على الأرض، فقد نظر الشباب العربي إلى فلسطين على أنها:

" **في السويداء من القلب، قال المذيع ولم يشرح، يجب أن نركز على إزالة الكيان العدواني لإسرائيل ولكن كيف؟ لم يشرحوا الأمر بالتفصيل**" [1].

وأمام هذا الخلط الواضح في رسم خط منهجي لكيفية التحرير، يلجأ (عربي) في الخلاص من الواقع المؤلم إلى اللجوء للكتابة فقد قرر كتابة رواية وقد اعترف لمن سأله عنها أنه يكتب شيئاً غامضاً لا يدري ماذا يسميه، إلا أنه بالكتابة يحاول التخلص من حالة الانزعاج التي تسيطر على نفسه.

قدم (عربي) كمثقف وسياسي واقعي تشخيصاً دقيقاً للأزمة، فرصد مكامن الخطأ والضعف التي مردها وفق ما يرى عائد لأسباب داخلية ناجمة عن التكالب على المصالح، وترك مصير الأمة إلى المجهول، والحل الذي قدمه هو أهمية الوقوف على أسباب الهزيمة ومعالجتها فقام بتحليل هذه الأسباب بكل أبعادها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، وفي هذا الصدد يتذكر (عربي) الجندي الذي خاض المعارك مع اليهود أكثر من مرة دون تهيئة معنوية، وتربية قتالية، في الوقت الذي كان فيه قادة الجيش والضباط والمسؤولون ينقسمون في الداخل ويلاحقون كل محاولات الإصلاح التي يسعى السياسي إلى خلقها لتغيير الواقع المؤلم [2]. وهذا ما أوضحه ضابط المخابرات لعربي بقوله:

" **إنك لا تستطيع أن تجد وظيفة يا عربي . فكما تعلم ضاع نصف وطننا، وقال لي أنه بمرور الزمن لا بد ستحل مشاكل الإضبارات وأكد لي أنه شخصيا قد سئم من الإضبارات**" [3].

لقد كشف (عربي) السياسي الواقعي الهزيمة، وتتبع مظاهرها على أرض الواقع لأنه يرفض أن يعيش الوهم بالنصر، فقد هبط في العاشر من حزيران إلى نهر الأردن؛

---

(1) السبول، أنت منذ اليوم، ص66.

(2) العطيات، القصة الطويلة في الأردن، ص 207.

(3) السبول، أنت منذ اليوم، ص 78.

لتتبع ما حدث لبلاده، فظهرت السيارات الحربية محروقة محطمة كما ظهر الجسر محطماً، وكانت هناك امرأة تحاول العبور، وقد وصل (عربي) إلى نهاية الجسر، ووقف على آخر نقطة صالحة للوقوف عليه، ولعلَّ في وقوف (عربي) على هذه النقطة اعترافا بالهزيمة، فكل ما تنشره الإذاعات كان وهماً؛ لإلهاء الناس وخداعهم، فلم يرَ (عربي) سوى أرض خالية من الناس والجنود، وملامح الهزيمة ونتائجها تظهر على أرض الواقع، ولعل في الرائحة الكريهة التي بدت تزكم أنف (عربي)؛ نتيجة عثوره على جثة جندي مقتول بكامل ملابسه العسكرية يقينا تاما بمشهد الهزيمة، والذي لم يستطع معه تمالك نفسه، وما كان منه إلا الصراخ بصوت مدو بقوله:" **هزيمة. هذا ما هي**"[1].

ومن النماذج الأخرى للسياسي الواقعي ما قدمه (إلياس فركوح) في رواية:(أرض اليمبوس)، ويظهر السياسي الواقعي من خلال شخصية (الراوي) الذي يجسد ألم الواقع من لحظة الولادة، فقد أدى به الاغتراب إلى العجز، وعدم القدرة على مواجهة الواقع، فقد فرض الواقع بكل معطياته، ألما ومعاناة على شخصية الراوي الذي عبر عن ذلك صراحة بقوله:

" **تحت برج الحوت كانت ولادتي، والحوت تبلع بلاداً اسمها فلسطين، فخرجت إلى عالم ناقص أزعق باكياً مطالباً بما يكفي من هواء. أكان الهواء ملوثاً بحسب رواية التاريخ، أم أنني زعقت أسوةً بغيري من مواليد 1948، لأنني أخرجت من الرحم**" [2].

وأمام صدمة الواقع يظل (الراوي) يعيش حالة من النكوص الثقافي الذي أسهم فيه القدر إلى حد كبير، من خلال ولادته في برج الحوت، فقد ولد (الراوي) ليواجه الواقع، وبفعل هذا الالتقاء الزمني ما بين الولادة والنكبة، فقد خلق الواقع أزمات متلاحقة في حياة (الراوي) الذي سعى مراراً إلى الاستقرار والخلاص، واصفاً ذلك الشعور بأنه حالة من الملل والسأم، بل والهم أحيانا نتيجة هذا العالم الذي لا يؤمن بغير الحروب، ونشر الدمار.

---

(1) السبول، أنت منذ اليوم، ص 84.

(2) فركوح، أرض اليمبوس، ص30.

لقد ترك الواقع على شخصية (الراوي) نمطاً من الانكسار واختلاطا في مفاهيم الحياة، بفعل ما أحدثته الهزيمة في الفكر العربي، فقد أصبح الجميع موضع تشكيك تسيطر في دواخلهم هزيمة داخلية وتزرع في نفوسهم هاجسا من الخوف اتجاه المقاومة وممارستها، ويبدو ذلك جليا في قول الراوي:

" **أنا لم أجرب البندقية، كانت البندقية حلماً جديداً آمنت به مثل غيري وقتذاك، بأنها ستتكفل بترميم حلمنا القديم، انكسر ذلك الحلم، لكنهم قالوا إنها مجرد نكسة، لكن الحلم تلاشى في خمسة أيام، وبدلاً من أن نحرر الأرض السليبة، خسرنا أرضاً جديدة** " [1].

ويعكس إلياس فركوح في حديث (الراوي) نمطاً من الصراع ما بين القوى السياسية، والقوى العسكرية التي تسعى كل واحدة منها لتحميل الأخرى أسباب الهزيمة، وهذا يؤدي إلى ظهور حالة من التفكك والتشظي الداخلي الذي لا يقدم حلولاً ناجعة؛ من أجل ترميم الواقع، بل على العكس تظل القوى المتنازعة تدور في إطار المربع الأول، وفي هذا الجانب يبرز فقدان السيطرة الجمعية، فالأرض كبيرة والدول التي لحقت بها الهزيمة هي خمس دول والأسلحة التي يمتلكها العدو وقد استخدمها في المعركة على درجة عالية من التطور والفتك، وهي أشد تأثيرا من حلم حمل البندقية، وهذا التوجه العام لا يعزز الاغتراب الفردي بل الاغتراب الجمعي، وهو على من تقع مسؤولية الهزيمة، وهذا ما يتجسد صراحة بقول الراوي نفسه :

" **قالوا هُزمنا فقلت: لم نحارب. وقالوا: أنتم أخليتم البلاد وسلمتموها للعدو مفروشة "! فقلت: أنتم؟ قالوا: نعم، أنتم. فقلت: ألستم أنتم نحن؟ ألسنا نحن أنتم؟ ألسنا نحن نحن؟** " [2].

لقد ولَّدت الهزيمة وفق ما يقدمه (الراوي) حالة من الانقسام الداخلي بين طبقات المجتمع وهذا رد فعل طبيعي بفعل الصدمة الناجمة عن الهزيمة، فكل فرد في المجتمع يعلق التقصير والتراجع على الآخر من خلال تبادل التهم، فالجميع يشير إلى التراجع

(1) فركوح، أرض اليمبوس، ص 105.

(2) فركوح، أرض اليمبوس، ص 105.

والاستسلام أمام العدو، لكن دون تقديم مشروع عملي يحدد الحلول العملية التي تساعد على تجاوز الهزيمة.

لقد حاول (الراوي) في رواية (أرض اليمبوس)، بوصفه سياسياً واقعياً، الثورة على الواقع، وإحداث نمط من التغيير؛ انطلاقاً من قناعته أن إصلاح الداخل يبدأ من الفرد، فإذا أصلَح الفرد نفسه تمَّ إصلاح المجتمع، وبالتالي يتم تجاوز الهزيمة، وإعادة ثقة الإنسان العربي بواقعه وقدراته، ولهذا فقد حملت الرواية إشارات هامة لمحاولات (الراوي) إصلاح ذاته، فانضم إلى العمل الحزبي وبدأ يتعلم ويطور نفسه أملاً في خلق شخصية ناجحة قادرة على الفعل ومواجهة التحديات، ومحاولة الخروج من الانتكاسات المتكررة، وفي هذا المجال يشير إلى ذلك بقوله:

" **في المدرسة انخرطت في تنظيم الطلبة أولاً، كنت أحد أوائل المنتمين له، نتحدث عن كل شيء، ولا أخرج بشيء لا أعرفه. ثم أستلم حصتي من المنشور الجديد لأوزعه خفية على مقاعد الطلاب في صفوف المدرسة**" [1].

ولم يقف الأمر في تحقيق الذات على هذا النمط، بل سعى (الراوي) إلى تجسيد الأنا الفردية من خلال ممارسة رياضة رفع أثقال الحديد في محاولة لخلق بطولة فردية على حساب الأقران على شاطئ يافا، بيد أن انكسار المجتمع وخروجه عن منظومة القيم، ظلت تشكل هاجساً مقلقاً للراوي، فشعوره المتكرر بالإحباط ؛ دفعه إلى اللجوء للمرأة انطلاقاً من كونها الحلقة الأضعف في المجتمع، حتى يحقق لنفسه نوعا من الانتصار، وهنا تعود (مريم) التي أحبها الراوي إلى تجربتها الأولى، فتصبح نموذجاً لجميع النساء اللواتي يضعن الراوي في دائرة جلد الذات نحو كثرتهن، واتجاه الاستسلام للشهوة، حيث تبرز المرأة كعامل هدم في حياة الراوي حين تشكل له هما جديدا فوق ما يعانيه من هموم، الأمر الذي ينتهي بالراوي إلى عدم القدرة على التكيف، فيتضافر السجن والمرض، والمستشفى كعناصر مقاومة تواجه (الراوي) والتي يرى معها أن العبور إلى الضفة الأخرى يجب أن يكون بأقل الخسائر.

لقد أسهم الجميع وفق رؤية (عربي) و(الراوي) التسبب في الهزيمة حتى الإعلام قد مارس سياسة التضليل على الجماهير، فقد زرع في تفكير الجماهير أوهام النصر،

---

(1) فركوح، أرض اليمبوس، ص 116.

والتقدم والتحرير، متناسيا الواقع الذي كان يعاني من التفكك الداخلي على كافة المستويات السياسية، والاقتصادية والاجتماعية، فقد ظل الانسان العربي غارقا في الوهم، وهذا ما ولد لدى (عربي) وغيره من السياسيين شعورا باليأس والإحباط الشديد، فقد ظهر الواقع أمام (عربي) وقد عبَّر عنه بقوله:

" **فلا تعدو الشعوب العربية سوى أن تكون حشية قش يتدرب عليها هواة الملاكمة، منذ هولاكو حتى هذا الجنرال الأخير**" [1].

2.3 السياسي الملتزم

يشكل السياسي الملتزم نمطاً من الشخصية السياسية التي تحمل المبادئ والقيم التي تؤمن بها، وتظل هذه الشخصية متمسكة بما تحمله من أفكار لا تغيرها الظروف والأحوال، وقد حملت الروايات الأردنية المدروسة نماذج من هذه الشخصيات السياسية الملتزمة، ويظهر ذلك وفق ما تقدمه رواية (اعترافات كاتم صوت)، من خلال شخصية (الدكتور مراد) كسياسي ملتزم آمن بمبادئ حزبه، وظل محافظاً عليها، رغم سياسة النكران التي مارسها الحزب عليه بعد الوصول إلى السلطة، فقد حمل (الدكتور مراد) من خلال أحداث الرواية الألم، والعزلة، والاغتراب عن مجتمعه الذي يعيش فيه، فبادله رفاق الحزب الجحود والنكران؛ نتيجة ما يسيطر على نفوسهم من صراع، وخوف على السلطة، حيث شكل (الدكتور مراد) بشخصيته، وحضوره هاجساً مرعباً لأصحاب السلطة الذين وجدوا فيه أملاً للجماهير التي قد تستعين به يوماً، وتنقلب على الوضع القائم، ويظل (الدكتور مراد) نموذجاً حياً على الالتزام بمبادئ الحزب الذي يؤمن به، فلم يقدم التنازلات مقابل التخلص من حياة السجن والعزلة، التي فرضها عليه النظام السياسي القائم، بل ظل هاجسه الإيمان بالتغيير، والإصرار على الحياة، فقد أكد لنفسه أكثر من مرة ضرورة التمسك بالحياة، وعدم الانجرار وراء حالة اليأس التي تمارسها السلطة عليه؛ أملاً في استسلامه بقوله:

---

(1) السبول، أنت منذ اليوم، ص 85.

" **ينبغي أن أعيش، ينبغي أن أرى القرن الحادي والعشرين، سيكون عصر تحرر الشعوب المضطهدة** " [1] .

ورغم الأمل بالمستقبل إلا أن هذا التطلع المستقبلي لدى (الدكتور مراد) يظل مسكوناً بهاجس الخوف والشك، وقد برر ذلك صراحة بقوله:

" **الماضي مريح؛ لأنه معروف مكشوف، والمستقبل مرعب؛ لأنه مجلل بحجاب المفاجأة، لكنني ألتفت إلى الماضي، فلا أرى سوى فراغ أشبه بهاوية مظلمة تفغر فاها، كان صوت أحمد يملؤه** " [2] .

لقد شكل الالتزام السياسي لمبادئ الحزب الصحيحة قبل الوصول إلى السلطة، مصدر قلق وخوف لكل من يحاول تذكير رجال السلطة بها بعد الوصول إلى كرسي الحكم، وليس أدل على ذلك مما توصل إليه (الدكتور مراد) عن غياب صورة وزير الإعلام على التلفاز أثناء تقبل أعضاء القيادة التهنئة بعيد الثورة بقوله:

" **إن وزير الإعلام غائب، واستنتج أنهم طردوه، هكذا كنا نعرف أخبار العالم الخارجي بالاستنتاج. هذا تضاءل حجم صوره في الصحف إذا بات مغضوباً عليه، وذاك انتقلت أخباره إلى الصفحة الثانية، إذن بات على وشك أن يطير هو ورأسه، أو رأسه فقط** " [3] .

لقد شكل (الدكتور مراد) بما يحمله من شخصية استثنائية ملتزمة قادرة على مواجهة الظروف حالة تثير التساؤل في نظر خصومه وأعوانهم من رجال السلطة، فقد ظل متماسكاً قوياً لم يتراجع عن ما يحمله من أفكار ومبادئ، ويظهر العجز عن كسر شوكة (الدكتور مراد) على لسان (يوسف كاتم الصوت) الذي استأجرته السلطة لهزيمته قائلاً:

" **كيف أهزم الختيار؟ كيف أجعله ينكسر، ولو لمرة واحدة في حياته، لقد أصبت بانهيار في السجن بينما بقي هو كالسنديانة، إنني أمقته حتى وضعه في الإقامة**

---

(1) الرزاز، اعترافات كاتم صوت، ص 23.

(2) الرزاز، اعترافات كاتم صوت، ص 27.

(3) الرزاز، اعترافات كاتم صوت، ص27.

الجبرية لم يحطمه، فقتل أحمد هو ثغرة الضعف فيه، هو نقطة ضعفه، أحمد نفسه لا يستحق أن يكون ابن هذه السنديانة، إنه يكره الحياة: إنه ميال للموت" [1].

لقد عرف (الدكتور مراد) بأنَّ الثبات على المواقف السياسية والالتزام بها وخصوصا إن كانت معارضة للسلطة، وتنتقد منهجها سيدفع السياسي ثمنها بنفسه أو بواحد من أفراد أسرته، وهذا ما يظهر جلياً بعد حديثه عبر الهاتف مع ابنه أحمد بقوله:

" **لا، سيعتقلونه في كل مطار، ويستجوبونه في كل ميناء** " [2].

ورغم ما تحمله السلطة من عداء لخصومها السياسيين المعارضين لها، إلا أنها تحاول الظهور بمظهر الدولة الديموقراطية التي تحترم آراء السياسيين ومواقفهم أمام دول العالم المتحضرة، وهذا يظهر جلياً في حديث (سكرتير الجنرال) أثناء حديثه عن موقف الدولة من اختطاف ابن (الدكتور مراد) إذ قال:

" **إن الجنرال يشعر باللوعة والحزن عندما سمع نبأ اختطاف أحمد، وأنه يدين الأيدي الآثمة التي تقف وراء اختطافه، وهو يود بهذه المناسبة، أن يؤكد لك أن أجهزته أي أجهزتنا، لا علاقة لها بالأمر أبداً، وأنه يعتقد أن جهاز دولة شقيقة معادية هو الذي نفذ العملية، كي يعتقد الملأ الأعظم من الناس أننا فعلناها**" [3].

لقد استطاع (مؤنس الرزاز) من خلال شخصية السياسي الملتزم (الدكتور مراد) التأكيد على تحول الأحزاب عن مسيرتها وانقلابها على المبادئ التي تؤمن بها بمجرد وصولها إلى كرسي الحكم، فمبادئ الحرية، والاشتراكية، والدفاع عن الأمة العربية وحقوقها المسلوبة، مبادئ سرعان ما تنتهي بمجرد الوصول إلى السلطة، وقد أبدع (مؤنس الرزاز) بتجسيد الألم والمعاناة من خلال استبدال القضية الأساسية للأمة، والمتمثلة بالمقاومة واسترداد الحقوق إلى قضية النزاع بين الفصائل والأحزاب، فالإقامة الجبرية التي وضع فيها (الدكتور مراد) لو كانت من قبل العدو الصهيوني؛ لكان الوضع أسهل، ولكان هناك طعم مميز للمقاومة والصمود، ولكن أن تكون العزلة والإقامة الجبرية من أبناء بلده، فهذا ما يزيد حالة القلق والألم لديه ورغم التحديات يظل

---

(1) الرزاز، اعترافات كاتم صوت، ص 61.

(2) الرزاز، اعترافات كاتم صوت، ص 93.

(3) الرزاز، اعترافات كاتم صوت، ص 95.

السياسي الملتزم يحمل رسالته التي يؤمن بها، رغم كل ما يواجه من قمع وتهميش، لأن الرسالة وفق منظوره وإن لم تستفد منها الأجيال الحاضرة ستكون إرثاً مهماً للأجيال القادمة، وشاهداً حياً على مواقفه أمام الجماهير، وقد تجسد هذا الإيمان بالرسالة التي رد بها (الدكتور مراد) على زوجته التي أوضحت له مراراً بأن كل ما يكتبه سوف تتم مصادرته، فقد أكد في كل مرة ثباته، بقوله :

"**خطيئة أن لا أضع حداً لحياتي، خطيئة أكبر أن لا أكتب، ينبغي أن أواصل كتابة الكتاب الذي سيصادر** " [1].

وفي مقولة (الدكتور مراد) تأكيد على قمع الحزب أو الجماعة السياسية أو العصبة لأفرادها أنفسهم ، فيصبح القمع حالة من الاستباحة والإذلال لكيان السياسي، والتي وصلت إلى أقدس الخصوصيات لديه، من خلال اقتحام عالمه الشخصي فقد أشار (الدكتور مراد) إلى قيام رفاقه الذين وصلوا إلى السلطة باقتحام أدق الخصوصيات داخل منزله، ومتابعة حركاته وسكناته من خلال وضع أجهزة التصوير والتنصت على حواراته مع أسرته، ومع ابنه (أحمد) المقيم بعيدا عنهم في بيروت [2].

كما تمت كذلك مصادرة كل إنتاج فكري لهذا السياسي؛ حتى لا يكون عاملاً من عوامل نهضة الشعب، الأمر الذي اقتضى مصادرة كل ما أنتجه (الدكتور مراد) من كتابات ومخطوطات.

ومن نماذج السياسي الملتزم ما تقدمه رواية (الطريق إلى سحماتا) من خلال شخصية (معاوية العمر) السياسي الفلسطيني الذي تم إبعاده عن وطنه بعد نكبة 1948م إلى المخيمات والملاجئ بيد أن صورة الوطن تظل حاضرة في باله، فأثناء حديثه مع ابنته (سلمى العمر) التي وصفت له منظراً جميلاً أثناء المرور إلى (الوست هول)، فكان رده:

" **هذه اللوحة مخزونة في ذاكرة أبناء سحماتا، هناك كانت تقع عيونهم على مثل هذه اللوحة، يقولون عجباً لهؤلاء لا يريدون أن يعيشوا حاضرهم، كيف يعودون لماض انتهى، وأصبح ذكريات ممضَّة، كيف ننسى يا سلمى؟ صدقيني إذا قلتُ لك**

---

(1) الرزاز، اعترافات كاتم صوت، ص 22.

(2) انظر، الرزاز، اعترافات كاتم صوت، ص25.

إنَّ قريتنا أجمل، إنها أجمل، وليشهد على كلامي محمود العارف، وراغب النجار، ومعروف الناقة آه يا رفاق الصبا، أين أصبحتم الآن؟! " [1].

ويظل هاجس الذكريات يسيطر على (معاوية العمر) الذي يمثل انتماءً حقيقياً للأرض، فعلاقته بالمكان (سحماتا) علاقة أسطورية أشبه بعلاقة الجسد بالروح، فهو ورغم الإبعاد والتهجير، يظل على مقربة من (سحماتا) فمخيم الرشيدية يظل يشكل في هاجسه أملاً بالعودة إليها، وهذا ما ظهر جلياً أثناء حديثه مع قائد السرية الذي أكد التصدي لهجمات العصابات الصهيونية بقوله:

" **كم مرة نهاجر يا ولدي؟ هجرتنا آخر الهجرات، لن أخرج من مخيم الرشيدية إلا إلى سحماتا أو إلى القبر**" [2].

فقد ظل (معاوية العمر) على مقربة من قريته (سحماتا) حتى في أحلك لحظات المرض، وكان رده على كل من أشار إليه السفر لبيروت من أجل تلقي العلاج، بقوله:

" **خروجي من المخيم هو موتي المؤكد، لماذا تريدونني أن أبتعد عن سحماتا؟ ألا تكفي هذه المسافة الطويلة التي تفصلني عنها**" [3] .

لقد مثل تشبث (معاوية العمر) بالمكان القريب من (سحماتا) التحاما أسطوريا بسحماتا نفسها وعدم قدرته على التخلي أو الانفصال عنها، كما أن رسالة الانتماء لسحماتا قد ورَّثها لأبنائه من بعده، وهنا تقسم ابنته (سلمى) على مقاومة الانكسار رغم الانتقال من هزيمة إلى هزيمة، فسحماتا وإن غابت عن الأبصار فإنها ستبقى حية في القلوب، ونتيجة هذا الإصرار على التمسك بالمكان، لم يعد هناك نفع لدى أي إنسان يحاول إقناعه بمغادرة المخيم، فترك المكان يمثل له موتاً وهزيمة.

وفي ظل حالة التراجع والانهزام التي تعيشها الأمة، يلجأ (معاوية العمر) الذي يرى أن عودة الأرض لا تتم إلا بالسلاح والجهاد، إلى العيش في الماضي، واستذكار كل ما هو إيجابي أملاً في التخلص من الحاضر الذي لا يزال يشكل له شاهداً حياً على

---

(1) السعافين، الطريق إلى سحماتا، ص 34.

(2) السعافين، الطريق إلى سحماتا، ص167.

(3) السعافين، الطريق إلى سحماتا، ص 168.

تراجع الأمة وانهزامها، وتبدو هذه الحالة جلية من خلال ما يقدمه (أسامة العمر) بوصف حالة والده أثناء حديثه مع حنان بقوله:

" **لقد تقدم المرض بأبي، يبدو أن جلطات صغيرة بدأت تتكاثر، وتصيب المواضع التي تؤثر في الذاكرة، ثمة تلف في أجزاء حيوية من الدماغ. أبي يقاوم الحاضر لا يريد أن يعترف به أو يعيه، ينسحب إلى الماضي ويعيش فيه. معاناة أبي نفسية وعضوية معاً...**" [1].

ويظهر توحد (معاوية العمر) مع قرية (سحماتا) بقول (أسامة) لأخته (سلمى) واصفاً حالة والده قائلا:

" **لم يعد إلى سحماتا بجسمه، ويبدو أنه لن يعود، ولكنه الآن لا يغادر سحماتا أبداً، لم يعد الأب الذي تعرفينه يا سلمى، إذا خرج من الماضي، فحديثه غالباً يكون هلوسة تدمي القلب** " [2].

ولعل المرض لا يقف وحده معانداً لطموح (معاوية العمر) بل الواقع نفسه وحال الأمة التي أصيبت بالضعف والانتكاس يشكلان هماً مركباً على نفسيته، فقد أيقن صعوبة الموقف، وخذلان الأمة نتيجة الصراع المستمر على الزعامة والسلطة في ظل وجود سياسيين همهم تحقيق ذاتهم وأطماعهم، وهذا ما أجل حل القضية وأضعفها في الأوساط العالمية، فالحديث الذي ينطق به الساسة أمام شعوبهم يختلف عما يدور في غرف التفاوض، وهذا يبدو جلياً في حديثه لقائد القاعدة بقوله:

" **لا يا ولدي، الحق لم نحبط، بذلنا الدماء، بذلناها ولكن في أغلب الأحيان بلا طائل، دماء الشهداء يا بني مسيجة بالذمم الخاربة والزعامات الفاسدة** " [3].

فرغم حالة الضعف والتراجع التي يحياها (معاوية العمر) ظل يحمل في نفسه الأمل بالتحرر يوماً ما وبتغيير كل حالات الضعف والانتكاس، رغم أن ما يحدث على أرض الواقع يخالف ذلك، فقد رأى (معاوية) بعد حادثة عين الرمانة أن (سحماتا) أصبحت بعيدة، أبعد مما كانت في يوم من الأيام، ويظهر ذلك بقوله:

---

(1) السعافين، الطريق إلى سحماتا، ص178.

(2) السعافين، الطريق إلى سحماتا، ص 179. 180.

(3) السعافين، الطريق إلى سحماتا، ص 235.

" **يبدو أن الأعضاء تتساقط عضواً وراء عضو، ولم يعد من أمل في أن أرى سحماتا، عزلوها عنا في الجنوب، واليوم يعزلونها عنها أيضاً من الشمال، اليهود كالأخطبوط لهم مائة ذراع وذراع، يعزلون من كل اتجاه، ما حان الوقت الذي فيه يضعفون يا بنيتي، أنا واثق أن أحلامنا لن تتغير، ولكن الطريق طويل يا حنان** "[1].

أمام المرض والضعف، يظهر (معاوية) كسياسي ملتزم آمن بقضية وطنه العادلة التي تتصدر أولى اهتماماته، فلم يعد يأبه بالمرض الأمر الذي شكل حالة وأسطورة أمام المحيطين به، بيد أنه يقدم وصفا دقيقا لحالة التفكك العربي؛ انطلاقا من فقدان أجزاء متتابعة من فلسطين، ويرى كسياسي ملتزم بقضيته الوطنية، أن مشوار التحرير لايزال بعيدا، فالأحلام وفق ما يرى هي حق مشروع ومستمر للفلسطينيين، بيد أن هذه الأحلام تحتاج إلى تنفيذ فعلي على الأرض؛ انطلاقا من خيار المقاومة في سبيل تحقيق الحرية، ولوقت تحقيق الحلم المنشود، يتماهى (معاوية العمر) مع الوطن بكل أحاسيسه لدرجة أن (وائل البري) وصفه قائلاً:

" **هذا الرجل ليس شخصاً عادياً، أشعر أنه فلسطين** "[2].

يقدم (معاوية العمر) نموذجاً حياً للانتماء الحقيقي الذي يحمله السياسي اتجاه وطنه، ولعلَّ هذا الانتماء متجسد في الاستحضار الدائم لقرية (سحماتا) من خلال ما يستحضره من هذا المكان والمتمثل بشجرتي التين والزيتون اللتين أتى بهما من أرض سحماتا، وبين غياب الوعي والصمود يردد (معاوية العمر) قائلاً:

" **سحماتا الآن حاضرة، وزيتون سحماتا، وكروم العنب والتين، وبحر عكا، وجامع الجزَّار** " [3].

وفي لحظات قرب الموت منه، يحاول (معاوية) اصطحاب الانتماء معه في موته من خلال وصيته بدفن مفتاح (سحماتا) معه، والذي ظهر يتدلى من طرف التابوت أثناء الجنازة [4]. وفي ذلك دليل على قناعة راسخة لديه أن مشوار التحرير ما زال

---

(1) السعافين، الطريق إلى سحماتا، ص 278.

(2) السعافين، الطريق إلى سحماتا، ص 287.

(3) السعافين، الطريق إلى سحماتا، ص 373.

(4) انظر، السعافين، الطريق إلى سحماتا، ص 374.

طويلاً، وهي اعتراف حقيقي ضمناً أنه لن يدرك لحظة العودة إلى وطنه، وهو يقدم بهذا الموقف رسالة ضمنية للجيل القادم بأخذ زمام المبادرة في السعي الجاد إلى تحرير الوطن المسلوب بعد سعي الكثير من المقاومين إلى الانخراط في صفوف العمل السياسي، وأخذ مبدأ التفاوض لتحصيل الحقوق بدلاً من البندقية، التي هي الأساس في إرجاع المسلوب من الأرض، ويبدو هذا التحول جلياً وفق ما يرويه بكر الزناتي قائلا: " **المقاتلون يتحولون إلى سياسيين** " [1].

3.3 السياسي الانتهازي

يشكل السعي وراء تحقيق الذات والرغبات جانباً فطرياً يطارد تفكير الشخصيات، ولا سيما الشخصيات السياسية التي تجد في انتهاج مبادئ سياسية معينة ليست من قبيل الإيمان العميق بها بل لتكون سبيلاً للخلاص من واقعها، وتحقيق الريادة والشهرة داخل المجتمع الإنساني، وقد استطاعت الرواية السياسية الأردنية على مدى فتراتها التاريخية، تسليط الضوء على نماذج لشخصيات سياسية، كان هدفها انتهازيا يقوم على تحقيق رغباتها ومصالحها تحت قناع السعي لتحقيق مصالح الجماهير، ولعلَّ الدارس لرواية (عندما تشيخ الذئاب) لجمال ناجي، يجد أن الرواية قد سلطت الضوء على شخصية السياسي الانتهازي من خلال شخصية (عبد الحميد الجنزير)، انطلاقاً من دوافع نفسية قائمة على الجشع، والحب، والرغبات الجامحة، فتحاول هاتان الشخصيتان الاستفادة من كل ما يدور حولهما من أحداث، وما يتحرك في محيطهما من شخوص؛ انطلاقاً من إيمان داخلها يعتمد على إزاحة كل من يعترض طريقها من خصوم، كي تضمن تحقيق ما يدور في نفسها من طموحات ومكاسب .

يمثل (الجنزير) شخصية مهمة تعكس بجلاء صورة السياسي الانتهازي الذي استطاع توظيف الآيديولوجيا الدينية؛ انطلاقا من أن " السياسة هي بوابة أي تغيير

(1) السعافين، الطريق إلى سحماتا، ص156.

وخاتمة كل عهد جديد؛ لأنها مفتاح كل شيء الرزق، والحرية، والعمل في السياسة مواجهة مستديمة متصاعدة مع السلطة السائدة وأجهزتها ومواليها " [1].

وأمام رغبة السلطة والسعي وراء المال والمنصب يتعرى قناع (الجنزير) الآيدولوجي، فيظهر في كثير من فصول الرواية إنساناً ساعياً وراء تحقيق الشهوة بتعدد الزوجات من خلال سعيه المستمر للزواج من (سندس) والتي يصرح أكثر من مرة بحاجته لها، فرفضها له يمثل نهاية حياته، فالحياة بالنسبة له بدونها لا تشكل شيئاً مهماً يستحق البقاء والكفاح.

وتعكس شخصية (عبد الحميد الجنزير) نموذجاً من الصراع بين السلطة السياسية القائمة، والأحزاب السياسية المعارضة، التي تحاول أن تجد لها موطئ قدم في المجتمع، إبان الفترة الزمنية التي جسدها (جمال ناجي) من خلال حرص الشيخ (الجنزير) على تجنيد الشباب لخدمة التيار الديني حتى يصل إلى صوت مسموع على الساحة السياسية، ويبرز ذلك جلياً من خلال محاولة الجنزير إقناع (عزمي) ووالده بأهمية التعليم، وابتعاثه إلى جامعة الأزهر لتعلم فقه الدين وأصوله غير أن والده رفض ذلك بحجة عدم امتلاك المال الكافي.

فكان رد الجنزير:

" **نحن الذين سننفق عليه وحين سأل والده: من أنتم؟ فكان رد الجنزير: نحن أهل الخير وفاعلوه** " [2].

لقد استطاع (عبد الحميد الجنزير) بما يمثله من شخصية محورية في الرواية، انتهاز كل الفرص المتاحة لكسب التأييد لنفسه، وللفكر الذي يمثله، فكانت الآيديولوجيا الدينية متاحة وحاضرة بالموازاة مع كل القوى السياسية، تستغل كل مناسبة أو حدث اجتماعي؛ لتسويق أفكارها وما تحمله من مشروع إصلاحي بنظرها، ويبدو هذا الحضور جلياً في كل المناسبات الاجتماعية التي تشكل حراكا مجتمعيا، فكان عزاء

---

(1) الرياحي، نجوى، الأبطال وملحمة الانهيار، دراسة في روايات عبد الرحمن منيف، مركز النشر الجامعي، تونس، 1999م، ص85.

(2) ناجي، عندما تشيخ الذئاب، ص29.

جليلة زوجة رباح الوجيه فرصة سانحة للجنزير كي يظهر أمام الناس من خلال حديثه الذي احتوى على المواعظ، والأدعية للميتة بالرحمة ودخول الجنة [1].

يمثل الشيخ (عبد الحميد الجنزير) شاهداً حياً على سياسة الآيديولوجيا الدينية، فهي سياسة لا تجسد الاصطدام مع السلطة، بل تسعى إلى سياسة المد والجزر في علاقتها معها، بما يضمن لها البقاء والنجاح، وكسب المؤيدين على المدى الطويل.

ويبدو هذا التوجه جلياً في التعامل مع السلطة من خلال حديث (الشيخ الجنزير) لطلبته أثناء بحث مسألة جمع التبرعات، وانحراف (عزمي) عن موقف الجماعة، فقد كان الشيخ (الجنزير) واضحاً بقوله:

" **إذا وضعنا تسامحنا وراء ظهورنا، واندفعنا وراء رغباتنا في الانتقام، فسنصبح مغامرين خاسئين، يا إخوتي في الله ليس الإسلام وحده هو المستهدف، إنما نحن أيضاً، ما الذي يحدث معنا بعد شهر أو عام أو أكثر، أما أن نضع أنفسنا تحت عين الحكومة من أجل عزمي الوجيه وأمثاله، فهذه مغامرة لا تحمد عقباها، خصوصاً أن الشكوك بدأت تراودني حول وجود صلة بينه، وبين طرف أو أطراف في الحكومة، ونحن لا نريد مواجهة الحكومة الآن**" [2].

ووفق ما يقدمه (الجنزير) في النص السابق، يؤكد على حقيقة مؤداها، أن العمل السياسي والحزبي يتطلب السرية والكتمان، خاصةً إذا كان الحزب ما زال بحاجة إلى الدعم وكسب التأييد، وبعد أن يحقق السياسي مع حزبه نمطاً من القوة، سوف ينتهز الفرصة المناسبة؛ للكشف عن مخططاته ومشاريعه على العلن.

ولتحقيق الرغبات والطموحات التي يسعى (الجنزير) الوصول إليها، يقوم باستغلال أموال التبرعات، وتوظيف العديد من الأتباع والتلاميذ السذج؛ لخدمة غاياته التي يحاول الوصول إليها، ويظهر هذا النموذج من الطلبة المندفعين من خلال (بكر الطايل) الشاب المندفع الذي لا يحمل أي تفكير علمي ومنهجي، فيصبح مجرد أداة تنفذ رغبات (الجنزير) وتحمل الرواية في أحداثها الشواهد الدالة على ذلك، فقد قام (بكر الطايل) بتقسيم الناس إلى مؤمنين وكفار وفق تزمت ساذج، الأمر الذي دفعه

---

(1) انظر ناجي، عندما تشيخ الذئاب، ص54.

(2) ناجي، عندما تشيخ الذئاب، ص 151.

إلى قتل الراقصة وفق هذا المنظور الآيديولوجي الذي تبناه، فكان بذلك سلاحاً مهماً، وأداة يحركها (الجنزير) وقت الحاجة مستغلاً وضعه المادي الصعب، وما يقدمه له من هبات وعطايا ومراعاة أحوال أسرته أثناء وجوده في السجن، ويظهر تحكم (الجنزير) ببكر الطايل واضحاً من خلال قوله:

" **كان بوسعي الخلاص منه وإقصاؤه عن طريق متعهدي الجهاد في العراق أو أفغانستان أو سواهما، لكني آثرت الاحتفاظ به في قبضتي لأمر ما في نفسي** " [1] .

وفي نموذج (بكر الطايل) نقد روائي، يقدمه (جمال ناجي) للشباب العربي الذي ينقاد وراء أفكار حزبية دون أن يكون على دراية وفهم عميق بها، بل أن الكثير من هؤلاء الشباب يكون انتماؤه للأحزاب؛ لتحقيق هدف شخصي قد يكون الدافع منه في كثير من الأحيان دافع اقتصادي بحت.

يظل (الجنزير) بوصفه نموذجاً للسياسي الانتهازي، وإن ظهر بصورة المتدين في نظر المجتمع مكشوفاً لبعض الشخصيات الروائية أمثال (جبران أبو بصير) الذي تحدث مع الجنزير بأنه من أكثر الناس بحثا عن مصالحه من خلال تواجد العديد من خليط الأسماء للسياسيين الذين يجتمعون في مزرعته [2] .

وفي هذا الوصف تبرز جلياً قضية الصراع بين السياسيين، وهو مواجهة دائمة تظهر بين الفينة والأخرى، خاصة عندما تتقاطع المصالح، وهذا ما يبرز بشكل جلي أثناء الوقوف على شخصية (جبران أبو بصير) لاحقاً، لقد قدم (جبران) الشيخ (الجنزير) بوصفه رجل دين يتخذ من ثوب التدين وسيلة للوصول إلى تحقيق المكاسب الذاتية، فعلاقة (عبد الحميد الجنزير) مع السماء علاقة مظهر وخداع، ولم تكن قائمة على آيدولوجية دينية عميقة هدفها نشر الوعي الديني في أنحاء المجتمع، وتحوير اسم الشيخ ووصفه (بالخنزير)؛ لإثبات حقيقة مؤداها انعدام الإحساس بالآخرين، وعدم الاكتراث لأحوالهم بل تأكيد على الذات والأنانية .

يمثل الشيخ (الجنزير) السياسي الانتهازي نمطاً مهماً للمفارقة، فيظهر أمام تلاميذه وشيوخه رجلاً متديناً يرفض التعاطي مع أصحاب الفكر الماركسي، ولا يستطيع

---

(1) ناجي، عندما تشيخ الذئاب، ص208.

(2) انظر، ناجي، عندما تشيخ الذئاب، ص184.

الالتقاء بهم بأي حال من الأحوال، غير أنه في الخفاء يجلس معهم، ويحاورهم ويتبادل معهم المصالح والمكاسب من خلال توظيفه لمزرعته التي يعقد فيها الحفلات، واللقاءات بهم، وقد برز ذلك من خلال حديث (جبران) بقوله:

" **كان يحرص على أن تضم تلك اللقاءات شخصيات عامة ومسؤولين ونواباً وإعلاميين، ورجال أعمال، وسياسيين من مختلف الأطياف، وكثيراً ما التقيت بشخصيات سياسية قومية وليبرالية، ويسارية، ويمينية، فشعرت أنه مهتم بتوسيع مظلته** " [1].

وما سلوك التطرف الذي يبديه (الجنزير) في كثير من الأحيان؛ إلا أنه يحمل في غايته تحقيق المصالح، وممارسة اللعبة السياسية بما يضمن تحقيق القوة، والمكانة، والتأثير في الأوساط الحزبية داخل المجتمع، وقد برز ذلك بقول (جبران) حين أراد وصف تطرف (الجنزير) قائلا:

" **مع أنني شبه متأكد من أن تطرفه ليس أكثر من تنفيذ لعمليات حسابية عقلية تملي عليه لعب هذا الدور أو ذاك في ظروف معينة، لتحقيق كسب ما في موقع ما أو قضية ما** " [2].

يمكن القول أن ما حققه (عبد الحميد الجنزير) من إنجازات وصداقات مع رجال الدولة، كان له الفضل في رسم ملامح السياسة العامة، فقد كانت بمثابة المطبخ السياسي الذي يقدم للدولة رجالاتها في مختلف الصُعد والميادين، وقد استطاع جمال ناجي من خلال شخصية (عبد الحميد الجنزير) إبراز توغل السلطة الدينية في فترة من الفترات، وتحكمها في رسم سياسة البلاد، وقد عبر عن ذلك صراحة (الجنزير) بقوله:

" **تخرج من هذه المزرعة وزراء، ونواب ومسؤولون كبار، ممن تسمع بأسمائهم أو تراهم هُنا، نريد وزيراً لنا في الحكومة القادمة**" [3].

يقدم (الجنزير) الرؤية الآيدولوجية للحزب الإسلامي الذي ينتمي إليه، وإن ظهر هذا التقديم في سبيل تحقيق مكاسب ذاتية، فكل من يخالف آراء هذا الحزب هو كافر، ومن

---

(1) ناجي، عندما تشيخ الذئاب، ص183.

(2) ناجي، عندما تشيخ الذئاب، ص183.

(3) ناجي، عندما تشيخ الذئاب، ص249.

أصحاب الطاغوت والأجدى من ذلك التخلص منهم؛ لأنهم يشكلون خطراً على مسيرة الدولة وازدهارها.

ومن النماذج الأخرى على صورة السياسي الانتهازي في الرواية الأردنية، ما تقدمه رواية (زمن الخيول البيضاء) من خلال شخصية (الهباب) التي مثلت الولاء المطلق لرغباتها، وتحقيق المكاسب من أموال ومناصب، فقد ظهر (الهباب) في بداية الرواية سياسيا داعما لنظام الحكم العثماني في فلسطين، الذي عينه لخدمة مصالحه، وكانت وظيفة (الهباب) السعي المتواصل بقوة السلاح لجمع الضرائب من سكان (الهادية) وتقديمها لخزينة الدولة العثمانية، وتحقيق الثراء الفاحش لنفسه على حساب معاناة أهله من سكان (الهادية) وغيرها من القرى المحيطة، وقد أظهرت الرواية كل ما تحمله هذه الشخصية من حقد وانتقام نحو المجتمع المحيط بها، فقد مثلت صورة جلية للسياسي الانتهازي الذي يحاول تملك كل شيء مهما كانت قيمته سواء أكان ذلك ناقة أو فرسا، بل سعى إلى تفكيك العلاقات الأسرية داخل المجتمع، ويبدو هذا جليا من خلال سعيه المستمر للزواج من أي امرأة تعجبه، حتى وإن كانت متزوجة، فهو يسعى لإجبار زوجها على تطليقها، ليأخذها، وإن لم تتم عملية الطلاق يقوم بقتل الزوج، وهذا النمط من السلوك الانتقامي ظهر لدى (الهباب) عندما أراد الزواج من (ريحانة)، فقد تمَّ دون النظر لموافقة أهلها، وقد أشار الراوي إلى ذلك بقوله:

"**منذ يومين أبصرها، ومنذ يومين قال لهم أريدها جاهزة ضحى الخميس**"[1].

إنَّ شخصية (الهباب) الانتهازية المتسلطة متغيرة وفق ما تتطلبه المصلحة الفردية، فقد انتقل (الهباب) من الولاء للدولة العثمانية بعد زوال حكمها إلى الإنجليز فأخذ يشارك الدوريات الإنجليزية في البحث عن الثوار، والمعارضين للوجود الإنجليزي في المنطقة.

ومن النماذج التي تقدمها رواية (زمن الخيول البيضاء) للسياسي الانتهازي، شخصية (سليم بيك الهاشمي) الذي استغل ضرب الضابط (بترسون) له، والتفاف الناس حوله، الأمر الذي دفع حاكم اللواء لإرسال برقية اعتذار له، وقد أحدثت هذه البرقية في نفس (الهاشمي) العديد من الهواجس والأفكار المتضاربة، وهذا شجع حاكم

(1) نصر الله، زمن الخيول البيضاء، ص50.

اللـواء علـى إقامـة حفلـة دعـا لهـا الهاشـمي، وقـد عكسـت هـذه الحفلـة المسـماة بليلـة (روزلـين) مظهـرا مـن مظـاهر الانحطـاط التـي وصـلت إليهـا الزعامـات المتعاونـة مـع الإنجليز ضد الثورة.[1].

4.3 السياسي المتحول

يعد السياسـي المتحـول نمطـاً مـن أنمـاط الشخصـيات السياسـية التـي ظهـرت تحمـل مبـادئ معينـة، ولكنهـا سـرعان مـا تخلـت عـن هـذه المبـادئ والقيم التـي تؤمن بهـا؛ بفعل عوامل سياسية متمثلة بضغوطات سياسية تمارسها الدولة، أو بفعل عوامل اقتصادية تتمثـل بتغيـر الحيـاة، وعـدم قـدرة السياسـي الحفـاظ علـى مواقفـه؛ نتيجـة التضـييق الاقتصادي الذي تمارسه السلطة عليه، بسبب مخالفته لمواقفها وتوجهاتها.

ولقد قدمت الرواية الأردنية نماذج متعددة من أنماط الشخصيات المتحولة التي لم تسعفها الظروف والتغيرات في الثبات على مواقفها، ولعلَّ أبرز هذه الشخصيات ما قدمه جمال ناجي في رواية (عندما تشيخ الذئاب)، من خلال شخصية (جبران أبو بصير) الـذي مثـل نموذجـاً للمناضـل والسياسـي اليسـاري الـذي يـدافع عـن حقـوق المعدمين، وطبقات المجتمع المسحوقة، بيد أن هذا الإيمان المطلق، والإحساس بعامة الناس سرعان ما تبدد بفعل التحولات السياسية، والاجتماعية التي أصابت المجتمع، انطلاقا من طغيان المذهب الرأسمالي الذي بدأ يجتاح البلاد العربية وكذلك مرور المنطقة العربية بأحداث سياسية هامة، وقد أشار إليها (جمال ناجي) في فصول روايته، انطلاقاً من اجتياح لبنان، وحرب الخليج، وغيرها من التحولات التي فرضت تغيراً بارزا على الواقع العربي بشتى ميادينه، وقد أسهمت هذه التغيرات مجتمعة بتحولات جذرية على شخصية (جبران) فقد ترك ماضيه بكل ما يحمله من توجهات وأمكنة وانتقل للعيش في جبل (عمان) وقد تحول إلى الاهتمام بطموحاته الشخصية، وأسرته بعيداً عن معاناة الآخرين، فأصبح اهتمامه منصبا على تطوير تجارته، ووصوله إلى مركز الوزارة، ويقدم (جبران) تفسيراً يحاول من خلاله اقناع الجماهير لحالة التحول التي أصابته قائلاً:

---

(1) انظر، نصر الله، زمن الخيول البيضاء، ص380_386.

" لم اتنكر لأفكاري الماركسية التي حملتها منذ صباي، ولم اتنصل من التزامي السياسي إزاء الكادحين على الرغم من ابتعادي المكاني عنهم، ولكني أشعر الآن، وبعد مرور كل هذه الأعوام، بأن الحرية التي ناضلت من أجلها كانت سياسية بحتة، وذات حواف حادة قاطعة، وفي اتجاه واحد، إلى حد أنها لم تمنحني فرصة التفكير في حريتي الاجتماعية مثلاً " (1) .

يظهر (جبران) في نظر المجتمع إنساناً مستغلاً متحولاً يبحث عن ذاته، ونظرة المجتمع التي تمثلت له بالقطيعة والارتياب تنعكس على نفسيته شعورا بالعزلة الاجتماعية، وهروباً من مواجهة المجتمع، وعدم القدرة على تقديم التبرير المناسب؛ لإقناعهم بالتوجهات الجديدة التي أصابت حياته، بيد أن هذا التغير يبدو جليا للجميع وإن تم تبريره بمبررات واهية، وهذا ما أشار إليه رباح الوجيه، بقوله:

" أيام زمان، كان جبران يحكي عن الكادحين، لكن بعد أن انتفخت جيوبه، لم يعد يقعد مع رجال الحارة في قهوة أبو السردين، وعرفت أنه طلب من رابعة وذريتها أن يكذبوا على الناس، ويقولوا إنه خارج الدار، حتى لو رأوه وهو يدخلها" (2).

لقد ظلت أسئلة المجتمع تطارد شخصية (جبران) وتنسج حوله الأقوال والقصص، بفعل ما أصاب حياته من تغيرات وفي هذه التساؤلات، يحاول المجتمع الوصول إلى تبريرات مناسبة لهذه التحولات، ويشير (جبران) إلى ذلك صراحة بقوله:

" الناس الذين عرفتهم بمن فيهم رفاقي السابقون، يريدون معرفة أمرين: الوقائع أو التحولات الحادة التي حصلت مع ابن شقيقتي عزمي الوجيه، وسبب انتقالي من بؤس جبل الجوفة، إلى جبل عمان الذي كان واحداً من الأحياء الارستقراطية في البلاد، حتى أن بعضهم ربطوا بفجاجة بين رحيلي وبين احتلال الإسرائيليين لمدينة بيروت" (3) .

لقد خلق الثراء الاقتصادي لدى شخصية (جبران) تحولاً كبيراً في المعتقدات والتصرفات، ونمط الحياة، ويظهر هذا التحول الفكري لديه صراحةً بقوله:

---

(1) ناجي، عندما تشيخ الذئاب، ص120.

(2) ناجي، عندما تشيخ الذئاب، ص42.

(3) ناجي، عندما تشيخ الذئاب، ص79.

" **تضاءلت قراءتي للكتب التي تتحدث عن الأممية، والعمال، وجيفارا، وكتب أنطونيو غرامشي، وكارل ماركس، ولينين وإنجلترا ولوكاش وفلاسفة مدرسة فرانكفورت، وسواها من الكتب لم يعد لدي وقت لقراءتها، ولكنني أبقيت على علاقاتي مع عدد من أصدقائي السياسيين من اليساريين، والقوميين وسواهم، ولم تنقطع حواراتنا في الشؤون العامة، صرنا نتحاور ولا نقرأ إلا لماماً** " [1].

يحاول (جبران) الظهور بصورة الإنسان العقلاني الذي يحمل تفكيراً منطقياً وتبريراً يعلل من خلاله حالة التحول التي أصابته، فقد حاول مراراً التصدي بمنطق لهذا التحول من خلال رفضه لبعض تصرفات زوجته التي عملت على اقتناء قط شيرازي، وممارسة الرسم بيد أنه يستسلم لكل هذه التحولات، ويقدم تبريراً للتحول الفكري الذي أصابه موحيا بثباته على مبادئه بقوله:

" **من الصعب على ذوي الجذور الماركسية، التنصل التام من أفكارهم، وقناعاتهم التي عادة ما تكون قابلة للتعديل أو التطوير، لكن ليس إلى الاجتثاث** " [2].

إن مفردات الحياة الاقتصادية المترفة التي فرضت نفسها على (جبران) وأسرته، والتي حاول الخلاص منها مراراً غير أنه لم يستطيع ذلك، فقد ظلت سمة بارزة على (جبران) حتى في نهاية دوره السياسي وتركه منصب الوزارة، فقد رسخت الحياة الارستقراطية سمة عامة على حياته، فلم يجد بعد نهاية دوره السياسي سوى القط (سينزي) ليسلي به وحدته، وجبران الذي زعم دائماً عدم إيمانه بكتابة المذكرات في نهاية مشوار الحياة، صرح بالقول إنه يبحث عن ناشر لمذكراته بعد أن استقال من الوزارة.

لقد استطاع جمال ناجي من خلال شخصية (جبران أبو بصير) أن يقدم نموذجاً واقعياً للسياسي المعارض الذي تغريه المناصب، ويقدم التبريرات التي يحاول من خلالها إقناع المجتمع بحالة التحول التي اختطها في حياته، قائلاً:

---

(1) ناجي، عندما تشيخ الذئاب، ص 125.

(2) ناجي، عندما تشيخ الذئاب، ص 123.

" **بالنسبة لي، كانت الوزارة طموحاً مشروعاً سعيت بصمت من أجل تحقيقه** "[1].

ولم يقف التغيير على النواحي المادية للسياسي، بل إلى تجديد صيغة الخطاب انطلاقا من تغيير المعجم اللغوي واستخدام المفردات، فقد طرأ على معجم (جبران) العديد من المصطلحات الجديدة، لم تكن واردة أثناء ممارسته الدفاع عن الفقراء، ومعارضة سياسة الدولة، وهذا ما عبر عنه بقوله:

" **لقد تسلمت حقيبتي الوزارية، اعتاد لساني بتلقائية غريبة على ترديد ألقاب، وألفاظ لم استخدمها من قبل، سيدي، دولة، باشا، معالي، وعطوفة هذه الألفاظ أصبحت جزءاً، من تقاليد أحاديثنا، وحواراتنا في اجتماعات مجلس الوزراء وسواها**"[2].

لقد فرض التحول على (جبران) تغييراً شاملاً في السلوك (فجبران) الذي آمن بحقوق الفقراء والكادحين بعد تسلم الوزارة، سلك طرقاً غير شرعية في الحصول على المكتسبات لنفسه، وللمحيطين به، فبعد أن كان يصف كل رجال الدولة بالفساد تغير تقييمه للمصطلح الذي يرى أنه من الظلم تعميم المصطلح على كل رجال الدولة، فالسياسي مهما حاول الخلاص من الفساد، فلابد أن تلحق به جوانب منه، وهو ما قد يسمى فسادا صغيرا بنظره، قائلاً:

" **لا أستطيع تعميم مفهوم الفساد على كل من هم في السلطة، أنا شخصياً لم أمارس أياً من تلك التجاوزات، باستثناء تعيين شقيق زوجتي رابعة في دائرة شبه حكومية بوظيفة رئيس ديوان** "[3] .

وأمام هذا التغيير الشامل الذي لحق بحياة (جبران) يحاول جاحداً نكران الماضي، ومحاولة طمسه، فقد سعى لتغيير رقم هاتفه، والتخلص من عدد كبير من الأصدقاء خاصة الرفاق السابقين؛ إيماناً منه بأن الردود على الهاتف، واستقبال الأعداد الكبيرة من الراغبين في الزيارة استنزاف للوقت، وتأثير على المكانة [4].

---

(1) ناجي، عندما تشيخ الذئاب، ص 298.

(2) ناجي، عندما تشيخ الذئاب، ص 298.

(3) ناجي، عندما تشيخ الذئاب، ص 301.

(4) انظر، ناجي، عندما تشيخ الذئاب، ص301.

ويقدم (جبران) نموذجاً لشخصية السياسي التي يرفض العودة إلى الماضي رغم الإقالة من الوزارة، فيظل مسكونا بالخوف من انتهاء مستقبله السياسي رغم بث الأمل له من قبل (أم رامي) التي أكدت له أن السياسيين الذين يمارسون السلطة يبقون ثابتين، وما يتغير هو مواقعهم التي يشغلونها، وهذا ما أفصحت عنه قائلة:

" **الوزراء والشخصيات العامة في بلادنا، لا تنتهي إلا حين تدفن تحت التراب** "[1].

ومن أنماط السياسي المتحول ما تقدمه رواية (اعترافات كاتم صوت) لمؤنس الرزاز من خلال شخصية (يوسف كاتم الصوت) والتحول الذي تقدمه الرواية لهذه الشخصية يكاد يكون مبرراً؛ انطلاقاً من النشأة البائسة التي مر بها، وكذلك نسبها المشكوك فيه بفعل ما كانت تمارسه والدته من علاقات مريبة، وقد تضافرت هذه العوامل في تشكيل شخصية دونية سيطر عليها الارتباك، وقد تجلى ذلك بقوله:

" **هذا الشعور بأني حشرة يتجلى في أعماقي** " [2].

وانطلاقا من ذلك فقد مثل (يوسف) نموذجاً جلياً للسياسي المتحول الذي انهزم من المواجهة الأولى مع السلطة، فلم يستطع الاحتفاظ بما يحمله من توجهات، وقد عملت حالة الانهزام على تغيير العديد من المواقف في شخصيته، فقد كره الثقافة وأصبح يشعر بالعداوة لكل المثقفين، فحمل بذلك شخصية مزدوجة إذ ظهر أمام المثقفين بالمطيع الملتزم بالمبادئ التي يحملها، وخلفهم ظهر بالقاتل المتآمر عليهم، وما موقفه من (الدكتور مراد) داخل السجن وحالة الانبهار التي أبداها تجاهه، ثم مرافقته إلى ابنه (أحمد) في الخارج، والقيام بقتله إلا دليل راسخ على التركيب المعقد لهذه الشخصية، التي يعبر عنها صراحة (يوسف) بنفسه قائلاً :

" **حين كنتُ عضواً في التنظيم، أي قبل أن يفصلوني بحجة الانهيار، والاعتراف، والاستنكار كان رفاقي يضربون المثل بانضباطي الصارم، أقف بين يدي الدكتور مراد كالصنم الذي قد من صخر**" [3] .

---

(1) ناجي، عندما تشيخ الذئاب، ص 323.

(2) الرزاز، اعترافات كاتم صوت، ص55.

(3) الرزاز، اعترافات كاتم صوت، ص57.

لقد أسهم التركيب النفسي لشخصية (يوسف) في تبنيه العديد من المواقف المتناقضة، التي لم تعكس مطلقاً شخصية السياسي المتمسك بثوابته، والمخلص للمبادئ التي آمن بها، فظهر التحول في العديد من مواقفه، وقد أشار إليها صراحة أثناء اعتقال (الدكتور مراد) بقوله:

" **حين اعتقلوه ارتكبتُ خطأ جسيماً وفررت أصبت بحالة رعب كابوسية حتى أنني عملتها في بنطالي** " [1].

لقد أظهر (يوسف) كسياسي متحول نمطاً من التخلي وعدم الانتماء لرفاق حزبه، فقد توجه إلى بيت (الدكتور مراد) أثناء وضعه في الإقامة الجبرية؛ معتقداً وقوع انقلاب أبيض وعندما رأى دبابات وجنوداً يتحلقون البيت انقبض قلبه، وولى هارباً، ولم يتوقف حتى وصل مدينة بيروت [2]. ولعلَّ في نموذج شخصية (يوسف) صورة ثنائية للسجين السياسي المثقف (المعترف) التي يلجأ إليها الروائيون؛ لإنتاج صورة السجين السياسي الصامد الذي لا تؤثر فيه وسائل القمع والتعذيب داخل السجن، بل تزيد صموده وثباته، وفي استحضار صورة يوسف وأمثاله من السياسيين المتحولين، محاولة من مؤنس الرزاز، وغيره من الروائيين البحث عن أسباب الخيانة وتحليلها، فخيانة الأفراد التي جسدها يوسف لحزبه ورفاق حزبه، هي بالضرورة المنطلق الأول لخيانة الوطن وتراجعه، بل هي سبب هزيمته في المعارك التي يواجهها أمام الأعداء من وجهة نظره.

ومن نماذج السياسي المتحول ما تقدمه رواية (الطريق إلى سحماتا) من خلال شخصية (يوسف الفدائي) التي رأت في المقاومة الحل الأمثل لمعالجة انتكاسة الأمة، فانتهجت العمل الفدائي في سبيل تحقيق الخلاص والتحرر، وقد تبدت ملامح البحث عن الحرية عنده أثناء دعوته الفلاحين إلى حمل السلاح في وجه المستغلين لجهودهم؛ حتى يتم الخلاص من حياة الوجع والخنوع [3]. إلا أن فكرة البحث عن الحرية، والنضال في وجه المحتل سرعان ما تلاشت من تفكيره بعد سلسلة من الخيبات والهزائم المتتالية، ولعلَّ حالة الانهزام هذه خلقت نمطاً من التحول في حياة يوسف، فبات

---

(1) الرزاز، اعترافات كاتم صوت، ص58.

(2) انظر، الرزاز، اعترافات كاتم صوت، ص 58.

(3) انظر، السعافين، الطريق إلى سحماتا، ص 78.

الحديث عن المقاومة نمطا من الانتحار والمستحيل في ظل ظهور خطاب جديد أسهمت الصحف والمجلات ووسائل التلفزة بنشره، ويحمل سخرية اتجاه كل من يحمل الشعارات الجوفاء التي تنادي بالاستقلال والحرية، وأمام هذه الشعارات الجديدة تخلى (يوسف الفدائي) عن مبادئه وشعاراته، فاستبدل (الكلاشينكوف) بمسدس يستخدم للوجاهة، أو لإطلاق طلقات محدودة في مناسبات بهيجة [1].

لم يتوقف التحول عند (يوسف الفدائي) على تغيير الموقف والاتجاه، بل كان التحول شاملاً في كل مناحي الحياة لديه، فقد تحول همه الوطني من محاولة بث الحماسة في نفوس الناس نحو المقاومة من أجل نيل الاستقلال والتخلص من المحتل إلى هم شخصي يسعى من خلاله إلى تحقيق مصالحه الذاتية، فقد أصبح يهتم بشؤون التجارة، ويتابع سوق العقارات بعد أن كان يتحدث عن بلدة (سحماتا) الغائبة، وكأنها حاضرة أمام السامعين.

لقد شكلت المادية ومتطلبات العصر وفقدان الأمل بإصلاح المجتمع؛ نتيجة خيبات الأمل المتوالية، تحولاً جلياً في حياة (يوسف الفدائي) ويظهر ذلك جلياً في حديث (عدنان) عنه مرجحاً أن ما أصاب (يوسف) مرجعه أزمة نفسية، وليس مرضاً عضوياً، فقد معها البندقية والحلم إضافة إلى أعباء الحياة اليومية، فهو رب لأسرة تحتاج إلى الطعام، وكل مستلزمات الحياة اليومية [2]. وأمام هذا التوجه يظهر (يوسف الفدائي) المتحول سياسياً بمظهر الخجول المستكين في الدفاع عن وطنه وقضاياه.

ويظهر (يوسف السياسي) وأمثاله من السياسيين كمرحلة آنية لن تستطيع الثبات في وجه المحتل، وهذا ما عبرَّ عنه صراحة الشيخ هايل بقوله:

" **ما تفعلونه يا يوسف لن يغير من الأمر كثيراً، أنتم تقومون بعمل وطني بطولي، ولكن أخشى أنكم أبناء مرحلة، لكم مدة زمنية ثم تنتهي صلاحيتكم** " [3].

ويظهر من النص السابق حالة من المفارقة الكبيرة بين (يوسف الفدائي) الذي يحمل البندقية مدافعاً عن أرضه، ووطنه وصورة (يوسف الفدائي) الذي أصبح بائعاً

---

(1) انظر، السعافين، الطريق إلى سحماتا، ص 78.

(2) انظر، السعافين، الطريق إلى سحماتا، ص 159.

(3) السعافين، الطريق إلى سحماتا، ص 165.

للعقارات للاجئين اليهود [1]، وأمام هذه الصورة المتناقضة يتلاشى حلم (رشا) والدة (يوسف) بالعودة إلى بيتها، فقد أثار مشهد التحول في حياة الابن مشهداً سوداوياً للأم، التي فقدت معه كل أمل بتحقيق العودة إلى الوطن.

ولا يقف مشهد السياسي المتحول في رواية (الطريق إلى سحماتا) عند شخصية (يوسف الفدائي) بل يتعداه إلى شخصية (توفيق) الذي بدت مصالحه الفردية أولى بالاهتمام، فقد نسي العمل السياسي، وسعى جاهداً لتكوين ذاته، والسفر وبناء المنزل الفاخر في حي الأثرياء، فلم يعد وفق ما يرى (أسامة) ابن أخيه، بأنه:

" **ابن سحماتا الذي سيحمل البندقية، ويدافع عن أرضها وعرضها** " [2].

5.3 السياسي الحالم

تمثل شخصية السياسي الحالم نمطاً من الشخصيات السياسية التي تحاول صنع نظام من التطور، والتقدم على مستوى الفرد أو على مستوى المجتمع، ولقد برز هذا الاتجاه لدى بعض الشخصيات في رواية (الشهبندر) لهاشم غرايبة، من خلال شخصية (الشهبندر) والذي ظهر أبا لخمس بنات، آمن بالقناعة رغم عمله بالتجارة، ورغم أنه لم يرزق بأولاد من الذكور، فقد امتازت عقليته بالانفتاح، وهو يعكس بذلك نقيضاً لعقلية الإنسان الشرقي، فحلم (الشهبندر) بالواقع المتميز لا يقف عند حدوده، بل سعى لتحقيق الرفاه كذلك لمجتمعه كاملاً، فالحلم بتحقيق الرفاه على مستوى الفرد والجماعة لا يأتي بالتمني بل يحتاج إلى الخطط والبرامج العملية، وانطلاقاً من ذلك عمل الشهبندر على بناء ذاته أولاً من خلال بناء الأسرة ، فقد رأى أن التعليم هو السبيل لتحقيق النهضة على مستوى الفرد والجماعات، فعمل جاهدا على تعليم بناته، إذ أرسل ابنته (سلمى) إلى القدس؛ لتكمل تعليمها في المدرسة الإنجليزية، فالتعليم أساس نهضة المجتمع وفق ما يرى الشهبندر بقوله :

---

(1) انظر، السعافين، الطريق إلى سحماتا، ص 211.

(2) السعافين، الطريق إلى سحماتا، ص211.

" **يا بنات، بلادنا عظيمة، ولكن ينقصها العقول الكبيرة، لا أرغب أن أورثكن مالاً، سأعلمكن ما استطعت إلى ذلك سبيلاً** " [1].

لقد اختط (الشهبندر) منهجا في حياته فهو لم يكن يؤمن بالمناكفات السياسية، واختلاف الآراء والتوجهات التي تصنعها الأحزاب، بل ظل يحمل علاقة وثيقة مع رجال الدولة، انطلاقاً من أنه يحمل مشروعاً نهضوياً؛ وللوصول لهذا الهدف آمن (الشهبندر) بسياسة الاعتدال التي تحقق هذا التوجه، فهو لم يكن محسوبا على تيار سياسي بعينه ويبدو ذلك جلياً في حديث (مجيد العبكيكي) عنه بقوله:

" **بعد تولي صديقه توفيق أبو الهدى رئاسة الوزراء من سيستطيع اللحاق بالشهبندر؟! فهو يراهن على الجواد الرابح دائماً** " [2].

يظل (الشهبندر) كسياسي حالم بمستقبل مزدهر لنفسه ولمدينته، ينظر إلى عمان كنقطة جذب للمنطقة التي حولها، فقد تضافرت بنظره العديد من الأسباب والتغيرات بفعل هجرة سكان الأقطار المجاورة إليها، وكذلك الاضطرابات والحروب في المنطقة من حولها، وقد شكلت هذه الأسباب مجتمعة موقعا مهما لمدينة عمان، وبذلك امتلكت موقفا سياسيا واقتصاديا متميزا.

ويظهر هذا الاستشراف المستقبلي لمدينة عمان من خلال قوله:

" **يبدو أن السياسة في نهر عمان الجديد والاضطرابات من حولها في فلسطين، وسوريا ولبنان، والعراق، تضخ إلى عمان فائض إنتاجها من البشر والبضائع، وعمان تعيد التوزيع، تايكي ربة العمونيين، كانت آلهة للحظ، هل عمان ابنة الحظ؟** " [3].

وقد ظل (الشهبندر) بوصفه سياسياً حالماً يحمل رؤية وتوجهات قومية، كان من أبرزها السعي جاهداً لخلق نمط من الوحدة في البلاد العربية، انطلاقاً من مهنة التجارة، فقد عقد لقاءات متكررة مع المناضل السوري (عبد الرحمن الشهبندر)، مؤكداً

---

(1) غرايبه، الشهبندر، ص 26.

(2) غرايبه، الشهبندر، ص61.

(3) غرايبه، الشهبندر، ص 281.

على أن أساس الوحدة يكمن أولاً في الاتصال والترابط الجغرافي، فيرى الشهبندر ذلك ممكناً بقوله:

" **إذا الأمة العربية بدها تتوحد، تتفضل تجدد القطارات وسكك الحديد، وتربط أقطار الأمة ببعضها بعضا بالأول، أمريكا وحدتها القطارات مش الخطب الرنانة** "[1].

يظل (الشهبندر) يحمل هماً قومياً، فقد تماهى مع مدينة عمان حتى بدت وجهاً آخر لوجهه، فهي وفق ما يرى:

" **التجربة الخلاَّقة الحميمة هي أنا الشهبندر، وقد تضخمت وترامت أطرافي حتى صرت بحجم تلالها السبعة، عمان أنت، وهي، وهم، بعد أن يتجرد الجميع من القحمة الكبيرة، والزيف، عمان ليست مجرد دور سياسي في المنطقة وليست رمية نرد، أو فرشة إسفنجية تمتص فائض الأزمات من حولها: عمان أسلوب حياة، ونمط عيش فإما أن نحبها أو نحبَّها** " [2].

وفي إطار هذا التوحد مع المكان، يبدو (الشهبندر) عنصراً حيوياً داعماً لثبات المكان المتمثل بمدينة عمان، فقد سعى لرفقتها في شتى جوانب الحياة، ولا سيما الجوانب التعليمية فاهتمامه بالتعليم لا يقف على بناته، بل تبنى دعم التعليم على مستوى الوطن فالتعليم بنظره هو الرافعة الأساسية في بناء الوطن، ويبدو هذا النهج جلياً من خلال حديث (الشهبندر) قائلا:

" **اتفقت أنا وإلياس أفندي على تعزيز دور مدرسة الصنايع بإرسال الطلبة المتفوقين إلى الخارج على نفقة صندوق يؤسسه القطاع الخاص، وتدعمه الحكومة، سنتوسل بكل طاقاتنا لإقناع الحكومة بهذا المشروع** " [3].

لقد ظلت عمان هاجساً وطنياً يسعى (الشهبندر) لتطويره، والأخذ به إلى الأمام، رغم الصعوبات والأزمات فهو وغيره من الرموز البارزة في البلاد يقع على عاتقهم توفير عناصر النهضة وخلق الحياة الفضلى للأجيال القادمة، وهذا ما يؤكده بقوله:

---

(1) غرايبه، الشهبندر، ص 331.

(2) غرايبه، الشهبندر، ص 341.

(3) غرايبه، الشهبندر، ص 348.

" **وجدنا وسنموت لنبعث من جديد أفضل مما كنا، ليعيش غيرنا أفضل مما عشنا، اضطرابات تعم البلاد، والصهاينة تقوى شوكتهم في فلسطين، والفرنسيون يشددون قبضتهم على فلسطين ولبنان، ويعدمون الثوار، والإنكليز يحطون بثقلهم على العراق والأردن وفلسطين، ومصر في حيص بيص** " [1].

وفق ما تقدم فإنَّ (الشهبندر) يحب وطنه ولكن هذا الحب لا يبقى حبيس الكلمات والشعارات، بل يفكر ويضع الحلول والمعطيات لهذا البلد لكي ينهض بكل قوة فظل دوره ممتداً من بناته إلى مدينته، فقد سلحهن بالعلم والعمل وتمنى لعمان أن تتسلح بالعلم والعمل والإنتاج [2]. فالشهبندر سياسي حالم يعمل على تذليل الصعاب لتحقيق أحلامه.

ومن النماذج الدالة على شخصية السياسي الحالم ما تقدمه رواية (السؤال) لغالب هلسا من خلال شخصية (مصطفى) المثقف، والسياسي الشيوعي الذي سعى جاهداً إلى تغيير الواقع، بيد أن هذا السعي لم يكن ناجعاً ولعلَّ ذلك عائد إلى حالة القطيعة مع الواقع إضافة إلى أن الحلول التي قدمها قائمة على التنظير لم تمس طبقات المجتمع المسحوقة ولم تصور واقعهم، ولا تحمل منهجاً عملياً يظهر تغييراً ملموساً على حياة الناس وأمام حلم التغيير الذي يسعى (مصطفى) لإحداثه، ينتابه شعور من الاغتراب داخل وطنه الذي ينظر إليه بفعل السلطة أنه يمثل عامل خطر وقلق للمجتمع، وفي سبيل هذا التوجه يعزل (مصطفى) عن المساهمة الفعالة في بناء مجتمعه فيمنع من ممارسة عمله إلا أنه يذهب لاستلام ماهيته كل آخر شهر، ويظهر ذلك من خلال قوله لسعاد:

" **أنه أعيد للعمل، ولكنهم يمنعونه من ممارسة عمله، فلذا يذهب آخر الشهر، ويتسلم الماهية فقط** " [3].

---

(1) غرايبه، الشهبندر، ص 340.

(2) العرقان، منال عواد، البنية السردية في أعمال هاشم غرايبة الروائية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة آل البيت، 2010 /2011م، ص 25.

(3) هلسا، السؤال، ص 677.

وهذا التهميش الذي تمارسه السلطة بحق (مصطفى) عائد إلى إيمان حقيقي قائم لدى السياسي على أن " السلطة مستفزة في مواجهة المواطنين، تحكمها مشاعر الكراهية تجاههم، وكلما أصابتها انتكاسة، لا بدَّ أن تعلقها عليهم "[1] .

وهذا ينسجم في طريقة التعامل مع السياسي (مصطفى) الذي أعيد إلى العمل بعد الغياب الناجم عن الاعتقال، وفي هذا التوجه يظهر (غالب هلسا) بوصفه مثقفا جماهيريا، نقدا واضحا لثورة (يوليو) من خلال حياة التهميش التي يعيشها بطله (مصطفى) في ظل هذه الثورة، التي علقت عليها الكثير من الآمال في التحرر، وبهذا الموقف فقد تحول مصطفى إلى إنسان محدود العلاقات اجتماعياً، فاقتصرت علاقاته الاجتماعية من رفاق دربه في النضال السياسي على شخصيتي (وليد ونوال) أما علاقاته العاطفية فقد انقسمت بين شخصيتي (سعاد وتفيدة) وأمام حالة التضييق التي تمارسها السلطة في حق (مصطفى) يلجأ إلى البحث عن حياة بديلة أملاً في الخروج من حياة العزلة الاجتماعية التي فرضتها السلطة عليه، حتى لا يتمكن من ممارسة دوره التنويري في التعبير عن هموم الطبقة الوسطى وواقعها، وأمام التضييق الاجتماعي الناتج عن الملاحقة السياسية، يلجأ (مصطفى) إلى الاتصال بالطبقات الدونية في المجتمع والخارجة عن منظومة العادات والقيم، والتي وجد فيها الراحة والقبول، ويظهر ذلك جلياً من خلال لهفته على (سعاد) التي تأخرت بالمجيء إليه انطلاقاً من قول الراوي:

" **وعندما أمسك يدها وسألها عن سبب عدم مجيئها، كان عاشقاً حقيقياً ليس لسعاد فقط** "[2].

لقد مثل (مصطفى) من خلال علاقاته الجنسية مع مستويات دونية في المجتمع، حالة من التعبير عن الاحتجاج نحو المجتمع الذي تبنى الثورة، ورأى فيها العدل والإصلاح في كافة مناحي الحياة، وهذه المبادئ السامية لم تتجاوز الشعارات التي كان هدفها استقطاب الجماهير، ومنح الشرعية لهذه الثورة، ويتضح من تحول (مصطفى)

---

(1) بوشليحة، عبد الوهاب، إشكالية الدين، السياسة، الجنس، في الرواية المغاربية (1970م-1990م) رسالة دكتوراه، عنابه، الجزائر، ص131.

(2) هلسا، السؤال، ص 560.

السياسي اتجاه تلك الطبقات الدونية تغيير في منهج العمل السياسي، فالإصلاح أصبح وفق هذا التحول ينطلق دائماً من القاعدة، ومن طبقات المجتمع التي تعيش على الهامش، فيعترف صراحة أن (تفيدة) التي ارتبطت معه بعلاقة جنسية قد أعطت معنى حقيقاً لوجوده ولحياته، ويظهر ذلك وفق ما يشير إليه الراوي بقوله:

" **واكتشف مصطفى حقيقة غير متوقعة، وتلك أنه رغم انشغاله الدائم بتفيدة، فإنَّه قد أنجز خلال هذه الأسابيع الأخيرة من الأعمال ما لم ينجزه طوال حياته** " [1].

وانطلاقاً من ذلك فقد مثلت العلاقة بتفيدة نموذجاً ناضجاً للحياة وفق ما يرى (مصطفى) إذ أسهمت في إنجاز مجموعة من الشبان والسياسيين وتم من خلالها نشر العديد من الدراسات والتي أسهمت في إحداث تغييرات غير متوقعة وفق ما يرى.

إنَّ الواقع السياسي الذي يحلم (مصطفى) بتحقيقه يولد من أعماق الأحياء الشعبية المهمشة من (مصر) الحقيقية، لا (مصر) التي تعيش حالة الانبهار الثوري بأحيائها الراقية، فالثورة وليدة المجتمع المكافح البسيط، فمن خلاله وحده يمكن التغيير المنشود، وفي هذا التوجه الذي يقدمه (مصطفى) تأكيد على مواقف الكاتب (غالب هلسا) من عملية تحرير المجتمع بصفة عامة [2]. ويمكن القول إن (مصطفى) ظل مؤمناً وحالماً بواقع سياسي جديد بالرغم من كل ما " عانت منه الثورة من بيروقراطية مقيتة خيبت آمال الكثيرين في الوقت نفسه "[3]. كما بقي مقتنعاً بضرورة العدالة الاجتماعية التي تكفلها النظرة الاشتراكية، من خلال مفهومه للديموقراطية الذي يعني حق الطبقات الوطنية أن تعبر عن نفسها بحرية، وهذا المفهوم للديموقراطية يعني:

"**إعطاء نصيب لكل الطبقات الوطنية في إدارة القطاع العام، وفي أخذ نصيب فيه يوازي جهوده** " [4].

---

(1) هلسا، السؤال، ص 795.

(2) الحمارنة، صالح، غالب هلسا الأديب الرافض، دار أزمنة، عمان، 2011، ص 44.

(3) هيكل، محمد حسنين، لمصر لا لعبد الناصر، مركز الأهرامات للدراسات والنشر، ص 67.

(4) انظر، هلسا، السؤال، ص 746.

ويعكس هنا النص حالة من التقاطع ما بين الفكر الذي ينادي به (مصطفى) والفكر الذي تنادي به الثورة، وتعكس مرحلة اعتقال (مصطفى) بوناً شاسعاً ما بين مبادئ الثورة وممارسة أهدافها على أرض الواقع.

الخاتمة والنتائج:

خلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج، تمثلت بما يلي:

ظهور اتجاه روائي أردني منذ منتصف القرن العشرين تمثل بالاتجاه السياسي في الرواية الأردنية امتلك هويته الخاصة، وقد ساعد على تكون هذا الاتجاه في الأردن مجموعة من العوامل السياسية والاجتماعية كان من أبرزها نكبة فلسطين عام 1948م، وما رافقها من حركات تهجير قسري ولجوء إلى الأردن وغيره من الأقطار، دفعت بالعديد من الطبقات الاجتماعية إلى التفاعل والتحاور ومنها طبقة الأدباء والمثقفين، كما عملت نكسة حزيران 1967م على تعزيز الوعي لدى هذه الطبقة من خلال ما أنتجته من هزيمة دفعت المثقفين إلى طرح التساؤلات وتعليل حالة الانكسار التي أصابت الأمة، وقد ساعدت هذه العوامل مجتمعة على تكوين اتجاه روائي جعل من هذه الأحداث مادة أساسية للموضوعات التي يطرحها محاولا تقديم الحلول لمعالجة الهزيمة والحد من نتائجها، وقد دفعت العديد من العوامل في الأردن لظهور مثل هذا الاتجاه الروائي من خلال ما يتميز به الأردن من خصوصية بحكم الموقع الجغرافي، وكذلك تطور الحركة الثقافية والعلمية ونشوء التعليم الجامعي وتطور وسائل الاتصال، فظهر اتجاه روائي أردني انعكست فيه التوجهات السياسية.

تناول الاتجاه السياسي في الرواية الأردنية العديد من القضايا التي شغلت المجتمع العربي، فلم تكن القضية الفلسطينية وحدها هي قضيته المحورية، بل أشار إلى كل التحولات والتغيرات التي أصابت المنطقة العربية، كالاجتياح الإسرائيلي للبنان وحربي الخليج الأولى والثانية وصراع القوى العالمية، وأثره على الواقع العربي والمحلي.

شكل الصراع في الروايات الأردنية المدروسة ركنا مهما فمن خلاله تتحرك عجلة الأحداث وتنمو معه الشخصيات، فكان السياسي في الروايات المدروسة من أكثر الناس إدراكا للصراع وخوضا له، بفعل ما يحمله من أفكار وتوجهات، وقد جاء الصراع متنوعا، فظهر الصراع السياسي بين السياسيين أنفسهم بفعل تقاطع المصالح بينهم المخفي والمعلن منها، وقد أشارت الدراسة إلى العديد من الصور التي تمثل هذا الاتجاه كما برز الصراع الاجتماعي بين الطبقات الاجتماعية، بفعل التحولات الاقتصادية وحالات الثراء التي أصابت بعض السياسيين والنظرة الطبقية في المجتمع،

وكذلك الصراع النفسي الذي كشف عن نفوس الشخصيات ومنها السياسية، فقد ظهرت معاناتهم بفعل التركيبة النفسية التي تسيطر عليهم وانعكاس قضايا المجتمع وأزماته على نفوسهم، وجاء الصراع الحضاري بفعل ما تعرضت له المجتمعات العربية من حركات استعمارية حاول من خلالها المحتل فرض سطوته على كل شيء، كما عكس الصراع أثره الواضح على التقنيات السردية المدروسة، فأبرز الصراع أثر المكان على السياسي وما تركه في نفسه من انطباعات، وكشف طبيعة الحوار وما يقدمه من صراع لدى السياسي في سعيه لإثبات صحة توجهاته، ولم يغفل الصراع الإشارة إلى الزمن وما حمله من تأثير على حركة الشخصيات وردود أفعالها.

رصدت الدراسة العديد من القضايا التي شغلت تفكير السياسي في الأعمال الروائية المدروسة منها موقفه من الحرية والسلطة والمرأة والإعلام، فنظر السياسي إلى المرأة نظرة متباينة فمنهم من اعتبرها إنسانة هامشية في الحياة ليس لها دور ووظيفتها طبيعية تكمن في بناء الأسرة وتنشئة الأجيال، وهذا الرأي عائد تبعا لنظرة المجتمع الذكورية للمرأة وهناك من السياسيين من تعامل مع المرأة، كوسيلة لتحقيق الرغبات والغرائز ومن هنا شكلت مصدرا مهما للصراع بينهم، ومنهم من حاول النهوض بها ودعم قضاياها باعتبارها ركنا مهما في قيام المجتمع ونهضته، كما اتخذ السياسي في موقفه من السلطة مواقف متباينة فمنهم من تحالف معها والتحق بصفوفها ومنهم من عارضها وحاول تقديم مشاريع إصلاحية لها، وهناك من أبقى علاقته معها على اتزان وحيادية، وفي تناول السياسيين للحرية ظل هاجسهم الأكبر أن الحرية هي الأساس في خلق مجتمع ديموقراطي ووجودها هو بداية الحل الحقيقي لتجاوز الهزيمة والتراجع، أما نظرة السياسيين للإعلام فقد تباينت بفعل طبيعة الأجهزة الإعلامية وتوجهاتها فقد ظل الإعلام الرسمي يمثل قلقا كبيرا للسياسيين؛ لأنه لم يقدم الحقائق كاملة للجماهير فظل حلم السياسيين بارزا بضرورة وجود إعلام حقيقي يعبر عن أزمات المجتمع وهموم أفراده.

كشفت الدراسة عن عمق اللغة في الأعمال الروائية المدروسة فقد جاءت لغة متنوعة معبرة عن الشخصيات وخاصة السياسية منها من خلال بيان توجهاتهم ومواقفهم من القضايا التي شغلت مجتمعاتهم، وقد زخرت النصوص المدروسة بأشكال

لغوية متنوعة تمثلت بالحوار الموجز واللغة العامية واللغة الشعرية، كما أظهرت اللغة أثر المكان والزمان في تفاعل الشخصيات السياسية مع قضايا مجتمعها.

أظهرت الدراسة صورا متعددة للسياسي فجاء السياسي الواقعي الذي تعامل مع واقع مجتمعه وأزماته، محاولا بيان جوانب الضعف والتقصير فيه، وسياسيو هذا الاتجاه منهم من قدم حلولا لمعالجة المشاكل، ومنهم من اكتفى ببيان جوانب التقصير دون طرح الخطط العلاجية لتلك الأزمات على اختلاف أنواعها، كما ظهر السياسي الملتزم والذي آمن بمبادئ العمل الحزبي الذي يمارسه فلم تستطع الظروف والتحولات السياسية والاجتماعية والاقتصادية التغيير بمنهجه، وجاء السياسي الانتهازي الذي التفت لنفسه باحثا عن تحقيق مكاسبه الشخصية ومتناسيا قضايا مجتمعه، كما ظهر السياسي المتحول الذي انقلب على كل الأفكار والمبادئ التي انتهجها في حياته وسعى لنشرها بين أفراد المجتمع، وقد جاء التحول لديه نابعا من سعيه لتحقيق ذاته أو لعدم قدرته على مواجهة ضغط السلطة عليه، في حين ظهر السياسي الحالم الذي آمن بنهضة مجتمعه وظل يحمل أفكارا تؤسس لتلك الأحلام ولم يحمل موقفا معاديا للسلطة في المجتمع، بل ظل يدعمها إذا شعر أن توجهاتها تخدم المجتمع وتنهض به.

المراجع

أبو زيد، حامد (2001)، **إشكالية القراءة وآليات التأويل**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب

أبو شرار، سناء (2013)، **علاقة الأدب بالسياسة**، مجلة القدس العربي.

إدريس، ساميه (د. ط)، **صور الصراع في رواية (ص) لزرياب بوكفه، قراءة في المضمون**، مجلة الخطاب، الجزائر، العدد1، المجلد،13.

إسعيد، محمد فايز (1983)، **قضايا علم السياسة العام**، دار الطليعة، بيروت، ط1.

إيغلتون، تيري (د. ط)، **نظرية الأدب**، ترجمة ثائر ديب، منشورات وزارة الثقافة، سوريا.

باكثير، علي أحمد (1964)، **فن المسرحية من خلال تجاربي الشخصية**، دار المعرفة، القاهرة، ط2.

بايوش، جعفر (2007) **الأدب الجزائري الجديد التجربة والمثال**، المركز الوطني للبحث في الانثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، الجزائر.

بدر،عبد المحسن طه(1963) **تطور الرواية العربية في مصر** (1870_1938)، ط3، دار المعارف، القاهرة.

بدوي، عبد الرحمن (1973)، **الزمن الوجودي**، دار الثقافة، بيروت، ط3.

بنكراد، سعيد (2003)، **سيميولوجية الشخصيات الروائية**، رواية الشراع والعاصفة لحنا مينه نموذجا، عمان، الأردن، ط1.

بوشليحه، عبد الوهاب (د. ط)، **الدين، السياسة، الجنس، رسالة دكتوراه غير منشورة، الجزائر**.

بوعزه، محمد (د. ط) **التشكيل اللغوي في الرواية (مقترح نظري)**، مجلة علامات في النقد.

بوتور، ميشال (1971)، **بحوث في الرواية الجديدة**، ترجمة فريد أنطونيوس، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، ط1.

تاروته، محمد العيد (2004)، **تقنيات اللغة في مجال الرواية الأدبية**، مجلة العلوم الإنسانية، العدد21.

التواني، مصطفى (1996)، **دراسة في روايات نجيب محفوظ الذهنية**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.

جنداري، إبراهيم (2001)، **الفضاء الروائي عتد جبرا إبراهيم جبرا**، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد.

الحراحشه، منتهى (1999)، **الرؤية والبنية في روايات زياد القاسم**، رسالة ماجستير، جامعة آل البيت.

حسن، عمار علي، **سلطة الأدب وأدب السلطة**، جريدة الاتحاد 2014/10/3م.

حسين، فهد (2009)، **المكان في الرواية البحرينية**، فراديس للنشر والتوزيع، مملكة البحرين.

الحطاب، سلطان، **الاغتراب في الرواية (أرض اليمبوس)**، جريدة الدستور،2020/7/17م

الحطاب، سلطان (2009)، **قراءات نقدية في حقول الإبداع والمعرفة**، دار ورد للطباعة والنشر، عمان، ط1.

الحمارنه، صالح (2011)، **غالب هلسا الأديب الرافض**، دار أزمنه للتوزيع والنشر، عمان، الأردن.

الخالدي، أديب (2009)، **المرجع في الصحة النفسية نظرة جديدة**، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

الخراط، إدوار (1994)، **الكتابة نحو النوعية مقالات في ظاهرة القصة، والقصيدة ونصوص أخرى**، دار شرقيات، ط1

الخليلي، حمزة مصطفى (1976)، **البطل السياسي في الرواية العراقية**، مجلة الأقلام، المجلد4، العدد 5.6.

الخياط، جلال (1975)، **الشعر والزمن**، وزارة الإعلام العراقية، دار الحرية للطباعة، بغداد، العراق.

الخياط، عبد العزيز (1997)، **الحرية السياسية في الإسلام بين الحقوقية والعالمية**، مؤسسة آل البيت، عمان، الأردن.

الرزاز، مؤنس (2008)، **اعترافات كاتم صوت**، منشورات وزارة الثقافة، عمان، الأردن.

رضوان، عبد الله (2002)، **أسئلة الرواية الأردنية، دراسة في أدب مؤنس الرزاز الروائي**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، عمان، الأردن. ط2.

الرياحي، نجوى (1999)، **الأبطال وملحمة الانهيار دراسة في روايات عبد الرحمن منيف**، مركز النشر الجامعي، تونس.

سارتر، جان بول (1984)، **ما الأدب**، ترجمة محمد غنيمي هلال، دار العودة، بيروت، لبنان.

السبول، تيسير (2017)، **أنت منذ اليوم**، دار أزمنه، عمان، ط2.

السعافين، إبراهيم، **الثقافة ودورها في تحديد مدينة عمان كمدينة معاصرة، مؤتمر عمان واقع وطموح**، عمان، الأردن،1995/6/28م.

السعافين، إبراهيم (1995)، **الرواية في الأردن**، منشورات لجنة تاريخ الأردن، ط1.

السعافين، إبراهيم (2017)، **الطريق إلى سحماتا**، الأهلية للطباعة والنشر، عمان، الأردن، ط1.

سليمان، علي عبد الحميد، **جدلية العلاقة بين الإعلام والسياسة**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم السياسية، جامعة دمشق، سوريا.

الشوابكة، سمية سليمان (2012)، **الرؤية السياسية والتشكيل الفني في رواية السجين السياسي رواية الأسوار لمحمد جبريل نموذجا**، مجلة دراسات، سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد39، العدد1.

شوقا، إبراهيم (2002)، **منهج القرآن في تقرير حرية الرأي**، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1.

الشيخ، خليل (1996)، **عن الرواية في الأردن وموقعها في مسيرة الرواية العربية**، مجلة أفكار، الأردن، العدد4، المجلد1.

عبد العظيم، صالح سليمان (1998)، **سوسيولوجيا الرواية السياسية**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

عبود، أوريده (2009)، **المكان في القصة الجزائرية الثورية، دراسة بنيوية لنفوس ثائرة**، دار الأمل للطباعة والنشر،

عثمان، عبد الفتاح (1982)، **بناء الرواية، دراسة في الرواية المصرية**، مكتبة الشباب، القاهرة.

العدواني، أحمد (2011)، **بداية النص الروائي، مقاربة لأليات تشكل الدلالة**، النادي الأدبي، الرياض، ط1.

العرقان، منال عواد (2011)، **البنية السردية في أعمال هاشم غرايبه الروائية**، رسالة ماجستير غير منشوره، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة آل البيت.

العريني، عبد الله صالح (2005)، **الاتجاه الإسلامي في أعمال الكيلاني القصصية**، دار كنوز إشبيليا.

العسيلي، أمل (1995)، **أدب عبد الرحمن الشرقاوي**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

عساقلة، عصام (2011)، **بناء الشخصيات في روايات الخيال العلمي في الأدب العربي**، دار أزمنه للنشر والتوزيع، عمان، ط1.

العطيات، محمد (2011)، **القصة الطويلة في الأدب الأردني، البدايات في الرواية الأردنية**، منشورات وزارة الثقافة، عمان.

عطية، أحمد محمد (د. ط)، **الرواية السياسية، دراسة نقدية في الرواية السياسية العربية**، مكتبة مدبولي، القاهرة.

غزوان، عناد (2000)، **أصداء دراسات أدبية نقدية**، اتحاد الكتاب العربي للنشر، دمشق.

الفاعوري، عوني (1999)، **أثر السياسة في الرواية الأردنية**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1.

فاير، ديان (1989)، **فن كتابة الرواية**، ترجمة عبد الستار جواد، بغداد، ط1.

فركوح، إلياس (2007)، **أرض اليمبوس**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، دار أزمنه، ط1.

فريحات، مريم جبر (2017)، **مؤشرات النص السردي، صوت الواقع والمرجع والذات الكاتبة**، إصدارات المفرق مدينة الثقافة الأردنية، ط1.

فورستر، أ.م (1960)، **أركان القصة**، ترجمة كمال عياد، دار الكرنك للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1.

قبيلات، نزار (2018)، **رواية ما بعد الحداثة في الأردن ومأزق التحقيب**، مجلة أفكار، منشورات وزارة الثقافة، العدد359.

قطب، محمد **(1983) منهج الفن الإسلامي**، دار الشروق، القاهرة، ط6

قطوس، بسام (2001)، **سيمياء العنوان**، منشورات وزارة الثقافة، عمان، الأردن، ط1.

الكبيسي، طراد (2000)، **قراءات نصية في روايات أردنية**، منشورات أمانة عمان الكبرى، ط1.

لحمداني، حميد (1991)، **بنية النص السردي (من منظور النقد الأدبي)**، المركز العربي للطباعة والنشر، بيروت، ط1.

لوكاتش، جورج (1973)، **دراسات في الواقعية الأوروبية**، ترجمة أمير إسكندر، الهيئة العامة العربية للكتاب، القاهرة.

مادي، حسين (1999)، **يوسف إدريس الصراع والمواجهة**، دار الوقار للطباعة والنشر، الاسكندرية، ط1

الماضي، شكري عزيز (1978)، **انعكاس هزيمة حزيران على الرواية العربية**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1.

مبروك، مراد **(1998)، بناء الزمن في الرواية المعاصرة، (تيار الوعي نموذجا)** الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

محمد، إبراهيم عبد الرحمن (1982)، **النظرية والتطبيق في الأدب المقارن**، دار العودة، بيروت.

محمد، نصر الدين (1980)، **الشخصية في العمل الروائي**، مجلة الفيصل، دار الفيصل الثقافية للطباعة العربية، السعودية، العدد37.

محمود، سي أحمد، **اللغة وخصوصيتها في الرواية**، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، الجزائر، العدد19.

المحيسن، صخر (2005)، **البنية الدلالية والسردية في رواية أرض السواد لعبد الرحمن منيف**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة مؤته، الأردن.

المدني، عز الدين (د.ط)، **الأدب والحرية مترادفان**، مجلة الموقف الأدبي، السنة الثانية.

مرتاض، عبد الملك (د،ط)، **تحليل الخطاب السردي، معالجه تفكيكية سيميائية لرواية زقاق المدق**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

مرتاض، عبد الملك (1998)، **في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد**، مجلة عالم المعرفة، الكويت، العدد240.

مريدن، عزيزه (1984)، **القصة والرواية**، دار الفكر، دمشق، سوريه.

المطوي، محمد الهادي، **شعرية عنوان كتاب الساق على الساق**، مجلة عالم الفكر، مجلد28، العدد1، الكويت.

المنصوري، علي (2007)، **البطل السجين السياسي في الرواية العربية المعاصرة**، رسالة دكتوراه، جامعة الحاج لخضر، الجزائر.

منيف، عبد الرحمن (1994)، **الكاتب والمنفى، هموم وأفاق الرواية العربية**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان.

المهدي، محمد (2007)، **علم النفس السياسي**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط1.

موسى، إبراهيم (1993)، **جماليات التشكيل الزماني والمكاني لرواية الحواف**، مجلة فصول، المجلد12، العدد2، القاهرة.

المومني، رؤى حيدر (2019)، **مفهوم الأدب السياسي في ضوء العلاقة المتبادلة بين الأدب والسياسة**، مجلة دراسات، سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجامعة الأردنية، المجلد46، العدد2.

ميرهوف، هانز (1972)، **الزمن في الأدب**، ترجمة أسعد رزوق، مراجعة العوضي الوكيل، سجل العرب، القاهرة،

ناجي، جمال (2008)، **عندما تشيخ الذئاب**، منشورات وزارة الثقافة، عمان، الأردن، ط1

ناصيف، عبد الكريم (2003)، **الأدب والسياسة**، مجلة الموقف الأدبي، سوريا، اتحاد الكتاب العرب العدد388.

النساج، سيد حامد (د. ط)، **اتجاهات القصة المصرية القصيرة**، دار المعارف، القاهرة.

نصر الله، إبراهيم (2018)، **زمن الخيول البيضاء**، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط17.

هلسا، غالب (2003)، **الأعمال الروائية الكاملة**، رواية السؤال، دار أزمنه، عمان.

هيكل، محمد حسنين (1987)، **لمصر لا لعبد الناصر**، مركز الأهرام للدراسات والنشر، القاهرة.

وادي، طه (2002)، **الرواية السياسية**، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، القاهرة، ط1.

يابوف، ف. ر (1984)، **الفن والآيديولوجيا**، ترجمة خلف جراد، دار الحوار، دمشق، ط1.

يوسف، آمنه (2019)، **فاعلية التذكر في رواية الطريق إلى سحماتا لإبراهيم السعافين**، مكتبة الأهلية للطباعة والنشر، عمان، ط1.

المعلومات الشخصية

الاسم: صخر علي يوسف المحيسن

التخصص: الدكتوراه في الدراسات الأدبية

الكلية: الآداب

سنة التخرج: 2020